



الهيئة العامة
السنورية للكتاب
أعلام الشعر الروسي



تصميم الغلاف
عبد العزيز محمد
الهيئة العامة
السنورية للكتاب

المشروع الوطني للترجمة
الشعر العالمي

أعلام الشعر الروسي



تأليف : مجموعة من الشعراء

ترجمة : د. نزار محمود كنعان

الهيئة العامة
للمنشورات
السياسية والثقافية
للكتاب

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

Величайшие деятели русской поэзии

الكاتب: **Золотого и серебряного веков**


الناشر: **Москва 2020**

المترجم: د. نزار محمود كنعان



الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراء المؤلف ومواقفه ولا تعبر
(بالضرورة) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

الهيئة العامة
السورية للكتاب



الإهداء

إلى روح أبي الأستاذ محمود كنعان
المعلم والشاعر الذي كان معجباً بالأدب الروسي وأعلامه.



والى رفيقة العمر ليودميلا

التي كانت عوناً لي

في إنجاز هذا العمل

الذي أعتزُّ به.

الهيئة العامة
السورية للكتاب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

مقدمة

لا يمكن فهم أصالة التطور التاريخي لأي أدب في بلد ما، دون النظر إلى العمليات التي تحدث في الأدب العالمي في القارات الخمس. فالكاتب العبقرى لا يولد في الفراغ، لأنه مرتبط بآلاف الخيوط مع مبدعين آخرين سواء معاصرين أم راحلين. ففي هذه الروابط، وفي الفهم الخلاق والمستمر واستيعاب القيم الفنية التي تراكمت لدى البشرية، تزدهر موهبة الكاتب والفنان، وتتشكل رؤيته للحياة.

والأدب الروسى ليس استثناء في أصالته وعظمته وشعبيته، فقد نهل من ينابيع أدبية شتى وتفاعل أعلامه مع الحركات الثقافية العالمية بحرارة، ونذكر على سبيل المثال الشاعر العظيم بوشكين الذى قرأ وترجم أعمال شكسبير ودانتى وغوته وبايرون. والكاتب الشهير دوستوفسكى الذى قرأ لإدغار آلان بو، وغوفمان وتشارلز ديكنز، وأحب سيرفانتس وفكتور

هيجو. وفي القرن العشرين أثرت روايات دوستوفسكي في تطور الفكر الأدبي والفلسفي العالمي.

وكان ليف تولستوي مولعاً بروسو وإيمرسون وستيرن وديكنز في شبابه، وخلال عقود لاحقة ساعدت أعمال تولستوي جيلاً كاملاً من الكتاب والفنانين الأجانب على فهم موضوعات أدبية جديدة، ومعالجة مشكلات اجتماعية ونفسية وأخلاقية راهنة. ويمكننا إعطاء أمثلة من هذا النوع لا حصر لها.

في سبعينيات القرن التاسع عشر لفت انتباه الأوروبيين أصالة الأدب الروسي وعمقه الذي عكس التجربة الروحية والأخلاقية للشعوب الروسية ورفع فن الرومانسية والقصة القصيرة والدراما إلى آفاق جديدة. وقد كتب حول ذلك الناقد الأدبي الفرنسي البارز في القرن الماضي، إ.م. دي فوغ:

"إن الرواية الروسية تضح بالحياة، وتأسر الروح بمصداقيتها وإنسانيتها، ويجد الشباب فيها غذاءً فكرياً يتوق إليه، ولكن يمكن أن يقدمه أدبنا المعاصر. أنا مقتنع بأن تأثير الكتاب الروس العظماء سيكون مفيداً لفننا الهزيل".

وفي حديثه عن دور الأدب الروسي الكلاسيكي في تطور الواقعية في الأدب الأمريكي، أكد الباحث الفرنسي ميكود أن الرواية الحديثة في الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن لتصبح كما هي لو لم تنهل من دوستوفسكي وتولستوي وتشخوف. وعن الاهتمام العظيم بأعمال بوشكين وتولستوي ودوستوفسكي وماياكوفسكي ونيسينين وبولجاكوف، كتب الناقد الأمريكي وايل:

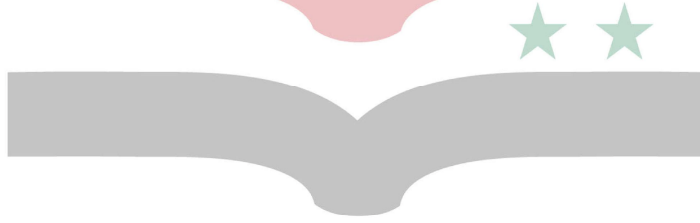
"لا يوجد أدب في العالم يتمتع المثقفون الأمريكيون به يفوق

الأدب الروسي".

في الوقت الذي بدأ فيه الوعي الأوروبي بإظهار التسامح مع أفكار الانعتاق المطلق، والدعوات لتحرير الإنسانية من الروابط الأخلاقية، والحب والرحمة (وهو على حد تعبير الفيلسوف الألماني نيتشه، العقيدة التي "يدين بها العبيد") نجد الأدب الروسي قد كشف بكل الوسائل الفنية الممكنة لا إنسانية هذه النظريات. وأثبت عقم الطبيعة الوهمية للأشكال الإلحادية لتأكيد الذات، والضرورة الحيوية للكمال الروحي والأخلاقي.

ولا شك أن الأرثوذكسية كانت أحد العوامل الرئيسية في تكوين البنية الروحية للأدب الروسي ولاسيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اللذين أطلق عليهما الباحثون الغربيون لقب -العصر الذهبي-.

في هذا، رأى رواد الأدب الكلاسيكي الروسي هدف الوجود على الأرض وجوهره ، والضمان لإقامة علاقات جديدة متناغمة بين الناس.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

أجزاء الأول العصر الذهبي

تزامن العصر الذهبي للشعر الروسي بشكل أساسي مع بلوغ الشعر الرومانسي ذروته في أوروبا الغربية. لكن الشعر الروسي لم يكن رومانسياً بل أكثر رسمية وفعالية وانتقائية، وباختصار كان كلاسيكياً أكثر من أي شعر آخر أو من أية (مدرسة شعرية) في القرن التاسع عشر. وبمعنى ما، كانت مدرسة الشعر الروسي متأخرة، كخاتمة للفورات الأدبية في القرن الثامن عشر. يعدُّ بيرنس وبارني شعراء أوروبا الغربية الأقرب إلى شعراء العصر الذهبي من حيث اللون والإحساس الشعري، والجانب المهم في العصر الذهبي أن أسلوب الشعراء يلازم الإلهام. ويتميز بالمثالية حتى لدى الشعراء الصغار. وعندما يتعلق الأمر بالشعراء العظام، فهو شعرٌ عظيمٌ دون شك.

تميز شعر عشرينات القرن التاسع عشر بالكمال الفني مقارنة بالبدائية في شعر أواخر القرن التاسع عشر. فقد كانت الأصالة

ميزة شعر العصر الذهبي في حين كانت الحقبة التي سبقته تلجأ إلى الاستعارة والتقليد، ولكنه في الوقت نفسه، كان استمراراً مباشراً للاتجاه الذي رسمه كارامزين ومن أفضل ثماره. أي يمكن القول إن شعر العصر الذهبي منذ سنة ١٨٢٠ حمل شعار الرومانسية، وكان متمرداً بشكل صارخ ضد قواعد الكلاسيكية الفرنسية. وكان يطمح لمزيد من الحرية والتجديد في الأشكال؛ فهو يهفو إلى الأصالة والحيوية. وهو معجب بشكسبير بسبب أبعاد آفاقه وخططه وفهمه العميق للقلب الإنساني، ومعجب بالشاعر الإنكليزي بايرون -لبلاغته القوية وتقنيات السرد الفريدة.

مقارنة بعصر الكلاسيكية، حدثت نهضة للمشاعر والأحاسيس، لكن حساسية شعراء العصر الذهبي كانت كلاسيكية بحتة؛ عدد قليل منهم أصيوا بـ "الحساسية الجديدة". وبالمثل، لم يكن هناك "عودة إلى الطبيعة". حتى رمزية الطبيعة المتأصلة في مدرسة أوسيان لا نراها في أعمال بوشكين ومعاصريه. أما وحدة الوجود الرومانسية والروحانية الرومانسية في الأدب الروسي فقد بدأت بالظهور بعد عام ١٨٣٠.

أوكّدت العلاقة بين العصر الذهبيّ والقرن الثامن عشر من خلال لونه الاجتماعي الواضح، وظهرت حركة داخل الطبقة الأرستقراطية، سميت حركة السادة. كان لها الغلبة في البداية من خلال إلقاء الضوء على القصائد العلمانية والموضوعات اللاهوتية وتقديس الصداقة ومنتعة المآدب والنيذ. ويعدُّ زمن بوشكين الاجتماعي تنويجاً لهيمنة النبلاء على الأدب احتكر الأدب العالي بالكامل. في الوقت نفسه كانت الصحافة في أيدي طبقة أدنى، هي طبقة المتحذلقين والأجراء الأدبيين والمساومين. مما أدى إلى بروز التناقضات الطبقية فيما بينهما بشكل واضح جداً.

لقد عمل النبلاء، بغض النظر عن الحزب الذي ينتمون إليه، على ازدياد (الرعاع)، فنازلوهم في جبهة موحدة. ولكن في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كانت الغلبة للشعبيين.

يمكننا القول إن انطلاقة العصر الذهبي بدأت مع تحلي الشعر عن نهج أتباع مدرسة ديمتري، الذي يعتبر أحد مؤسسي الحركة الشعرية في بداية القرن التاسع عشر واكتسب تجسيدا أصيلا ومستقلاً في أوائل أعمال جوكوفسكي الناضجة، بعد نهاية الحرب بين روسيا القيصرية وفرنسا النابليونية، حين

أسس أنصار كارامزين الشباب بزعامة جوكوفسكي وباتيوشكوف وفيازيمسكي، الرابطة الأدبية التي كانت تميل لتقديس الصداقة الشعرية والمحادثة الأدبية والشعر الرقيق.

بحلول عام ١٨٢٠، أصبحت الحركة أكثر جدية، وبعد عام ١٨٢١ هيمن تأثير بايرون لمدة خمس سنوات، لتصبح القصة الشعرية الشكل الشعري الرئيسي للتعبير. وبالرغم من اعتراض المحافظين فقد أطلقت مجموعة أرزاماس موضحة الرومانسية. وأخذت تظهر أعمال بوشكين الواحدة تلو الأخرى، فنالت شعبية كبيرة. نافستها أعمال جوكوفسكي وباراتينسكي وكوزلوف. وساد الشعر في سوق الكتب. وأصبح حزب النبلاء الحكم الوحيد للذوق الأدبي. ولكن هذه الحقبة كانت قصيرة، وسرعان ما بدأت المشاكل تظهر في فضائها. وكان قمع التمرد الديسمبري من قبل نيقولاى الأول (١٨٢٥-١٨٢٦) بمنزلة ضربة قاتلة للنخبة النبيلة الفكرية. في الوقت نفسه، تسمم جو القرن الثامن عشر النظيف؛ فقد جلب الجيل التالي من الشباب براعم المثالية الألمانية إلى روسيا. وبدأ الصحفيون الذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا ويتبنون مطالب أدبية أكبر ووجهات نظر أكثر تقدمية يسيطرون على الصحافة ويكتسبون شعبية لدى

القراء. وأدت الرومانسية الفرنسية بذائقها الرديئة الجامعة إلى تسميم الهواء الثقافي. وبعد الزخم الذي قدّمه والتر سكوت، ابتداء من عام ١٨٢٩، باتت مبيعات الروايات أفضل من مبيعات الشعر.

بعد زواجه في عام ١٨٣١ أصبح بوشكين زعيماً للأرستقراطية الأدبية المحافظة لم يعد الشباب شباباً، وانتهى صيف العصر الذهبي. وبعد عام ١٨٣١، هيمن حشد من الدجالين والدخلاء على الأدب على المشهد الأدبي في سان بطرسبرغ، أما في موسكو فقد ظهرت حفنة من المثقفين الجدد الذين كانوا يحترمون بوشكين كحقة أثرية، لكنهم رفضوا تقاليدهم، واحتقروا أصدقاءهم، وصدّوا قراءة أعماله الجديدة.

في عام ١٨٣٤ ظهر أول مقال لبيلنسكي بعنوان "بيان لعصر جديد من الحضارة الروسية." وفي عام ١٨٣٧ حينما توفي بوشكين، كانت روسيا قد قطعت شوطاً كبيراً في الاتجاه الجديد. وأما من بقي على قيد الحياة بعد بوشكين مثل جوكوفسكي، وباراتينسكي ويازيكوف وفياتيمسكي فقد غدوا مجموعة صغيرة معزولة منسية في عالم غريب ومعادٍ.

خصائص العصر الذهبي

في القرن التاسع عشر

حدّث الأدب مرة أخرى شكله وأسلوبه، وبدأت اتجاهات غير معروفة سابقاً في التطور، شملت الابتكارات الإبداعية بالانتقال من العاطفية إلى الرومانسية، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالقضايا السياسية. وقد تأثر الشعر بهذا الاتجاه بصورة متميزة.

ولد كثير من القصائد الرائعة عن الحب. وحاز الشعراء والكتّاب على لقب الأنبياء بفضل الأعمال ذات الدلالات الفلسفية المشبعة بمنطق الخالق، فكان للإبداع تأثير قوي في الوعي الذاتي ورؤية الشخص للعالم.

في الوقت نفسه، وضعت مسؤولية جسيمة على عاتق أساطين الفن لأداء الدور الذي قبلوه للتنوير والتعليم. وتطور النثر كوسيلة للتعبير عن الأفكار، واستلهم الكتاب أعمالهم الثرية من روايات العبقري الإنجليزي والتر سكوت وغيرها من روائع الأدب الإنجليزي، وبدؤوا في الترويج لهذا الاتجاه

في روسيا. كانت الفكرة ناجحة، واحتلت مكانة مهمة في أدب القرن التاسع عشر.

تطور الأدب الساخر

بهذه الطريقة، صُوِّرت أوجه القصور الرئيسية في المؤسسات الاجتماعية ورُكِّز على الرذائل البشرية. كما بدأ استخدام طريقة مجردة وغير عادية في كتابة القصص، من خلال مواقف مخالفة للمنطق في بعض الأحيان، وهي مزيج من أمور متباينة غير قابلة للتوافق. وتجلت السخرية من أمور وظواهر معينة في أبشع صورة ممكنة.

الدور المهم للأعمال الواقعية خلال أزمة خاصة من العبودية خلال هذه الفترة الزمنية كشف الأدب النقاب عن الأحداث الفظيعة والقاسية التي كانت تحصل بالفعل. وتركز اهتمام الجمهور على مشاكل الطبقات الفقيرة في المجتمع وشراسة وتجاوزات السلطة البرجوازية. نهاية الحقبة، ما بعد الاضطرابات والتغيرات في النظام السياسي: أصبحت الواقعية أمراً ثانوياً وطغى اتجاه التصوف والتدين على الإبداع فغدا الاهتمام أكبر بما يتعلق بالمستقبل المفترض

والتغيرات القادمة. ومع مرور الوقت، أضحت الأعمال الأدبية ذات طابع رمزي.

كان شعر العصر الذهبي مثيراً بتنوع أشكاله وكانت المواضيع الاشتراكية سبباً مباشراً للشعبية أكثر من شاعر وكاتب من أسياذ الحرف والقافية. إذ انعكس الكفاح من أجل حقوق المظلومين والمذّلين في عمل كل كاتب تقريباً، كما ألهم الإبداع عدداً متزايداً من الناس للتمرد والثورة.

أساطين الشعر والنثر في القرن التاسع عشر

نظراً للعدد الذي لا يحصى من المبدعين في العصر الذهبي، فقد ارتأيت أن أسلط الضوء على أشهرهم لهذه الفترة: على سبيل المثال؛ الأكثر شهرة منهم، عبقري الأدب وشمس العصر الذهبي للأدب الروسي ألكسندر بوشكين.

حتى يومنا هذا، يعدُّ هذا الشاعر مؤسس الكلمة الأدبية الروسية، ومبتكراً غنائياً وفنان قافية موهوباً. ولأول مرة، غامر بوشكين بخلط نماذج لغوية مختلفة، وبدأ التجربة مع جميع الأنماط على اختلافها بفضل إبداعاته الخلاقة، فدخل التطور فضاء الواقعية الكلاسيكية. والجدير بالذكر أن روائع نابغة

الأدب مكرسة للعالم والظواهر والأحداث والفكر والفلسفة الإنسانية. وأصبح بوشكين نفسه مصدر إلهامٍ لكثيرٍ من الناس والشعراء المبتدئين في العصر الذهبي للأدب الروسي.

من المعروف أن يفغيني باراتينسكي وفاسيلي جوكوفسكي هما من أسس الرومانسية في الأدب الروسي في القرن التاسع عشر. وقد شب بوشكين على أعمالهما، كشاعر، وكذلك فعل كثيرون من الكتاب العظماء الآخرين.

ميخائيل يوريفيتش ليرمونتوف: عرفه العصر الذهبي للأدب الروسي بأنه شاعرٌ باطنيٌّ له روح تحضن الكون بسعتها وعالم داخلي عميق. تتخلل أعماله رمزية، وتداعيات سرية وفلسفة مشبعة بتجارب الشخصيات الرئيسية وأفكارهم وتطلعاتهم. هناك موضوع نلحظه في معظم أعماله هو مشكلة الوحدة وإرهاصات التوازن الروحي. أما الأنماط الرئيسية المستخدمة لدى ليرمونتوف فهي الرومانسية والواقعية.

أليكسي نيكولايفيتش بليشيني: نابغة في القصائد الديمقراطية الثورية، إلى جانب التصريحات الجريئة والدعوات لمكافحة الظلم، كان بليشيف مترجماً موهوباً لأعمال المؤلفين الأجانب المعروفين، وأول شخص بدأ في إنشاء أدب للأطفال في روسيا.

إيفان زاخاروفيتش سوريكوف: كانت فكرة أدب الريف "الفلاح" هي الأقرب إليه. ولأن الشاعر نفسه ابن تلك الفئة من الناس، فقد ساعد ذلك على كشف طاقاته الكامنة الإبداعية، وأعان غيره من الفقراء وشبه الأميين.

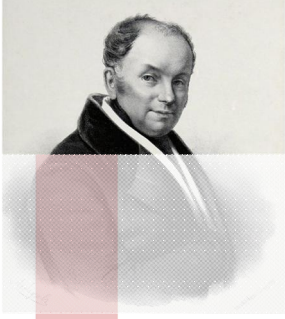
إيفان سافيتش نيكيتين: فنه متنوع، ويشمل الأنماط الاجتماعية والغنائية معاً، وقد تحولت قصائد كثيرة مما كتب إلى أغانٍ.

أفاناسي أفاناسييفيتش فيت: يمثل الغنائية الفلسفية، وهو في الحقيقة شاعر عاطفي مرهف الأحاسيس، وقد أبدع أعمالاً تضحج بالمشاعر والأفكار.

أبولون نيكولايفيتش مايكوف وأليكسي كونستانتينوفيتش تولستوي هما من ابتكر الروائع التاريخية، فكرس الأول عمله لليونان والبيزنطية، والثاني للتاريخ الروسي.

نيكولاي ألكسيفيتش نكراسوف: مبدع أدبي فريد، يمثل في أعماله رأي العامة.

فيدور إيفانوفيتش تيوتشيف: شاعر روسي، يتميز بالدينامية الخاصة والعاطفية في أعماله. على الرغم من الكم الصغير لإبداعاته، فقد تمكن من الكشف بشكل كامل عن العالم الداخلي لبطل الرواية، مرتفعاً فوق المفاهيم والتقاليد الاجتماعية السائدة.



فاسيلي جوكوفسكي

(١٨٥٢-١٧٨٣)

الشاعر الروسي الشهير والناقد
الأدبي والمترجم وأحد مؤسسي
الرومانسية في الأدب الروسي.

ولد فاسيلي جوكوفسكي في قرية ميشينسكويه بمحافظة
تولا (تبعد مسافة ٢٠٠ كم عن موسكو) في التاسع من شباط
فبراير ١٧٨٣ من أب إقطاعي كبير وأم تركية. وتلقى تعليمه
الابتدائي على يد أقرباء والده.

في عام ١٧٩٧ التحق جوكوفسكي بمدرسة داخلية تابعة
لجامعة موسكو، وهناك بدأ تجربته في نظم الشعر. ونشر أول
أعماله عام ١٨٠٢ في مجلة "فيستنيك أوروبية" التي كان
يصدرها المؤرخ والأديب الروسي كارامزين الذي كان وصياً
ثقافياً ومعلماً لجوكوفسكي وناقداً لأعماله لسنوات عديدة،

الأمر الذي كان له الأثر الكبير في إطلاق الطاقة الكامنة من مواهب الشاعر الشاب. وقد عمل في المجلة منذ عام ١٨٠٥ وبعد أربعة أعوام أصبح رئيس تحريرها.

وكان أول عمل ينشره في تلك المجلة مرثاة "مقبرة ريفية" التي تعدُّ ترجمة لثراء الشاعر الإنجليزي توماس غراي، واكتسب إبداع جوكوفسكي طابعاً رومانسياً منذ نشره لأناشيد "ليودميلا" و"سفيتلانا" و"كاساندرا" بين أعوام ١٨٠٨ - ١٨١٢.

أسهم الشاعر في خريف عام ١٨١٢ في المقاومة الشعبية لحملة نابليون لاحتلال روسيا وإخضاعها، وقد كتب خلال هذه المرحلة اثنين من أشهر أعماله، وهما "رسالة إلى الإمبراطور" و"قصيدة" منشد في صفوف المحاربين الروس.

في عام ١٨١٥ انضمَّ جوكوفسكي إلى عصابة "أرزاماس" الأدبية. شهدت أعوام ١٨١٠ - ١٨٢٠ ازدهاراً في إبداع الشاعر فكان، من أهم أعماله أنشودة "ليودميلا"، وفيها يكشف جوكوفسكي عن مزاجية غنائية في حياته، وكذلك أنشودة "سفيتلانا"، وهي عبارة عن ترجمة إبداعية لعمل الشاعر الألماني ج.أ. برغر "ليونورا".

لقد أتاحت موهبة الشاعر الفطرية له ترجمة أفضل قصائد الأدب العالمي. فهو أول من كشف أسلوب الحكاية الألمانية التقليدية، ونقل سحر قصيدة غوته "قيصر الغابة" من خلال ترجمتها إلى الروسية.

كتب الأنشودتين "قيثار أيول" عام ١٨١٤، و"فاديم" عام ١٨١٧، و"العذارى الاثنتا عشرة النائيات" والقصائد الرومانسية "لون العهد" عام ١٨١٩، و"البحر" عام ١٨٢٢ وغيرها.

في عام ١٨١٧، حدث تحول مهم آخر في حياة جوكوفسكي، حين أصبح الشاعر مدرس اللغة الروسية للأميرة ألكسندرا فيدوروفنا، التي أصبحت إمبراطورة فيما بعد، كما أنه كان مريباً للإمبراطور ألكسندر الثاني في طفولته حتى سن البلوغ.

ازداد نفوذه في حاشية القيصر، الأمر الذي مكّنه من تخفيف القيود على حركة ونشاط الشاعر ألكسندر بوشكين الذي نفي إلى شماليّ روسيا، وكذلك تمكن من تحرير الشاعر الأوكراني تاراس شيفتشينكو من قيود القنانة، وتخفيف العقوبات عن بعض المتمردين "الديسمبريين".

كان الطريق الإبداعي لفاسيلي جوكوفسكي شائكاً وصعباً. فحين أدرك أنه لا الشعر ولا النثر يضمنان العيش الكريم،

عكف على الترجمة من اللغات الألمانية والإنكليزية. وحظيت
موهبة جوكونفسكي في هذا المجال بتقدير كبير من قبل
المعاصرين له، بما في ذلك بلاتون بيكيتوف، صاحب أكبر
مطبعة موجودة.

ترجم عن الإنكليزية لكثير من الشعراء الإنكليز، من
أشهرهم جورج بايرون وجون ميلتون وأوليفر سميث وجون
درايدن وتوماس غراي وتوماس كامبل ووالتر سكوت.
وترجم أيضاً عن الألمانية لنخبة شعراء أمثال: لودفيغ أولاندو
يوهان فولغانغ غوته وفريدريك شيللر وفريدريك ريوكيرت
وياكوب وفيلهيلم غريم وغوتفريد بيورغر، وغوتليب بيفل
ويوهان هيردر، ويوهان هيل، وفريدريخ فون ماتيسون،
وفريدريخ فوكه وألبرت فون شامسو، وكارل كرينر.

في أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر ساءت علاقته مع الأسرة
الحاكمة، فهاجر إلى ألمانيا، واستقر في بادن بادن، وهناك كتب حكاية
"الأمير إيفان والذئب الرمادي"، كما نقل إلى الروسية أعمالاً شهيرة
مثل ملحمة "رستم وزهراب" الفارسية، وملحمة هوميروس
"الأوديسة" الإغريقية، وحكاية "نال ودامايانتي" الهندية.

توفي فاسيلي جوكوفسكي في مدينة بادن بادن الألمانية في ١٢ نيسان عام ١٨٥٤ ونُقلت رفاتة إلى مدينة بطرسبورغ الروسية ودفنَ في مقبرة كاتدرائية ألكسندر نيفسكي.

العلامات الفارقة في أدب جوكوفسكي

كانت الاتجاهات الرئيسية في الشعر الغنائي الرومانسي لدى جوكوفسكي هي الأناشيد والمراثي والأغاني والرسائل الودية. وهنا خدمته موهبة الإنشاد في الإفصاح عن مفاهيم جديدة ومشاعر حقيقية وصادقة ضجت بها روح المؤلف، وأغنت لغة الشعر. هذه البصمة المتميزة من الحزن الصامت واللحن وانفعالات الروح الصادقة والنشيد الذي يتردد في الكون وفي قلب نشيد الجمال الخالد لقيت صدى في قلوب المعاصرين لجوكوفسكي. فهم كانوا يدركون ويحبون ويؤمنون بأن الشاعر يكتب فقط ما يشعر به، وكانوا يفهمونه ويشعرون بأحزانه وآماله الشخصية، لأن الرومانسية تعري الأحاسيس، وتجعل كل ما خفي واضحاً وقريباً من الجميع.

يعترف الشاعر نفسه: "أنا عشت كما كتبت: بقيت نظيفاً في أفكارى وأفعالي". سميت غنائيات جوكوفسكي مرثيات، لأن مشاعر وأفكار الشاعر، عبّر عنها أولاً وقبل كل شيء في المرثية

كأحد الأشكال الرئيسية للشعر الغنائي الجديد، والقصائد المشبعة بالحزن والتأمل والذكريات المشرقة للكاتب عن الأيام والأحداث الحزينة والبهيجة في الماضي، وعن الأقارب والأصدقاء الذين رحلوا، وعن الحب الضائع.

لقد أطلع جوكوفسكي المجتمع الروسي على أحد أكثر القوالب الشعرية المفضلة لدى الرومانسيين الغربيين وهو الأنشودة. وعلى الرغم من أن هذا النموذج الشعري ظهر في الأدب الروسي قبل جوكوفسكي بـ ١٠٠ سنة، كان أول من جسّد سحرها الشعري، وجعلها أكثر شعبية. علاوة على ذلك دمجَ شاعرية الأنشودة مع جماليات الرومانسية، الأمر الذي جعل أسلوب الأنشودة علامة مميزة للرومانسية.

ما هو مفهوم الأنشودة؟ ولماذا اهتم جوكوفسكي بهذا النموذج؟ الأنشودة هي قصة شعرية قصيرة لشخصية بطولية أو تاريخية في أغلب الحالات يعرض موضوعها في قالب غنائي يضحج بألوان قوس قزح. كتب جوكوفسكي ٣٩ أنشودة، منها خمس من إبداعه، والباقي مترجمة ومنقولة.

زائر غامض

من أنت، أيُّ هذا الطيف، الضيف الرائع؟
من أين أتيت إلينا؟
ولماذا غادرتنا بصمتٍ أخرس؟
أين أنت وأين هي قريرتك؟
ما حكايتك؟ وأين اختفيت؟

ولماذا تجليت على الأرض

من علياء سمواتك؟

* * *

أولست أنت الأمل الفتي

القادم أحياناً.

من أرض مجهولة

تحت وشاح سحري؟

يا لها من ساعة فرح

وهبتها لنا

حين مررت قربنا وغادرتنا غير مشفق علينا.

* * *

لعمرى، أأست من تجلى لنا فى السر بصورة المحب؟

حينا كان العالم يبدو لنا بديعاً

آه! لقد كنا نراه من خلال غطاء إلهى،

وحين زال الغطاء... تلاشى الحب

وعادت الحياة فارغة

والسعادة محض حلم.

* * *

أليس الفكرة الخيالية الساحرة

من تجلى فىك لنا

بعيداً عن الضوضاء

ترتاح سبابتها على شفيتها، حاملة

تزورنا مثلك، وتقودنا إلى الماضي

خلفها ... بصمت.؟
أم إنَّ الشعر القدسي فيك تجلَّى؟
هبط علينا مثلك من الفردوس الإلهي
حاملاً غطاءين:
أحدهما لازوردي بهيج للسماء
وآخر نظيف، أبيض للأرض
كل شيء قريب معه رائع،
وكل شيء بعيد عنه مألوف

* * *

أم إنَّ إحساساً بما سيأتي
في صورتك ...
تحدث بوضوح
عن السماء وعن الأقداس؟

غالباً ما يحصل في الحياة
أن يطير إلينا كائن طاهر،
يرفع الغطاء عنا ويغرينا بالبعيد

مساء

(مرثاة)

جدول يتلوى فوق الرمال البيضاء
كم هو لطيف إيقاعك الهادئ
يا لتألقك وأنت تنساب صوب النهر!
تعالى يا ربة الإلهام الطيبة،

في إكليل من الورود النضرة، مع مزمار ذهبي.

انحنى بعناية فوق المياه الرقراقة،

و حين توقف الألحان المساء الغارق في الضباب

أنشدي

في أحضان الطبيعة النائمة

أي غروب أسر، حين تتوارى الشمس خلف الجبل

عندما تكون الحقول في الظل والبساتين بعيدة

وفي مرآة الماء، يتراقص خيال المدينة
بألق قرمزي.

عندما تنطلق القطعان من التلال الذهبية نحو النهر،
يتناهى إلى السمع صوت شباك رماها
صياد يجري قاربه الصغير
بمحاذاة الشاطئ بين الشجيرات

عندما يجتمع السباحون في زوارقهم الصغيرة،
يشقون بمجاديفهم الطريق خلال تيارات الماء.
وبعد أن تَشُقُّ المحاريث الأُخاديد المملأى بالصخور
يغادر الفلاح حقله

أقبل المساء... تلاشت أطراف السحاب،
وراح آخر شعاع من الشفق يلفظ أنفاسه على البرج،
وآخر تيار تلاًأ في النهر،
بات يخبو مع السماء التي غرقت في الظلام.

كل شيء هادئ: الحراج نائمة. السكون يغمر المكان
تمددت على العشب تحت شجرة صفصاف
أستمع إلى خرير ماء الجدول الذي تواري بين الشجيرات
وهو يصب في النهر....
كيف يذوب البخور في برودة النباتات!
وكم يملو صوت ارتطام الموجات بالشاطئ في غمرة السكون
وكيف يتأرجح النسيم على صفحة الماء،
وتتمايل الصفصافة الميساء!

خفيف القصب المتمايل برشاقة فوق النهر لا يكادُ يسمعُ
من البعيد يتناهى صياح الديكة موقظاً القرى الغافية
أسمع صرخة غريبة

لعله أنين فيلوميلا في الغابة...
ما الأمر؟ أي شعاع سحري لمع في البعيد؟
لقد توهمت حذبات الغيوم الشرقية؛

والغدير الرقاق بدا كما لو أن شرراً تهاوى عليه
وفي النهر، تنعكس أشجار السنديان

الهلل بضوءه المقهور يرتفع من وراء التلال.
يا نور السماوات الغافية،
كيف يتموج بريقك في غسق الغابة،
ويجعل ضياؤك الشاطيء يلمع ذهباً شاحباً!
في روح أحلامي. أجلس متأملاً.

أطير بذاكرتي إلى الأزمان الخالية

كيف احتجبت أنت بتلك السرعة،

يا ربيع أيامي

مع لذاتك وآلامك!

أيها الأصدقاء، هل ستكونون في صحبتي؟

هل شاءت الأقدار ألا نلتقي ثانية؟

هل جفت ينابيع المسرات قاطبة؟

آه، عليك أيتها الملذات الصريعة!

أيها الأخوة! أيها الأصدقاء! أين هي حلقتنا المقدسة؟

أين هي الأغاني اللاهبة التي تنشد الفكر والحرية؟

أين هي أعياد باخوس في ضجيج عواصف الشتاء الثلجية؟

أين القسم الذي أديناه للطبيعة،

الحفاظ بالنار على خلود الأخوة؟

وأين يجد طريقه

من فقد صحبه، وأثقلت كاهله الشكوك،

وخيبة أمل في روحه،

يجر جر المحكوم أقدامه إلى هاوية القبر؟

واحد - في لحظة عابرة استغرق في نوم أبدي

وراح الحب يذرف الدموع على تابوته المبكر.

وآخر... يفكر في عدالة السماء!

ونحن... كيف نجرؤ على إنكار بعضنا بعضاً؟

أتعتقد حقاً أن نظرة حسناء، أو السعي للمجد،

أو الإطناب لشرف فارغ
أيمكن لها أن تمحو الذكريات

عن أفراح الروح، عن سعادة أيام الشباب،
المكرسة لربات الإلهام
وللصداقة والحب؟
لا، لا! دع كل ابن آدم يسعى إلى قدره،
ولكن في قلبه يجب من يتعذر نسيانهم

لقد حكمت الأقدار لي: السير في دروب مجهولة،
أن أكون صديقاً للقرى الآمنة، وأن أعشق جمال الطبيعة،
أن أتنفس في الأسحار صمت السنديان
وأملأ النظر من زبد الماء

أن أغني للخالق والأصدقاء والحب والسعادة
أغنية ولدت طاهرة من براءة القلب
طوبى لمن يجي بالنأي
ساعات هذه الحياة العابرة!

في صباح هادئ، عندما يستريح دخان ضبابي
في الحقول ويغمر التلال

وتسكب الشمس ضياءها بهدوء عبر البساتين الزرقاء

من يغادر مبتهجاً مسكنه الريفي،

مسرعاً إلى غابة البلوط ليشهد صحوة الطيور،

وتناغم المزهرة ومزمار الراعي،

طوبى لمن يغني لبعث الضياء!

الغناء ديدني،

ولكن، إلى متى؟

من يدري؟

آه! قريباً، ربما سيأتي (البين) إلى هنا

في ساعات المساء

مع مينا المملة

ليحلم فوق ضريح صامت لفتى مجهول!

كما سبق أنْ أشرت إلى أنْ جوكوفسكي أحد مؤسسي الرومانسية الروسية، وقصيدة "المساء" هي مثال للمرثية الرومانسية الجديدة، يعكس الوحدة لوصف الواقع المحيط وتحليل عالم البطل الداخلي النابع من التجربة الشخصية للشاعر. تبدأ القصيدة بوصف رومانسي للمناظر الطبيعية المحيطة؛ البطل، وهو جالس على ضفاف النهر، مسرور بما يشاهده، مثل الرسام، ممسكاً بريشته، ينشد بالألوان أمسية رائعة، وحلاوة تناغمها. يملأ السلام والهدوء روح الشاعر. الطبيعة تعيش حياتها الخاصة، السعادة هي الوجود في وحدة وتناغم مطلقين مع الشريعة الإلهية للنظام الكوني، إذ استبدلَ النهار بالليل، والحقول والبساتين تغفو بسلام، والصيادون والفلاحون يعودون مع حلول الظلام إلى منازلهم، بعد أنْ أنجز كل منهم من العمل ما سمحت به قدراته الجسدية وساعات النهار

غير أنه، تدريجياً، يحل الحزن مكان البهجة والدهشة. فيتذكر الشاعر الأصدقاء الذين أمضى معهم شبابه، في سنوات ملأى بوحدة النفوس المتآخية والفرح والحرية. الحياة عابرة، كل شيء يمر، ورغم أن صداقة الماضي لا تزال تلهب مشاعر البطل،

يتخلل الشعور بالوحدة السطور. الأصدقاء يذهبون بطريقتهم الخاصة، بعضهم أدركه الموت المبكر، وبعضهم الآخر غارق في دوامة الحاجات والرغبات الدنيوية، ولم تعد عهود الصداقة الأبدية تثير قلوبهم كما كانت من قبل. مصير الجميع هو أن يعيش كل شخص حياته بمفرده مع المجهول والشك في كل شيء.

ولكن، عند التفكير في الأصدقاء، فإنه، يرى أنه رغم سلوك كل منهم طريقه الخاص، سيحافظون على حب أحدهم للآخر، ويعرج الشاعر على حالته، فيؤكد لنا أن قدره هو الإعجاب بالعالم الذي يحيط به وتمجيد الجمال في صور شعرية بديعة.

لا أحد يدري كم من الوقت خصصت له الأقدار كي يعيش ويغني، لكن البطل يسلم بهذا الأمر راضياً. فهو يرى أن الخضوع للقدر يحرر الروح من الأفكار السوداوية، ويعيد السلام والسكينة إليها كما كانت. وأخيراً نرى أن الشاعر عاد في وثام مرة أخرى مع الحياة التي لن يكون فيها مكان للتناقضات، وألم الوحدة، والنسيان والفراغ، إذا سرت في إثر قدرك.

البحر

(مرثاة)

أيها البحر الصامت، البحر اللازوردي،
أفـف مفتوناً بلـجـتـك
أنت تـضـج بالحياة، أنت تـتـنـفـس حـباً هائـجاً
يلـفـك القلق

- البحر الصامت، البحر اللازوردي:

هـلا كـشـفـت لي سـرك العميق

وما الذي يبتغيه حـضـنـك العـظـيم؟

وكيف يتنفس صدرك المتوتر؟

أم إن السماء البعيدة المشرقة تجذبك إليها

لتحررك من أصفاد الأرض؟

حياتك مـلأى بالحلاوة والغموض.

إنك تذوب بلازوردية السماء اللامعة،

تتوهج مع حمرة الشفق وألق الصباح،
تداعب غيومها الذهبية
وتتراقص نجومها في أمواجك.
وحينما تتجمع الغيوم السوداء،
لسترق منك السماء الصافية
أنت تقارع، أنت تدوي، وتدفع الأمواج عالياً،
تشق وتمزق السديم الغادر
وتنتهي معاناتك،

ولكن قلق الأيام الخالية يدفعك،
لقذف الأمواج المرتعدة عالياً،
والألق البديع للسموات التي عادت إليك.

ليس من الضروري أن يعود السكون إليك؛
وإن بدا سطحك هادئاً فهو خادع؛
فأنت تخفي عنفوانك في لجتك الخرساء،
وأنت تتأملينه أيتها السماء بإعجاب،
كأني بك ترثجين في إثره

أنشودة عربي على قبر حصانه

هذا الصديق الذي لم تتفوق عليه الريح في السهول،
إنه نائم،

لقد انهار على فراش مائج من رمال الصحراء

يا صاحب الدرب، شاركني حزني

قيصر السبق يفترش الثرى

لم يعد يتنفس

ولا يسمع فارس الصحراء الرهيب.

لقد لقي حتفه في غمرة السجال من سهم انغرز في عنقه؛

والدم النبيل سال غزيراً من جراحه

هذا الصديق الذي لم تتفوق عليه الريح في البراري،

إنه نائم - على فراش من رمال الصحراء

لقد نال سيفي من قاتله

وتدحرج الرأس بعيداً على الرمال

والحديد تذوق طعم الدم

والجثة تتحلل في الصحراء بلا مجد

لقد طار إلى المعركة يسابق الرياح؛

ثلاث مرات هتفت له، دعوته: رفيقي، انهض!

لكن ندائي ذهب أدراج الرياح

قوى صديقي تلاشت ...

والعظام المحاربة أمست رهينة القبر.

هذا الصديق الذي لم تتفوق عليه الرياح في الفيافي،

إنه نائم - في فراش من الرمال دائمة الترحال.

منذ ذلك اليوم البغيض، اليوم الرهيب

لم تعد الشمس تضيء عالمي

نسيت انتصاراتي

ولم تعد هناك قوة في الجسد

أهيم على وجهي وحيداً، ساهم الطرف، مكتئباً

واليمن الذي كان حتى ذلك اليوم أرضاً عزيزة

لم يعد وطناً، بل قبراً لي؛

ودرب النوق أضحى نسياً منسياً

وشجرة اللبان ببخورها والخيمة المقدسة.



هذا الصديق الذي لم تتفوق عليه الريح في البراري،

إنه نائم - لقد انهار على فراش مائج من رمال الصحراء.

إنه كان يحملني في ساعات الحر والقر؛

حيث ظلال الأشجار الوارفة وحيث الينابيع الجارية؛

لن أنس حوافره تطأ العبيد

وصدره الذي حماني من سهام الأعداء

حليفي الأمين في الحرب والسلام،
كان يضح حيوية، منذ الخيوط الأولى للفجر،
وينطلق كالسهم بمشيئتي
سواء للقاء الحبيب أو لقراع الأعداء.
يا صديقي! الذي لم تتفوق عليك الريح في البراري،
أنت نائم - تهالكت على فراش من رمال الصحراء المتحركة.

ورأيت أنت زارا - طوبى لتلك الساعات!

كنز القلب وآية في الحسن

شفاهها دعتك إليها

ويدها الناعمة لاطفت ظهرك؛

آه! أذكر أن زارا كانت خجولة كالغزال؛

وكيف أزهرت كنخيل الوادي؛

لكن زارا التي أسرت الغريب بحسنها
واختفت ... وبقيت أنت ملازمالي،
هذا الصديق الذي لم تتفوق عليه الريح في البوادي،
ينام - هوى على فراش من رمال الصحراء المرتحلة

يا رفيقي! صديقك يتوق إليك،

وقريباً سيضمنا قبر واحد،

وسنغفو معا في مأوى من فرح؛

وستلفنا أنفاس برودة القاع

وقريباً، سيجلجل صوت اليوم العظيم،

ستتشلني من النعش المغبر،

مهيباً، عزيزاً، بحسبك الخالد،

وستنطلق أنت سابقاً الريح

في درب الشمس اللاهبة

كاساندرا

(للشاعر الألماني فريدريك شيللر)

ترجمة الشاعر الروسي فاسيلي جوكوفسكي

كل شيء في مملكة بريام

كان يبشر بقرب ساعة الزفاف

رائحة الورود والبخور،

أناشيد العذارى وألحان المزهري

عاصفة المعركة السابقة في سبات

الترس والسيف والحصان اليوم في راحة

وبيليد وبوليكسينا^(١)

في ثياب أرجوانية.

(١) بولكسينا: ابنة بريام ملك طروادة، وقع أخيل بطل القصيدة في حبها وكان مستعداً للانضمام إلى الطرواديين وقتل غدرا بيد أخيها باريس، حين جاء أعزل من غير سلاح إلى تيمبرا لعقد قرانه عليها.

العدارى والشبان

تزين رؤوسهم أكاليل الزهور
يسيرون على السجاد المزركش
في طريقهم إلى المعبد
والشوارع تفوح برائحة البخور
والبيت الملكي في حلته الذهبية
مرة أخرى السعادة تملأ مدينة بيرغام
وحدها كاساندررا في غمرة الحزن.



هربت ابنة بريام بعيدا عن نغمات المزهري

وعن البشر

ولجأت إلى غابة أبولو العجوز

مكللة بالغار

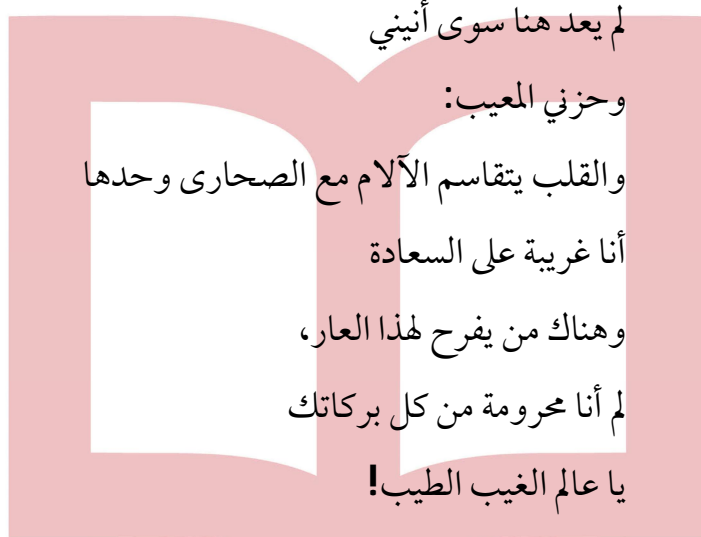
نزعت الغطاء الكهنوتي عنها

وكرّافة مقدسة

راحت تكيل اللوم للآلهة:

" هناك أمواج المرح الصاخبة
تعمر نفوس الجميع والديار
أمي وأبي يملأ قلبيهما الأمل
وأختي اقتيدت إلى المعبد.
لماذا حرمت وحدي من الأحلام
الخوف يملكني من الفرح هناك؛
أرى، أقسم أنني، أرى:
الموت بجناحيه مسرعاً نحو بيرغام.

أرى مشعلاً - يتوهج
ليس في أيدي العذارى
وليس لهب الأضاحي من يصبغ
السحب المتكاثفة حمرة
أرى الاستعدادات للوليمة
لكن ... الحزن في السماء،
أسمع وقع خطوات الآلهة،
تنبئ بالمصائب.



لم يعد هنا سوى أنيني

وحزني المعيب:

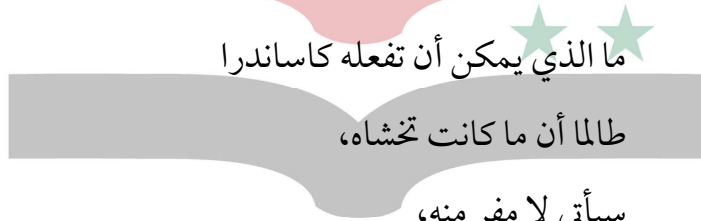
والقلب يتقاسم الآلام مع الصحارى وحدها

أنا غريبة على السعادة

وهناك من يفرح لهذا العار،

لم أنا محرومة من كل بركاتك

يا عالم الغيب الطيب!



ما الذي يمكن أن تفعله كاساندرنا

طالما أن ما كانت تخشاه،

سيأتي لا مفر منه،

وقد يكون سبب هلاكها.

وهل هناك أمل بالنجاة

إذا ما رأوا الخطر القريب بأعينهم؟

الجهل فقط هو الطريق إلى الحياة؛

والمعرفة هي الموت المحتم لنا
يا أبولو، خذ عطاءك الخطير
فانا لا أحتمل أن تغدو الحقيقة
ذهباً قاتلاً....

نسيت الشاء على الفرحة التي تغمري
لكوني صرت عرافتك.
ونسيت حلاوة العمى الراحل

وبؤس الأيام السالفة،

الذي وهبني المستقبل

لكنه حرمني بهجة الحاضر...

والملذات اختفت معك!

لن يلامس يوماً هامتي خمار الزفاف

وإني لأرى شعلة جنازة

أرى: التابوت المبكر مفتوحاً.

لقد أضعت صباي الملول مع عائلتي

في الشوق -

آه، هل يمكنني مشاركتهم فرحتهم

وأنا أرى من بعيد، حزنهم؟

الانتظار يلاطفهم

والحياة، الحب أمامي؛

-السحر في كل مكان -

أنا وحدي من ماتت روحها

والربيع لم يعد يهمني؛

والعالم المزهر بات خاوياً وموحشاً

آه! كم هي الحياة قبيحة

لمن توغل في أعماقها!

يا حللوة حظ بوليكسينا!

ها هي يدا بيد مع عريسها،

نظراتها تتقد حباً،
والفخر يملأ جوارحها
تعلم أنها لن تنال رغبته:
ففي أحلامها الذهبية
لن تقبل بالخلود
بديلاً للحظة واحدة مع الحبيب.

لقد نال حبي من

كانت تنتظره الروح
ذلك الكائن الذي اتجهت أنظاره إلي
ملاى بالشوق العارم

لكن - نشيد زفافنا
لن يرعد أمام الألهة.

الأرواح في حشد شاحب

غادرت الجحيم المظلم
وطارت أمامي وخلفي
وعلى وجوه الشباب
كانت تزرع الرعب خلفها
وخلال سماعي لهتافات الفرح
كنت أسمع نواحهم فوق القبور

هناك بريق خنجر خفي

هناك أنظار القتلة تشتعل

هناك لدغة غير مرئية

وسم يهدد بالموت

ورغم معرفتي وحدسي

أنا أسير في الطريق المروّع

سوف تسقط أيها الوطن؛

وأنا سوف أجد نعشاً في أرض غريبة...."

كانت الكلمات ما تزال تتردد
فجأة... ضجت الغابة المقدسة
وهُرعت عرائس الأثير معلنة
"مصراع أخيل العظيم"
وراحت ربة الانتقام تلوح بثعابينها،
وانطلقت الآلهة إلى السماء....
وراحت تنظر إلى بيرغام. متوعدة بالعقاب.



الهيئة العامة
السورية للكتاب



ألكساندر سيرغيفيتش

بوشكين

(١٧٩٩-١٨٣٧)

(شمس الشعر الروسي)

الشاعر الروسي العظيم، والقاص المبدع

ألكساندر بوشكين هو مؤلف الأعمال الخالدة في الشعر والنثر: روايات "يفغيني أونيجين"، و"دوبروفسكي" و"العاصفة الثلجية وابنة الكابتن" والقصائد الشهيرة "رسلان وليودميلا"، و"سجين القوقاز" وقصة "ملكة البستوني"، والعديد من القصص للأطفال.

ولد ألكساندر سيرغيفيتش بوشكين يوم ٦ حزيران (حسب التقويم القديم في ٢٦ أيار) في موسكو في عام ١٧٩٩ في عائلة نبيلة. كان الجد الأكبر للشاعر أبرام بتروفيتش هانيبال من أم إفريقية، وهو تلميذ وخادم القيصر بطرس الأول.

ولما كان لألكساندر في الأسرة أخ (ليو) وأخت (أولغا)، فقد أمضى بوشكين معظم وقته (ولاسيما في الصيف) مع جدته في قرية زاخاروف، بالقرب من موسكو. اختارت الجدة للصبي ألكساندر مربية اسمها أرينا روديونوفنا ياكوفليفا، لقتته اللغة الروسية بطريقة عبقرية، فهو لم يكن يتكلم الروسية بل اللغة الفرنسية التي كان يتقنها، وخلال بضع سنين استطاعت المربية أن تزرع في رأسه اليافع الكثير من جمال اللغة الروسية وكنوزها ثم صقلت شخصيته في الفترة التي التحق فيها منذ عام ١٨١١ بمدرسة تسارسكويه سيلو (قرية القيصر). ما أثمر عن كشف صارخ لمواهب الفتى إذ نُشرت قصيدته "إلى صديقي الشاعر" عام ١٨١٤ وفي الفترة نفسها قُبِلَ الشاعر في المجمع الأدبي "أرزاماس".

بعد تخرجه عيّن في رابطة الشؤون الخارجية، ولكن الخدمة الحكومية لم ترقه، وكان اهتمامه بصورة أساسية بالحلقات الأدبية والتواصل مع مجتمع كتاب بطرسبورغ. في عام ١٨١٩ انتسب ألكساندر سيرغيفيتش إلى الرابطة الأدبية (المصباح الأخضر) المقربة إلى حركة الديسمبريين

(المناهضة للسلطة)، ومن هنا بدأت السياسة تتغلغل في فكره، وانعكست بوضوح في أعماله "الانعتاق" و"رسالة إلى تشاداييف" و"القرية"، وكان ذلك كافياً لنفيه إلى سيبيريا لولا تدخل المؤرخ كارامزين لدى الإمبراطور، فأنتهى الأمر بنفيه إلى الجنوب، وهناك أنجز قصيدته الأسطورية "روسلان وليودميلا". وبعد أن قرأ الشاعر الكبير جوكوفسكي (معلم بوشكين) القصيدة أهداه صورته وقد كتب عليها: "إلى التلميذ المنتصر من المعلم المهزوم"، وهذا اعتراف بالغ الأهمية بعبقريته بوشكين...
وخلال ترحاله في الجنوب وإقامته لفترات مختلفة ما بين شبه جزيرة القرم والقفقاس كتب "أسير القفقاس" و"نافورة باختشساراي"، وبدأ العمل في روايته الشعرية الأشهر "يفغيني أونيجين".

نفي بوشكين لفكره المحب للحرية، وقضى عامين في قرية ميخايلوفسكويه في محافظة بسكوف، وعاش تلك الفترة في شبه وحدة، وكان لمربيته أرينا روديونوفنا التي كانت تُغني مخيلته بالحكايات والأغاني الشعبية أثراً كبيراً في ظهور عدد من أعماله الشهيرة، وأهمها تراجيديا "بوريس غودونوف" التي تعدُّ مرحلة تجديد في إبداعه.

في عام ١٨٣٣ أقام بوشكين في بودينو حيث أنهى "قصة بوغاتشيف"، وكتب حكاية الصياد والسمكة وحكاية الأميرة الميتة والفرسان السبعة وقصيدة "الفارس النحاسي"، وبأشهر بعدها في عمله الشهير "بنت البستوني".

وفي عام ١٨٣٦ سمحت السلطات لبوشكين بتأسيس مجلة "المعاصر" التي كان ينشر فيها أعماله، وكذلك أعمال المشاهير أمثال نيقولاي غوغل وفاسيلي جوكوفسكي وإيفان تورغينيف، وأخيراً نشر في هذه المجلة روايته "ابنة الكابتن".

أثرت أعمال أساطين الأدب الروسي الكلاسيكي مثل باتيوشكوف وجوكوفسكي وفونفيزين وراديشيف كبير في أعمال بوشكين الشاب، وكذلك الكتاب الأجانب فولتير وإيفاريست بويز.

في اللون والجو الذي يخلقه أدب بوشكين، تم مقارنته مع موتسارت وموسيقاه.

لم يكن فناناً ماهراً وحسب، بل كان أيضاً مفكراً رائعاً، تغلغل بوشكين في أعماق قوانين الحياة الخفية. وهو القادر بكلمات معدودة على التعبير عن تلك الأفكار التي لم تفقد سحرها وأهميتها حتى يومنا هذا والتي تستحق دراسات أكاديمية واسعة.

وتجدر الإشارة إلى أن أحد أسباب تأخر شهرة بوشكين في الخارج هو صعوبات الترجمة. ومع ذلك، فقد بدأ القارئ الأجنبي تدريجياً مسيرة الاطلاع على تراث بوشكين ودراسته، وأخذت تماثيله تنتصب في حدائق وساحات كثير من الدول في القارات المختلفة.

وخير دليل على أهمية أدب بوشكين ما قاله الناقد الأمريكي أ. وايل: "بوشكين هو أعظم شاعر، والشعر، كما تعلمون، تصعب ترجمته إلى لغات أجنبية. ولا سيما الشعر البوشكيني حيث كل التفاصيل مهمة، ولا مكان للديكورات في مشاهدته على الإطلاق، وحيث كل شيء يخضع لحركة المعنى.

وقد تحققت نبوءة غوغول، التي تؤكد أن بوشكين ظاهرة تاريخية. يضيء اسمه بجوار العظماء مثل دانتي أليجيري ووليام شكسبير وغوته وبايرون وشيللر والخيام.

انتهت حياة الشاعر العظيم في التاسع والعشرين من يناير (كانون الثاني) عام ١٨٣٧، إثر المباراة التي حصلت بينه وبين الفرنسي جورج دانتييس، فقد أصيب بجرح قاتل، ودفن في دير سفياتاغورسكي أوسبنسكي في محافظة بسكوف.

* * *

أيها البحر

وداعاً أيتها الطبيعة الطليقة
وأنت تتجلين أمامي للمرة الأخيرة
تدحرجين الأمواج الزرقاء
وتتألقين بجمالك الأخاذ....

وكما تجول بخاطري زفرات صديقي

الملاي بالأسى

ويحضرني نداؤه في لحظة الوداع...

تناهى إلى مسامعي لآخر مرة

صخب أمواجك الحزين

وصوتك الذي يناديني.

آه، إن جُلَّ ما تطلبه نفسي

هو أن أتجول على ضفافك

تتنازعني الأفكار
والصمت والضباب.

لكم أحببت نداءاتك
الضجيج الأخرس وهتاف الأعماق
وصمتك المحير في ساعات المساء
ونزواتك المتميزة

.....

أرى السفن التي استسلمت أشرعتها

لأهوائك ونزواتك

ناشدة رحمتك

ولكن حين بدا لك وهي تنساب بجرأة فوق أمواجك

أنها تتحداك

ثارت ثائرتك وأغرقتها جميعا

.....

لم أفلح بالابتعاد مرة وإلى الأبد
عن شاطئك المكتئب في وقفته الأبدية
فتقبل تهاني الصادقة لأنك انتصرت
وها هي جحافل شعري المهزوم
تهالكت صرعى على جبال أمواجك

لقد تناهى إلى مسامعي نداؤك
وأعرف أنك انتظرتني طويلاً

ولكنني كنت مكبلاً

وكانت روعي تتمزق في جحيم الصمت
وها أنا كما ترى أفق بين يديك مسحوراً
تلفني رغبة عظيمة بملازمة شيطانك

.....
علام الندم الآن

أبي طريق اخترت خالياً من الهموم
وهناك شيء واحد فقط فتنني

في صحرائك

كل صخرة من شاطئك المديد -

ضريح مجد غابر....

هناك

غطت في حلم بارد

ذكرى العظماء.

هناك انطفأت شموع نابليون

هناك انتهت حياته في دوامات العذاب

ومضى في إثره ...

مثل ضجيج العاصفة ... مبتعداً ...

عبقري آخر وأحد أسياد الفكر

غاب عنا وقد بكته الحرية

اختفى من عالمنا مخلّفاً تاجه

فثوري أيتها العاصفة ...

واهدر أيها البحر أسفاً عليه

لقد كان بحق شاعرك الأعظم ...

كم كتما متشابهين وكأنك أنت من خلقه

ربما كان جزءاً من روحك

فهو عظيم وعميق وعبوس مثلك

وجامح يتعذر ترويضه

لقد بات العالم خاوياً برحيله

فإلى أين تحملني أيها المحيط؟

لعمري، إن مصير الناس واحد أينما كانوا....

وحيث يكون الخير، يكون أحد اثنين

إما تضيء مشاعل الثقافة ...

وإمّا تستعر نار الطغاة

وداعاً أيها البحر! لن أنسى حسنك الباهر

وسوف يتناهى إلى مسمعي دهرأً

هديرك في ساعات المساء

.....

وأقسم إنني سأحمل بجوارحي

للغابات

وللصحارى

صخورك وخلجانك

بريقك وظلالك وحديث أمواجك.

* * *

وداعاً أيها البحر! لن أنسى حسنك الباهر

وسوف يتناهى إلى مسمعي دهرأً

هديرك في ساعات المساء

* * *

إلى تشاد ابيض

لم تدم أيام الحب والأمل والمجد الأثيل
لم نخدع طويلاً
لقد تلاشت معها دعابات الصبا،
مثلما يتلاشى الحلم،
كضباب الصباح

لا تزال جوارحنا مفعمة بالأمل

رغم السلطة المستبدة.

وبنفس الروح الشائرة ...

نتنظر نداء الوطن

بأمل

كما ينتظر العاشق الصب

لقاء حبيبته.

و...

حيث أنا من وقدة الحرية
وقلوب تحيا بنا مشرفية
يا صديقي؛ أرواحنا وهوانا
للتراب القدسي خير ضحية

يارفقي سيسطع الآن
في الأعالي....

نجم السعادة السرمدية

فوق أنقاض سلطة قد تهاوت

في مهب ربح بروجها القرمزية،

وسوف تعلو أسماؤنا شموسا

هربت من ضيائها فلول الدجية....

* * *

مقطع من قصيدة " إلى النبلاء "

لقد تغير كل شيء، فهل رأيت، رعتك الآلهة.

دوامة العاصفة، وسقوط كل شيء،

واتحاد العقل والغضب

والقانون الذي نصبته الحرية الرهيبة

لعمرك، إن فرساي وتريانون تنتظرهما المقصلة.

واللهو والمتعة تحولا إلى رعب.

والعالم قد تبدل على وقع رعود المجد الجديد

لقد صمت فيرني منذ أمد طويل.

وليس صديقك فولتير سوى مثالا صارخا لعبث الأقدار

فهو لم يهنا بالسكينة بعد موته،

وتراه متنقلاً من مدفن إلى مدفن آخر.

وبارون أولباه ومورليت وجالياني وديدرو

كلهم سقطوا في هاوية الموسوعة اليائسة.

وبومارشيه الساخر وكاستي الذي لا يحتمل

لقد طواهم الزمان بأفكارهم ورغباتهم.

انظر حولك، فكل شيء جديد

وكل جديد يسحق القديم

ورغم مشاهدتهم لسقوط صرح الأمس

لا يكاد الجيل الفتى يدرك الحقيقة،

وهو يجني ثمار التجارب المرة.

ليس لديهم الوقت للدعابة،

ولا لتناول الغداء في تيمير

ليس لديهم الوقت لمناظرات الشعر

لعمرك، حتى الأنعام المنبعثة من قيثاره بايرون الساحرة

بدت عاجزة عن إدخال البهجة إلى نفوسهم...!

* * *

صباح شتوي

الصقيع والشمس... يوم بديع

أيها الحسن وأنت

ما تزال تغط في نومك!

لقد آن الأوان لأن تستيقظي أيتها الحسنة

افتحي عينيك الناعستين

لتعانق ربة الفجر

وتجلي في نجمة الشمال

أذكرين ذلك المساء،

العاصفة الثلجية غاضبة،

السماء الضبابية

والسديم الذي جرى مسرعاً

والقمر بدا من خلال الغيوم المتجهمة

أصفر الوجه شاحباً

وكيف جلست أنت حزينةً

والآن ... انظري من النافذة:

تحت السماء الزرقاء

يرتاح الثلج سجادة بديعة

تلمع بوهج الشمس

انتصبت على حاشيتها غابة شفاقة

ترين سوادها أشجار التنوب الخضراء

والجدول تلمع مياهه تحت الجليد

الغرفة المضيئة بوهج الكهرمان

وفرقة حطب المدفأة المفرح

أي متعة وأنت تحلمين مستلقية على الأريكة

لكنك تعرفين: ما إذا كنت ستأمرين بتجهيز الزلاجات
وتسرجين فرساً بنية؟

كم هو رائع التزلق على ثلوج الصباح
يا جميلتي على إيقاع الحصان الجامح
وزيارة الحقول الخالية،

والغابات التي كانت كثيفة حتى الآونة الأخيرة

والشاطئ العزيز على القلب

أنا أحببتك

الهيئة العامة
السورية للكتاب

أنا أحببتك

لاتزال هناك فرصة للحب،
فلم تحب جذوة ناره في روعي بعد
ولكن لا أريد له بعد اليوم أن يعكر صفوك
لا أريد أي شيء قد يجلب لك الحزن
لقد أحببتك بصمت ومن غير أمل

وفي داخلي صراع

بين الخجل والغيرة؛

لقد أحببتك بإخلاص وحنان

كما لا يقدر أحد..... على ذلك.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

الخريف الروسي

أي زمن متجهم كئيب، وأي حسن يخطف البصر.
وشعور دافئ في الأعماق لهذا الجمال الراحل
لست أدري لماذا تعشق نفسي ذبول الطبيعة المهيب
حين تلبس الغابات ثياباً من العقيق والذهب
وفي حقولها تصفر الرياح، وتملأ الجو بأنفاسها العطرة

ويغطي سماءها سديم متموج

وتتسرب عبره أشعة الشمس بخجل

وكذلك الصقيع الأول

منذراً بقرب وصول الشتاء الأشيب

* * *

كلما حل خريف تورق الحياة في جوارحي

ويزداد يقيني بأن الصقيع الروسي وصحتي توءمان

وتعود لنفسي ذات الرغبات التي ضجت بها الروح

في الخريف الماضي

ويتناوب النوم والجوع جسدي المتعب
ويلعب الدم في القلب مرحاً
وتغلي الرغبات في الجوارح؛ فهذا أنا ثانية
أنضب بالشباب والحيوية
تغمرنى سعادة لا توصف.

ملاحظات لا بد من ذكرها

استاء بوشكين من ازدياد مجتمع النبلاء من كل شيء روسي،
وأكد مراراً وتكراراً المستوى العالي للثقافة الوطنية الروسية
والثروة الروحية العظيمة وقوة الشعب الروسي. كما أشار إلى
أن "اللغة السلافية الروسية تفوق في أمور عدة اللغات
الأوروبية، وأن هذا شأن غير قابل للجدل".
يعجب بوشكين مثلاً بالعبقرية الموسوعية لابن صياد البحر
الأبيض ميخائيل لومونوسوف، الذي كان يُعدُّ وحده جامعة
بأكملها، ويقدر تقديراً عالياً فونفيزين، ديرجافين، وراديشيف،

وكريلوف. كما كان الشاعر فخوراً بالمآثر التي اجترحها كوزما مينين -التاجر في مدينة نيجني نوفغورود، وكان فخوراً بأعجاد الجيش الروسي.

ونرى في أعمال بوشكين صوراً لحياة كثيرٍ من شعوب روسيا. فقد صور الشاعر عادات الغجر وسكان جبال القفقاس وعادات وطبيعة سكان جورجيا.

لقد كانت صداقة الشعوب المختلفة على امتداد الإمبراطورية الروسية أحد آمال بوشكين المنشودة. وكان يرى في نفسه الشاعر، الذي ستجد أعماله طريقها إلى جميع شعوب روسيا على اختلاف لغاتهم وقومياتهم:

"سوف تسمع عني روسيا العظمى بأكملها، وسوف يتردد اسمي على كل لسان ينطق فيها...."

كما أظهر بوشكين اهتماماً عميقاً بحياة وثقافة الشعوب السلافية القريبة من روسيا.

فترجم بوشكين مقتطفاً من قصيدة ميتسكيفيتش "كونراد والينرود" قصائد بودريس وأبنائه، فويفود.

تغلغل آخر لعبقرية بوشكين في عالم الأدب السلافي هو عمله الشهير "أغاني السلافيين الغربيين".

وصف الناقد الأدبي الأشهر بيلينسكي بوشكين بالعبقري الكوني بأسلوب صادق مذهل.

كشف الشاعر في عدد من الأعمال عن سمات الحياة في العالم القديم، والعصور الوسطى، وعصر النهضة، والقرن الثامن عشر، وحقبة الثورة الفرنسية.

بوشكين ليس مؤسس الأدب الروسي الجديد فحسب، بل مؤسس اللغة الأدبية الروسية.

تعود جذور اللغة الأدبية لدى بوشكين إلى اللغة الروسية الحية. ونشهد الأثر العظيم لتقاليد بوشكين الشعرية في أعمال عمالقة الأدب الروسي مثل ليرمونتوف وغوغول وتورغينيف وغوننتشاروف وأساروفسكي وتولستوي دوستويفسكي وتشخوف، وغوركي وماياكوفسكي.

قال غوغول: "كل ما لدي من إنتاج جيد، أنا مدين به لبوشكين".

وأما تورجنيف فأعلن أنه "تلميذ بوشكين منذ نعومة أظفاره".

ولم يقتصر تأثير بوشكين في الأدب وحده، بل تجاوزه وتغلغل بكل جلاله في عالم الموسيقى والفن، فقد وضعت أكثر من عشرين أوبرا عالمية على أعمال بوشكين مثل أوبرا "روسلان ولودميلا" للموسيقار العظيم غلينكا و"نت البستوني" و"يفغيني أونيجين" لعبقري الموسيقى تشايكوفسكي و"حورية البحر" للموسيقي دارغوميسكي و"بوريس غودونوف" لموسورغسكي وغيرها، وكذلك ظهرت باليه "الفارس النحاسي" للموسيقار غيلر و"السمة الذهبية" لمينكوس و"نافورة بختشاساراي" و"أسير القفقاس" لأسافيف والليالي المصرية "لأرينسكي وغيرها.

الهيئة العامة السورية للكتاب



**ميخائيل يوريفيتش
ليرمونتوف
(١٨١٤ - ١٨٤١)**

ميخائيل يوريفيتش ليرمونتوف هو شاعر وكاتب روسي شهير، بالإضافة إلى كونه رسّاماً وكاتباً مسرحياً موهوباً، وكان لأعماله تأثير كبير في الأدب الروسي في القرنين التاسع عشر والعشرين. اشتهرت أعماله بتنوع مواضيعها وغنائيتها. وكان للشاعر مساهمة جليلة في تشكيل الرواية الواقعية في القرن التاسع عشر.

ولد ميخائيل ليرمونتوف في ٣ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨١٤ في عائلة ضابط، وترعرع في كنف جدته. إذ قضى معظم طفولته معها في عزبتها في قرية ترخاني في محافظة بينزا.

ظهرت أول قصائد ليرمونتوف خلال بدء دراسته في نزل جامعة موسكو (١٨٢٠ - ١٨٣٠)، ثم تابع الدراسة في جامعة

موسكو (١٨٣٠-١٨٣٢) في هذا الوقت، عكف ليرمونتوف على دراسة أعمال فريدريش شيلر وويليام شكسبير وجورج بايرون. بدأت شهرة وشعبية الشاعر في أعقاب نشره قصيدة "موت الشاعر" (١٨٣٧)، المكرسة لمقتل ألكسندر بوشكين. الأمر الذي انتهى بالقبض على ليرمونتوف وإرساله إلى المنفى. ولكن بفضل الجهود التي بذلتها جدته والشاعر الشهير جوكونفسكي المقرب من الإمبراطور، تم تخفيف العقوبة قليلاً. في الطريق إلى القفقاس، يتوقف ليرمونتوف لمدة شهر في موسكو. يكتب خلالها قصيدته الرائعة "بورودينو" (١٨٣٧) في ذكرى المعركة التي انتهت بانتصار الجيش الروسي على نابليون بونابرت وملاحقته ودخول عاصمته باريس.

خلال فترة إقامته في المنفى، تفتتح براعم مواهبه ليس في الأدب وحسب، وإنما في الرسم أيضاً وبفضل التماسات الجدة لدى القصر عاد ليرمونتوف من المنفى إلى بطرسبورغ.

عمل الشاعر والنفي للمرة الثانية

تميزت روح ليرمونتوف الشعرية بخاصية التفرد والوحشة، وميولها نحو السرمدية. وأهم أعماله: الشراع (١٨٣١)، "بطل

زماننا" (١٨٣٥-١٨٣٦) الإقطاعي أورشا "شيطان" (١٨٣٩)،
"متسيري ١٨٣٩" (١٨٣٧) بورودينو و"ماسكاراد" (١٨٣٧).
و "السجين (١٨٣٨-١٨٤٠) تُعدُّ هذه الأعمال من روائع
الأدب العالمي.

نُفيَ للمرة الثانية إثر مبارزة مع نجل السفير الفرنسي، فقد
أُرسلَ الشاعر إلى القفقاس عام (١٨٤٠)، وشارك في الأعمال
القتالية ضد المتمردين.

بعد عودته من منفاه الأخير، التقى ليرمنتوف في بيتيغورسك
مع صديقه القديم مارتينوف. وحدث أن ليرمنتوف أهان صديقه
بمزاحه القاسي مما أثار غضب مارتينوف ودعوته ليرمنتوف
للمبارزة التي انتهت بإصابة الشاعر بجروح قاتلة وموته. كان
ذلك في الخامس من يوليو -تموز ١٨٤١.

عرّف الشاعر الكبير ألكساندر بلوك دور ليرمنتوف وأعماله
في سفر الأدب الروسي بجملة واحدة:

" دخل إرث ليرمنتوف إلى جسد الأدب الروسي ودمه. "

السجين

افتحوا باب الزنزانة.

ودعوني استحم بضياء النهار

لعمرى ... لو تحضروا لي فتاة ذات عيون حوراء

وحصاناً أسود اللبدة

لكنت أولاً قبّلت الصبية بحرارة

ثم امتطيت سهوة الجواد

وانطلقت عبر السهوب كالريح

* * *
الهيئة العامة
السورية للكتاب

وداع

لا تغادر أيها الفارس الشاب
لماذا أنت مسرع إلى وطنك؟
لعمري، إن جوادك منهك والجبال يكتنفها ضباب رطب
بينما هنا - أنت في ملجأ وأمان،
وأنا أحبك!

★ أيعقل أن الفجر وحده يسلبنا

ذكرى ليلتين من ليالي الفردوس

ليس لدي ما أقدمه لك من هدايا: فأنا فقيرة
ولكن الرب منحني روحا هي توءم لروحك

كان يوماً ما طراً، حين عرجت إلى هنا؛

في عباءة مبللة، ووجه يعلوه الحزن؛

أحقاً تريد أن تحول نهاري هذا -

البديع بشمسه الساطعة

إلى يوم قاتم كئيب

انظر: هناك سلاسل الجبال بزرقها الزاهية

حشد رهيب من العمالقة

أشعة الفجر والشجيرات لباسهم

نحن هنا أحرار وطيبون، فلماذا

يطير نظرك بعيداً ينشد بلداً آخر؟

صدقني، الوطن حيث يحبنا الناس؛

أما قلت أنت نفسك،

إنَّه لن تطالعك بين الأودية التي ترعرعت فيها

ابتسامة عيون جميلة.

ابق معي يوماً واحداً، لساعة

أرجوك! ساعة واحدة!

- يا فتاتي! ليس لدي وطن ولا أصدقاء،

سوى سيفي وجوادي

لقد كنت سعيداً بحبك

ولكن ليس باستطاعة دموع عينيك

إقناعي بالبقاء....

لقد أقسمت بدم الأجداد

لروحي المثقلة

ومهما طال الزمن

بأن شفتي لن تقولا لأحد: أنا أحبك

قبل أن أهرق دم الأعداء،

.....
سامحيني: هذا هو جواي.
السورية إلى كتاب

نبوءة

سيأتي عام، عام أسود بالنسبة لروسيا،
عندما يهوي تاج القياصرة
ستنسى الرعية الحب القديم لهم
وسيكون الدم والموت، طعام الكثيرين
وحيثُ لن يحمي القانون
أطفالهم، والزوجة البريئة.

عندما يبدأ الطاعون الناشئ من جثث الموتى التتنة
بالتجول بين القرى الحزينة
ويلوح بمنديل أبيض ليخرج الناس من أكواخهم
ويجهز على هذه الديار البائسة
ويصبغ الدم أمواج الأنهار بلون الشفق
سوف يظهر شخص قوي في ذلك اليوم،
وسوف تعرفه - وتفهم سر

السكين الفولاذي في يده
والويل لك إن سمع نحيبك أو أنينك
فكل ذلك سيكون بالنسبة إليه مثار سخرية
إنه لا يبالي بمعاناة أحد ...
وكل شيء سيكون فظيماً، وسوداويّاً فيه،
مثل معطفه المخيف
* * *

تحليل للقصيدة

إن موضوع الثورة والتحوّلات في المجتمع كان دائماً محط أنظار وتحليل ومناقشة، بل اتخذ موقف جريء من قبل الشعراء الروس عامة والرومانسيين بوجه خاص. لم يكن ميخائيل يوريفيتش ليرمونتوف استثناءً، إذ كان عمله "نبوءة" هو أوضح مثال على ذلك.

كُتِبَ هذا العمل الثوري في عام ١٨٣٠، حين بلغ ميخائيل يوريفيتش عامه السادس عشر. لقد كانت روحه تضحج بالتطرف الشبابي والرغبة في المشاركة الفعالة في المجتمع. كان الشاعر الشاب يشعر بقلق عميق إزاء جميع التغييرات التي تحدث في الدولة، ولم يرغب بالوقوف على هامش الحياة موقف المتفرج.

كان للأحداث الدامية التي أثارت ذات يوم روسيا برمتها - إعدام الديسمبريين والنفي إلى سيبيريا والعمل الشاق لمئات المشاركين في حركة ديسمبر - كانون أول - تأثيرٌ كبيرٌ في ليرمنتوف. كذلك التشديد الذي تضاعف من النظام القيصري في أعقاب تلك الأحداث، انعكس على جميع قطاعات المجتمع، فعانى الشعب ما عاناه من نظام الحكم الاستبدادي.

هناك أيضاً افتراض بأن "النبوءة" كتبها ليرمنتوف تحت تأثير أعمال شغب خلال موجة وباء الكوليرا في عام ١٨٣٠. كانت تلك النبوءة مثيرة للدهشة: فبعد ٨٧ عاماً من كتابتها، غرقت روسيا في "موت ودم" ثورة أكتوبر الاشتراكية.

على الرغم من أن ليرمنتوف لا يدعم الاستبداد بالشكل الذي كان عليه في عهد نيكولاي، فإنه يدرك أن الفوضى وغياب السلطة أسوأ بكثير من النظام القيصري المستبد.

الجدير بالذكر أنه مع الإطاحة بالسلطة القديمة، فإن القانون سوف يسقط أيضاً. ولن يكون النظام الجديد قادراً على خلق الاستقرار، الأمر الذي سيؤدي إلى معاناة وموت كثيرٍ من "الأبرياء". والمؤلف متأكد من أن العنف لا يمكن أن يؤدي إلا إلى العنف، ونتيجة لكل التغييرات الأساسية، لن يعاني سوى البسطاء.

غصن فلسطين

قل لي يا غصن فلسطين
أين زرعت، وأين أزهرت
وأني تلال، وأي أودية
كنت تزينها؟؟؟

أتراه قرب مياه الأردن النقية

داعبك الشرق بشعاعه،

أم إن ريحاً ليلية في جبال لبنان

هزتك في موجة غضب؟

هل كان أبناءك المساكين يقرؤون صلاة خافتة

أم ينشدون أغاني الزمن الخالي

عندما كانوا يجدلون أوراقك يا سوليم^(١)؟

وهل تلك النخلة لا تزال حية؟

وهل ما زالت تجذب في لهيب الصيف

عابر سبيل في الصحراء

بهامتها المكسوة بأوراقها العريضة؟

أم إنها قد ذبلت مثلك

عقب فراق حزين

أم إن غبار الأودية تراكم قروناً

على أوراقها الصفراء؟

أخبرنا: أيارادة الرب

أتى بك أحد إلى هذه الأرض؟

هل كان حزنه عليك كبيراً؟

أم إنك تخفي آثار دموع لاهبة؟

(١) الشاعر يقصد هنا أورشليم.

أم أن، أفضل محارب في جيش الرب،

بجيبينه الوضاح،

مثلك، دائماً ترنو السماوات للقاءه

أمام الناس والإله؟

أعرف أن يداً خفية ترعاك

أمام الأيقونة الذهبية،

تقف أنت، يا غصن أورشليم،

حارساً أميناً لكل الأقداس هنا

الغسق الشفاف، شعاع القنديل،

والأيقونة والصليب، رمز مقدس

كل شيء مملوء بالسلام والفرح

من حولك وفي سماك

* * *

الخريف

الأوراق في الحقل اصفرت
وهي تتطاير وتدور.
هي وحدها في الغابة - أشجار التنوب
تحتفظ بخضرة قائمة.

هناك تحت الصخرة المعلقة

حيث نمت الزهور البرية

يجب الحراث الراحة

من عناء العمل في منتصف النهار

ووحش جريء

يسعى مكرها للاختباء في مكان ما

وهلال الليل الشاحب

والحقول وحدها تزهو بألق فضي

من خلال الضباب.

* * *

(عندما يزور الإلهام رافائيل)

عندما زار الإلهام رافائيل
ووضع بريشته اللمسات الأخيرة، لوجه العذراء المقدس
وانتابته موجة من الفخر والشعور بعظمة عمله،
خر ساجداً أمام اللوحة،
لكن سرعان ما خبت جذوة هذا الحماس

في صدره الفتي

وبين الإحساس بالإرهاق والصمت المطلق،

ألفيته نسي النار الإلهية ...

هذا هو حال الشاعر: حالاً تومض فكرة صغيرة، تراه
يسكب بقلمه كل ما يعتل في نفسه وبصوت قيثارته الصاخبة
يسحر الكون، وفي غمرة السكون في حلمه الفردوسي ينشدكم
أنتم، أنتم يا معبودي روحه وفجأة تفتت الحمسة الحلم، وتهدأ
ثورة القلب، ويعم الهدوء، ويغادر الشبح المكان ولكن لن
تفارقه لفترة طويلة، طويلة المشاعر الأولى.

الشراع

يبحر الشراع الأبيض وحيداً
في ضباب البحر الأزرق! ...
ما الذي يبحث عنه في ديار بعيدة؟
وما الذي جعله يغادر وطنه الأم؟

تتدحرج الأمواج وتصفر الرياح

والصاربية تتمايل في كل الاتجاهات وتئن

للأسف! إنه لا يبحث عن السعادة

وليس بهارب منها....

هو يجري... تحته لازوردية بهيجة

وفوقه تتلألأ أشعة الشمس الذهبية

وهو، المتمرد، ينشد العاصفة،

كما لو أن في العواصف راحة!

* * *

شمس الخريف

أحب شمس الخريف عندما
تتسلل بين الغيوم والضباب
رامية شعاعها الشاحب
على شجرة تمايلت مع الريح
وعلى السهوب الرطبة.

أنا أحب الشمس

هناك تشابه بين نظرة وداع
النجم العظيم والحزن الخفي
للحب المخدوع.

هي ليست باردة.
ولكن الطبيعة

وكل ما يشعر ويرى
لا يمكن أن يتنعموا بدفئها؛

وهكذا الحال مع القلب تماماً
ففيه: النار ما زالت تتأجج فيه
ولأن الناس
ذات مرة لم يدركوا الطريق لفهمه
هو أيضاً لا ينبغي أن يلمع مرة أخرى في عيونهم
ولن يمس الخدود شعاع حبه ... أبداً
ليس حرياً بالقلب أن يغامر مرة أخرى
فيسخروا منه أو تنال منه الشكوك



الهيئة العامة
السورية للكتاب



نيكولاي نكراسوف (١٨٢١ — ١٨٧٧)

شاعر وكاتب روسي شهير.
أصبحت أعماله من كلاسيكيات
الأدب الروسي.



ولد نيكولاي ألكسيفيتش نكراسوف في ٢٨ تشرين الثاني
نوفمبر، عام ١٨٢١ في مدينة نيميروف، محافظة بودولسك، في
عائلة إقطاعية ثرية. أمضى طفولته في مقاطعة ياروسلاف، في
قرية غريشنيفو، في مزرعة العائلة. كانت العائلة كبيرة - كان
لنكراسوف ثلاثة عشر أخاً وأختاً.
التحق بإحدى المدارس في الحادية عشرة من عمره، وأمضى
هناك خمس سنوات فقط، وبدأ في تلك الفترة كتابة أشعاره
الأولى التي تميزت بطابع ساخر.

كان والد الشاعر قاسياً. وقد حرم ابنه من المساعدة المالية عندما رفض الالتحاق بالجيش. وفي عام ١٨٣٨، انتقل نيكرا سوف إلى سانت بطرسبرغ، حيث التحق بالجامعة كمستمع حر في كلية فقه اللغة.

وحتى لا يموت من الجوع، في وقت كان في حاجة ماسة للمال، لجأ لإعطاء الدروس، كما مارس كتابة الشعر مقابل المال.

خلال هذه الفترة، التقى الناقد الروسي الأشهر فيساريون بيلينسكي، الذي صار له فيما بعد تأثيرٌ أيديولوجيٌّ قويٌّ في

الشاعر. ★ ★

وفي السادسة والعشرين من العمر، اشترى نيكرا سوف مع الكاتب باناييف مجلة (سوفريمينيك - المعاصر) التي أصبحت بسرعة مجلة شعبية، وكان لها تأثير كبير في المجتمع. وفي عام ١٨٦٢، منعت السلطات نشر موضوعاتها الناقدة لسياسة الحكومة وتعاطفها مع الفئات الكادحة.

كما نشر الكاتب بعض المجموعات التي كانت تضم أعمالاً لعدد من الكتاب الشباب. والجدير بالذكر أنه في واحدة منها ظهر أول عمل لدوستويفسكي.

في الفترة بين عام ١٨٤٧ - ١٨٦٦ أصبح الناشر ورئيس التحرير في مجلة "سوفريمينيك"، حيث عمل فيها أفضل كتاب ذلك الوقت. كانت المجلة بحق بؤرة للديمقراطية الثورية.

وخلال عمله في "سوفريمينيك"، نشر نكراسوف عدة مجموعات من قصائده. ومن أهمها أعماله "أطفال الفلاحين"، و"كارويناكي" التي جلبت له شهرة واسعة (كلمة كارويناكي تعني البائعين الجوالين الذين يحملون سلالاً، فيها حاجات منزلية صغيرة وأدوات للزينة وبضائع مصنعة لبيعها في القرى). والمهم في الأمر هو ظهور مواهب شابة على صفحات مجلة "سوفريمينيك" مثل إيفان تورغينيف وإيفان غونشاروف وألكساندر غيرتسن وغيرهم. ومن الكتاب المشهورين في تلك الحقبة، الذين نشروا أعمالهم في المجلة المذكورة ألكساندر أستروفسكي وسالطيكوف وشيدرين.

ويمكن القول إنه بفضل نيكولاي نكراسوف ومجلته، عرف الأدب الروسي أسماء لامعة مثل فيودور دوستوفسكي، وليف تولستوي.

لقد كان نكراسوف من أوائل الشعراء الذين بدؤوا يولون اهتماماً كبيراً لحياة الفلاحين الصعبة. وكان إبداع نيكولاي

نيكراسوف واحداً من أوائل الأعمال في تاريخ الأدب الروسي التي عكست حياة الطبقة العاملة بعد الإصلاح.

كما كتب نيكراسوف عن معاناة وآلام الشعب الروسي أكثر من أي شاعر آخر.

تميز أسلوب نكراسوف في كتابة الشعر بالديمقراطية، فقد كرس الأدب لصالح المجتمع، لأن الموضوع في أعمال الشاعر كان اجتماعياً وحاداً. غالباً ما أثر هذا تأثيراً مباشراً في فن قصائد نيكولاي نيكراسوف، التي لم تنجح في بعض الأحيان فيما يتعلق بنظم الشعر.

نيكولاي نيكراسوف هو سلف الخطاب الأدبي الجديد، الذي بعثه الأدباء المعاصرون بنجاح، بل أجروا بعض التحسينات عليه في أوائل القرن العشرين.

من بين كثير من الأعمال العظيمة للكاتب، كانت قصائد "المرأة الروسية" (١٨٧٣)، "الصقيع والأنف الأحمر" (١٨٦٣)، "أطفال الفلاحين" (١٨٦١)، "على نهر الفولغا" (١٨٦٠) وقصيدة "الجد مازاي والأرانب"، "ضجيج أخضر" (١٨٧٠) و"الاستماع لأهوال الحرب" (١٨٥٥) ...

ربة الإلهام

من قصيدة " الصقيع، ذو الأنف الأحمر "

وها أنت تلوميني مرة أخرى

لأنني قطعت حبل الصداقة مع ربة إلهامي

وأني بت طوع يومي في مشاغله وملهاته

ولم أكن لأفترق مع ربة الإلهام لأجل الرفاهية والمفاتيح

لكن الله وحده يعلم، هل خبت شعلة العطاء التي ربطتني بها؟

ولكن ما أعرفه أن الشاعر ليس أخواً للناس بعد

وطريقه سائك وهش

لم أكن لأخاف شرور الواشين

لم أكن أشغل نفسي بها

لكنني عرفت تماماً القلب الذي تمزق في الظلام حزناً

والصدر الذي انهالت عليه الأحزان كالرصاص المنصهر

ومن سممت حياته
ولا ضير أنها مرت بقربي
وكالعواصف الرعدية جلجلت فوق رأسي
أنا أعرف من أبعدت صلاتهم ودموعهم
السهم القاتل عني ...
ربما لم أكن ذاك المقاتل المثالي

لكنني كنت على علم بقوة في داخلي
كنت أو من من أعماقي بأشياء كثيرة
والآن، حان الوقت لي للرحيل عن هذا العالم
فلن نسلك طريقاً... قد يوقظ في القلب العاشق
نواقيس الأخطار القاتلة.

أنا نفسي الأطف على مضمض
ملهمتي التي رضيت بما حصل

وها أنا أغني الأغنية الأخيرة
لأجلك... وقد كرستها لك ...
لكنها لن تكون أكثر بهجة ...
بل هي أكثر حزناً من ذي قبل
لأن ظلمة أشد لفت القلب
وليس هناك بصيص أمل قادم

العاصفة تعوي في بستانني،

والعاصفة تحاول جاهدة التسلل إلى الداخل

أمل ألا تقتلع

شجرة البلوط القديمة التي زرعتها أبي

وشجرة الصفصاف الذي زرعتها أمي،

هذه الصفصافة

التي ارتبط مصيرنا بها، بإرادتك

والتي ذبلت الأوراق عليها

في الليل، مثلما غادرت أُمِّي المسكينة هذا العالم ...

وترتجف النافذة من الرعد وتلمع من البرق
اسمع كيف تنط حبات البرد.

أه يا صديقتي العزيزة، أنت تدركين منذ زمن طويل
أن الحجارة وحدها هنا لا تبكي ...



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الصقيع ذوالأنف الأحمر

الصقيع يلف الكون.
والسهول غدت بيضاء
يغطيها الثلج
بينما بدت الغابة في الأمام سوداء
سافراسكا يتعثر سواء خطأ أم جرى
في الطريق الذي كان خالياً تماماً....

أي هدوء! حتى إن أي صوت في القرية
يسمع كالأزيز في الأذن...

كما لو أن ثعباناً ارتطم بجذع شجرة
وراح يدق ويفح... ويخدش القلب صوته

منظر يعجز المرء عن وصفه
السهول تتلأأ كأنها نثرت بالأماس

ومقلتا داريا طفحتا بالدموع
قد تكون أشعة الشمس بهرتهما...

كانت الحقول مضيئة وهادئة
ولكن الغابة أكثر هدوءاً
وكلما ابتعدنا زادت الأشجار علواً
والظلال أضحت أطول وأطول.

الأشجار والشمس والظلال

وفي المحيط صمت القبور
أصغي إلى أرومات الأشجار الحزينة
فأسمع نحيبها الأصم

غلب الحزن على داريوشكا^(١)

وراحت الغابة تنصت بلا مبالة

(١) داريوشكا: تصغير اسم داريا للتعبير، المترجم.

للآهات تنداح في السهول
وللصوت الذي كان يدوي ويرتجف

والشمس، المستديرة بلا روح
مثل عين البومة الصفراء
كانت تحدق من السماء غير مبالية
لآلام الأرملة... التي لا تحتمل

كم من الأوتار تقطعت

في روح الفلاحة المسكينة

وستبقى مخبأة إلى الأبد

في ظلمات الغابة البرية

عظيم هو حزنك أيتها الأرملة

أم الأيتام الصغار

لقد سمعت الطيور نحيبك

لكنها لم تجرؤ على إخبار البشر...

* * *

خريف مجيد!

الهواء الذي يضح بالصحة والنشاط
يوقظ القوى المتعبة
الجليد الهش يغطي الساقية
أشبه بالسكر في ذوبانه

بالقرب من الغابة، كما في سرير ناعم،

يمكنك الحصول على قسط كاف من النوم
السكون ورحابة المكان ...

الأوراق لم تذبل بعد

صفراء ونديّة تناثرت على الأرض، سجادة بديعة ...
خريف مجيد! ليالٍ باردة،

نهارات صافية وهادئة....

لا يوجد دمامات في الطبيعة! التتوءات في الوهاد

والمستنقعات الطحلبية وأرومات الأشجار
كل شيء بديع في ضوء القمر
أعرف وأرى في كل شيء حولي، روسيا وطني
وفي الوقت الذي أهتم فيه بسرعة على السكة الحديدية
أحلق بخيالي... وأبتدع أفكارى...



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الصيف

يحتضر الربيع، إنه يحتضر
ويرحل تاركاً كلَّ شيء للصيف الحار
ذبابة غاضبة، وبعوضة تبحث عن ضحية
كل شيء يبدو بمظهر فاخر....

السنابل التي توشك أن تنضج،

ترتفع عالياً مع الشجيرات

وصوت يهيم مع الندى....

يخيل لي أن رائحة الفطر تنبعث من الغابات

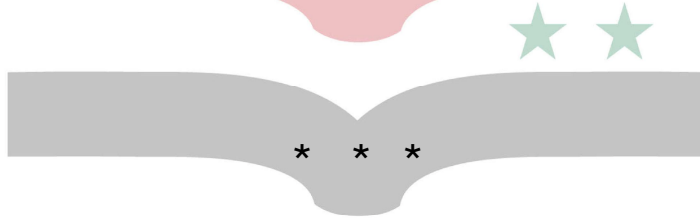
في الصباح، يستمر الندى

وعند الظهر يشتد القيظ

الخيول تحوض غمار الموج حتى أذانها

هرباً من العاسيب المقيتة

الأمسيات شديده حد الإغراء
وتضج بشوق عظيم
وطائر السمان يدعو أنثاه
وكراكي المروج تصيح بصفير أجش
والصبية ترمي الإبرة بهدوء.
تنظر حولها للحظات، وتغادر مسرعة.
إلى مكان ما



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الجبال

ينتصب أمامي القوقاس الصارم
غاباته الكثيفة
وسلسلة جبال برؤوسها البيضاء
جمال متجهم بري
آه يا صديقي، أنت

سمعت فقط من الحكايا

عن هذه الديار الرائعة

لم تشاهد هامة البروس المهيبة

مكللة بالنجوم....

ها هو الجبل أمامك. أمعن النظر إلى قمته

ترفل في فروة من كتل الثلج

ويحيط بالعملاق الشائب

صفان من أبنائه

تكوينات رائعة

تسطع بجمال فخور

إنها زينة الكون

التي تتجلى أمام زرقة السماء

انظر إليها بعيون لا تعرف الخوف

لكنك ترتجف: ماذا ترى؟

أو أنك حاولت المقارنة بشيء مماثل

فأخجلت الأحلام الجريئة؟

نعم، نعم... وريث الدمار،

فهمت تماما الفكرة التي خطرت لك

وليس من غير انهيار خفي

أنا بصراحة أعترف بذلك

هنا منذ بداية الكون

أرسيت هذه الجبال العملاقة،

لترمي محيطها بنظرات جبروتها العاصفة

وحتى أن الزمن الذي يهابه كل شيء
تراجع أمام عظمتها....

وفي الوقت نفسه كم من القبائل تعاقبت
وانتهت في التوايت
لم تفلح في زعزعة أساساتك الصُّلبة

كم هو مهيب، كم هو فخور

جبينها المتعالي البارد العاصف أبدا
والمقيد بأصفاد الجليد...

مثل جرة انقلبت

تعلوه قبة السماء

والشمس في بريقها المزرکش

تتوهج عليه كما تنعكس على الزجاج

سلسلة المرتفعات الجبلية،

ليست غريبة على السماء،
إنها غريبة على الأرض وحسب
ولكن في حالات نادرة في الأفق
نتيجة الإحساس بالملل
تنهار صخرة جليدية عمرها قرن
بهدير وأنين

وتتناثر في كل مكان مع الثلوج الجميلة

ملقية التحية للأودية

وهناك، في رجع صدى عظيم ...
تعبّر الوديان عن رعبها بخشوع

أراني واقفاً بلا حراك

أمام لوحة عجيبة تلهب الخيال
أنا مثل طفل أخذت بمجاميعه



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الحرية

أيها الوطن الأم!
لم يسبق لي أن عبرت سهولك بمثل هذه المشاعر!
أرى طفلاً بين ذراعي حبيتي ...
فيخفق القلب لفكرة أثيرة



الطفل ولد في وقت مبارك،
طالما كان الرب رحيماً! لن تعرف عينك الدموع!

إذ إنك كنت منذ الصغر حرّاً، ولم تخش أحداً
اختر عملاً يتناسب وإمكاناتك ...
إذا كانت أردت

يمكنك أن تظل رجلاً من العامة مدى الحياة.

وأما إن كانت لديك القدرة ...

يمكنك أن تكون نسرًا في أعالي السماء ...

في هذه التخيلات هناك كثير من الأخطاء

لكن العقل البشري رقيق ومرن،

أنا أعرف أنه بدلاً من السلاسل للعبيد

ابتدع البشر كثيراً من البدائل الأخرى

وأغلب ظني. أن الشعب وحده القادر على تحطيمها

يا ربة الإلهام... بعضيم الأمل، باركي الحرية ...!

الهيئة العامة
السورية للكتاب

صباح

أنت حزينة، وفي أعماقك عذاب
أعتقد أنه ليس من الصعب أن نعاني هنا
مع هذا الفقر من حولنا
هنا حتى الطبيعة نفسها تتألم ...

المراعي وحقول القمح والمروج

الحزينة والبائسة حد اليأس ...

هذه الغربان المبتلة التي يغلب عليها النعاس،

ترتاح على قمة الكدس ...

هذه الفرس المتعبة يمتطيها فلاح مخمور

تعدو غصبا ...

إلى ربوع توارت في الضباب الأزرق

تحت سماء متجهمة تبعث على الشفقة

لكن حتى المدينة الثرية ليست أكثر جمالاً
ونفس الغيوم تجري هاربة ...
الأعصاب لا تحمل المشهد
أنهم ينظفون الشارع من اللحم والدم بالرفش
حركة وجلبة هنا وهناك ...
ومن برج فرقة الإطفاء، أعلنوا عن نشوب حريق؛
وثمة شخص يقودونه إلى
إلى ساحة العار.

حيث الجلادون بالانتظار

عاهرة تغادر السرير عند الفجر

على عجل، تقصد بيتها

وضباط في عربة أجرة

يسرعون مغادرين المدينة

لحضور مباراة

التجار يستيقظون في وقت واحد،
ويستعجلون لبدء أعمالهم.
يقضون يومهم بين الغبن والبخس ،
ليتمتعوا في المساء بوجبة دَسِمَةٍ.
اسمع! دوي المدافع من القلعة،
فيضان يهدد العاصمة ...
هناك شخص مات وعلى الوسادة حمراء

وسام القديسة آنا من الدرجة الأولى

الكناس أمسك باللص وأشبعه ضرباً -
لم تسلم جرتك هذه المرة ...

هناك من كان يقود قطع الإوز للذبح
وفي مكان ما في الطابق العلوي،
سمع صوت إطلاق رصاص!
شخصٌ ما قد انتحر...!

* * *

النبي

لا تقل: "لقد نسي الحذر!"
سيكون المذنب في المصير الذي سيؤول إليه
ليس أقل منا دراية، باستحالة
خدمة الخير دون التضحية بالنفس.

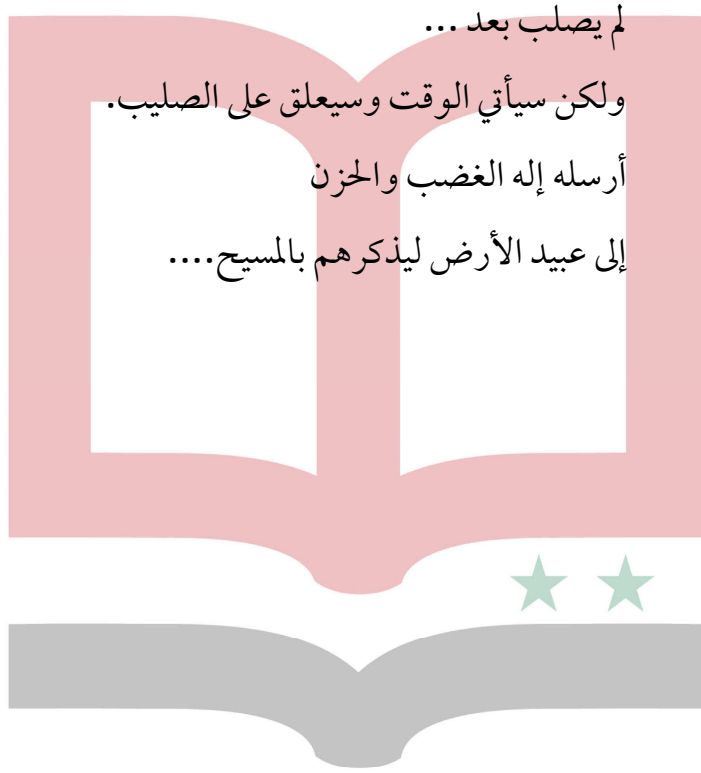
لكنَّ جبه أسمى وأوسع،

لا توجد رغبات دنيوية في نفسه
"في العالم، يمكن أن تعيش لذاتك،

لكنك تموت لأجل الآخرين!"

هكذا هو يفكر - والموت ليس شرًّا له
لن يقول إن هناك حاجة إلى حياته،

لن يقول إن الموت لا طائل منه
مصيره واضح له منذ زمن بعيد.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

قبيل المطر

الرياح الكئيبة تدفع أمامها
قطيع الغيوم على تخوم السماء
شجرة التنوب المكسورة تتأوه ألماً
والغابة المظلمة تبوح بهمس أصم....

على الجدول المتموج البديع

تساقط من الشجر أوراق خلف أوراق

والبرودة تسري بسرعة

تياراً جفاً وحاداً

الظلمة تلف كل شيء.

قادمة من كل حذب و صوب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

الرسائل المحترقة

إنها تحترق! لا يمكنك كتابتها مرة أخرى،
على الرغم من أنك وعدتني بكتابتها، ضاحكة،
ألا تعتقدين أن الحب قد يحترق معهم،
الحب الذي أملاها على القلوب؟

لم تسمهم الحياة بعد كذبة،

ولم تثبت بعد أنهم حقيقة صارخة

لكن تلك اليد التي أحرقتهم بقسوة،

هي ذاتها من كتبهم بعشق....

أنت من يحدد الاختيار بحرية

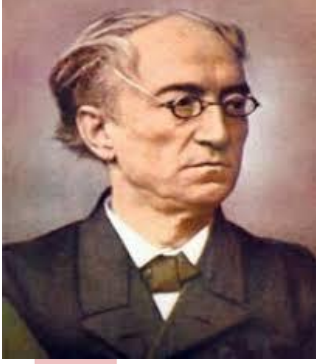
ولم أسقط على ركبتي أمامك مثل عبد

لكنك وأنت تصعدين السلم الملتوي

تتركين الدرجات خلفك رماداً....

خطوة جنونية! وربما تكون، قاتلة...

* * *



فيودور تيوتشيف

(١٨٠٣ - ١٨٧٣)

شاعر غنائي روسي، دبلوماسي،
فيلسوف. عضو مراسل في أكاديمية
العلوم بسانت بطرسبورغ منذ عام
١٨٥٧ ومستشار سري

ولد فيودور تيوتشيف في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٠٣ في عزبة
أوفستوج بمحافظة أوريول. والده إيفان نيكولايفيتش،
ووالدته إيكاترينا لفوفنا.

نشأ تيوتشيف في أسرة نبيلة يتمتع أفرادها بروحانية متميزة.
تلقى فيودور تعليماً منزلياً ممتازاً على يد الشاعر والمترجم
سيميون رايتش الذي علمه نظم الشعر، وساعده أيضاً على
تعلم اللغة اللاتينية.

تمكن فيودور بإشراف معلمه من تعرّف على الشعر
الروماني القديم والسير الذاتية لمؤلفيه. حتى إنه عند بلوغه

الثانية عشرة قام بسهولة بترجمة أعمال الشاعر الروماني الشهير هوراس.

كان تيوتشيف في شبابه يقضي أياماً بطولها في قراءة قصائد جوكوفسكي ودرجافين، معجباً بإبداعهما.

بعد عودته إلى موسكو، واصل فيدور التعليم الذاتي. وحينما بلغ عمره ١٤ عاماً، استمع تيوتشيف لمحاضرات الناقد الأدبي الشهير أليكسي ميرزلياكوف.

في عام ١٨١٩، أصبح الشاب فيودور عضواً في جمعية محبي الأدب الروسي. وخلال زمن قصير، تم نشر أول قصيدة في سيرته الذاتية "رسالة وكانت" إلى راعي هوراس.

بعد ذلك، تمكن الشاعر الشاب من الالتحاق بكلية الآداب في جامعة موسكو. والجدير بالذكر أنه أتم منهاج الدراسة قبل ٣ سنوات من الموعد المحدد. وبفضل روابط والده، قُبِلَ الشاعر في كلية الشؤون الخارجية كسكرتير إقليمي. في وقت لاحق، أصبح فيدور تيوتشيف ملحقاً حراً للبعثة الدبلوماسية الروسية. خلال هذه الفترة من سيرته الذاتية، كان يعمل في ميونيخ، حيث التقى هاينه وشيلينغ. وخلال وجوده في ألمانيا

انكب تيوتشيف، كما في السابق على دراسة الشعر، واهتم أيضاً بالفلسفة الألمانية. وفي الوقت نفسه عكف على ترجمة أعمال غوته وشيللر إلى اللغة الروسية. بالإضافة إلى ذلك، واصل تأليف القصائد، ونشرها في المجلات والصحف الروسية.

خلال الفترة ما بين ١٨٢٠-١٨٣٠ كتب قصائد مثل "عاصفة رعدية ربيعية"، "كيف يحضن المحيط الكرة الأرضية..."، "النافورة"، "الشتاء لا يغضب عبثاً... وغيرها. وفي عام ١٨٣٦، نشرت مجلة "المعاصر" ١٦ عملاً من أعماله، وبفضل ذلك اكتسب فيدور تيوتشيف شعبية كبيرة في وطنه وخارجه.... في الخامسة والأربعين، تلقى منصباً كبيراً في الرقابة. وفي هذه الفترة أيضاً، استمر في كتابة قصائد تثير اهتماماً كبيراً في المجتمع.

ويُعدُّ من أفضل الشعراء والمفكرين في مقارنته بين الإنسان والطبيعة. تغلب على أعماله الرومانسية ووحدة الوجود. وتحظى قصائده بشعبية كبيرة داخل روسيا وخارجها.

أهم الموضوعات في شعره: الحب والطبيعة. وهو في قصائده يعرض ببراعة كل تنوع وجمال في هذا العالم، ويجعلك تتعاطف وتشارك في النبضات الحسية لأبطال قصائده.

تتحدث جميع قصائده عن الحب والطبيعة وهناك قصائد قصيرة عن الشتاء، حزينة وغنائية، وقصائد طويلة عن الصيف، وعن الخريف، والربيع، وقصائد في الصداقة وقصائد عن روسيا الأم....

كتب تيوتشيف أكثر من ٤٠٠ قصيدة، ركز في معظمها على موضوع الطبيعة، فجسد فيها المناظر الطبيعية والديناميكية وتنوع الحياة البرية. من هذه الأعمال "الخريف" و"مياه الربيع"، وكذلك العديد من الأعمال الأخرى التي لا تظهر صورة الطبيعة وحسب، ولكن أيضاً القدرة على الحركة وقوة الجداول بجانب جمال الماء على خلفية لازوردية السماء كما في قصيدة "النافورة".

يمكن بشكل شبه موضوعي تقسيم الزمن الأدبي في حياة تيوتشيف إلى ثلاث فترات:
الفترة الأولى من ١٨١٠ حتى أوائل ١٨٢٠ كتب خلالها قصائده الشابة الأولى، عتيقة النظم والمضمون وقريبة من شعر القرن الثامن عشر....

الفترة الثانية من النصف الثاني من عشرينيات القرن التاسع عشر حتى أربعينيات القرن التاسع عشر، بدءاً من قصيدة "بصيص نور".

نلاحظ في أعمال تيوتشيف بالفعل ملامح مرئية لشعره الأصيل المتميز. إنه مزيج من الشعر الغنائي الروسي في القرن الثامن عشر والتقاليد الرومانسية الأوروبية وفلسفة فريدريك شيلر حول وحدة الكون والآلهة....

الفترة الثالثة من ١٨٥٠ حتى بدايات ١٨٧٠. هذه الفترة لا تشبه العقد السابق من أربعينيات القرن التاسع عشر، عندما توقف تيوتشيف تقريباً عن كتابة الشعر.

خلال هذه الفترة، كتب كثيراً من القصائد السياسية (على سبيل المثال "أشعار حديثة")، وقصائد "المناسبة" و"سلسلة دينيسيف" العاصفة. ومجلة "المعاصر" "سوفريمينيك"....

الهيئة العامة
السورية للكتاب

رعود الربيع

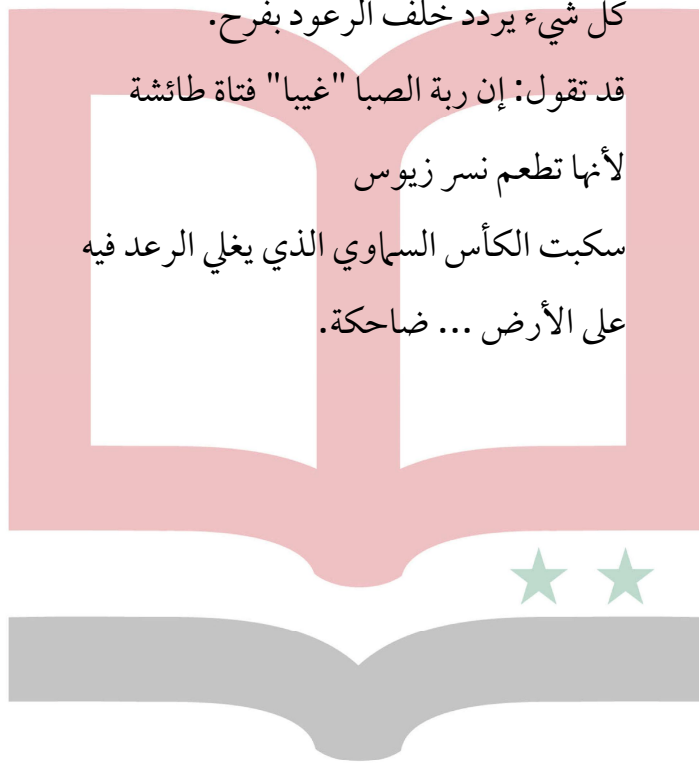
أحب العاصفة الرعدية في أوائل أيار
الرعد الربيعي الأول،
وهو في غمرة الفرح والمرح،
يهدر في السماء الزرقاء ...

صوت الرعود المبكرة يملأ الفضاء

زخات من المطر، والغبار المتطاير
وعلى الأغصان تدلت قطرات كاللآلئ
ورمت الشمس خيوطها الذهبية ...

جدول ينساب من الجبل رشيقا

في الغابة تصدح الطيور بالغناء
وضجيج الغابات والمرتفعات



كل شيء يردد خلف الرعود بفرح.

قد تقول: إن ربة الصبا "غييا" فتاة طائشة

لأنها تطعم نسر زيوس

سكبت الكأس السماوي الذي يغلي الرعد فيه

على الأرض ... ضاحكة.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

الشرق يقبع في سكون مريب

الشرق يقبع في سكون مريب
الصمت المطلق في كل مكان
ما هذا؟ أهو النوم أم الانتظار
وهل اليوم قريب أم بعيد؟
رؤوس الجبال راحت تبيّض قليلاً

لا تزال الغابة والأودية غارقة في الضباب

المدن تغط في نومها،

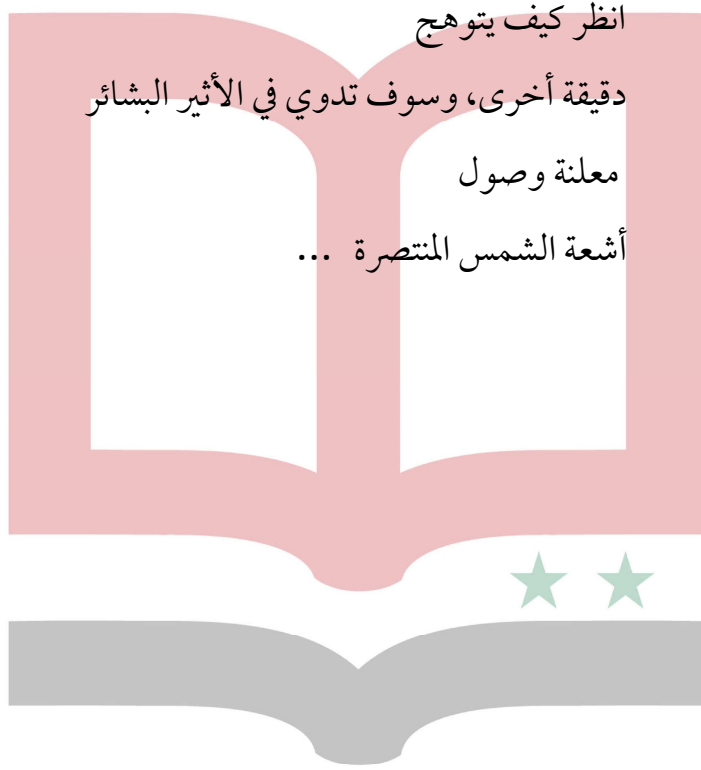
والنعاس يداعب أجفان القرى

ولكن ارفع نظرك إلى السماء

انظر: لاح شريط الشفق الوليد

وكما لو أنه يخفي رغبة عارمة،

يزداد إشراقاً وحيويةً



الهيئة العامة
السورية للكتاب

مساء خريفي

في ضوء أمسيات الخريف
سحر، سحر، سحر غامض
بريق رهيب وأشجار متنوعة زاهية،
حفيف أوراق قرمزية خفيف،
لازوردية ضبابية وهادئة

على أرض يتيمة حزينة

وكما لو أنها تنذر باقتراب العاصفة

تهب رياح باردة في بعض الأحيان،

وعلى كل شيء في المحيط

الأضرار والإرهاق

تطالعك ابتسامة الذبول الناعمة

التي نسميها لدى الكائن العاقل

خجل المعاناة الإلهي....

* * *

أتذكر الوقت الذهبي

أتذكر الوقت الذهبي،
أتذكر الأرض الجميلة التي تسكن شغاف القلب،
كان اليوم يودع الضياء، كنا اثنين
في الأسفل، في الظل، كنا نستمع لخرير الدانوب.

وعلى التل، حيث،

أنقاض قصر ترنو إلى البعيد،

وقفت أنت، الساحرة الفتية،

على الجرانيت المائل المغطى بالطحالب.

تلامس قدمك الناعمة كأقدام الطفل

حطام أكوام من الزمن الغابر.

ينخيل لي أن الشمس أبطأت في مسيرها

خلال وداعها للتلال والقصر ووداعك أنت.

نسم عابرة
راحت تعبث بملابسك
ومن أشجار التفاح البرية تناثرت الأزاهير
على أكتافك الفتية البديعة.
كنت تحديقين ببراءة في الأفق
حافة السماء تلاشت في غمرة الأشعة الراحلة
النهار كان يحتضر، والنهر جرى أكثر حيوية

بين ضفافه التي غادرها الضياء

وهان بفرح بريء

قضيت نهراً سعيداً

وظل حياة تجري سراعاً

طار فوقنا كسحابة...

هذه القصيدة صرخة ألم على مصير روسيا التي تكالبت عليها
قوى الشر (فرنسا وبريطانيا وتركيا) ونداء يستنهض الهمم لرص
الصفوف ومواجهة الأعداء قبل أن يفوت الأوان..

كم سيطول احتجابك خلف الضباب

أيطول احتجابك خلف الضباب

يا نجمة روسيا

أم إنك ستظلين كالسراب أبداً، خداع بصر...؟

العيون تسعى في الليالي

في شوق عارم لرؤيتك

بينما تتناثر أشعتك كنيزك وهمي فارغ

الظلام صار أكثر سواداً والحزن زاد أضعافاً

لا ريب أن كارثة تلوح في الأفق

انظري، هناك علم يصارع الموت في البحر

استيقظي الآن. لأنك إن لم تفعلي

فلن تكون هناك فرصة ثانية.

كم هو مفرح رعد العواصف الصيفية

عندما، تهب الزوبعة مطيحة بالغبار المتطاير

تهش الغيوم أمامها

معكرة زرقة السماء

وبتهور وجنون

فجأة تتجه نحو غابة السنديان

سترتحف الأشجار كلها ولن يسمع في المكان سوى ضجيجها



تنحني عمالقة الغابة كما لو أن قدما عظيمة تطؤها

وتتمايل رؤوسها في كل الاتجاهات

كما لو أنها تتشاور فيما بينها على أمر

وبين المهرج والمرج

يتناهى فجأة إلى الأسماع صفير طير

وهناك في مكان ما

تطايرت أول ورقة صفراء، وهي تدور

على الطريق

أنا أحب عينيك يا صديقتي

أنا أحب عينيك يا صديقتي،

بلعبتها اللاهبة الرائعة،

حين ترفعينها فجأة

وكبرق سماوي،

ترسمين بنظرة خاطفة

دائرة كاملة ...

ولكن هناك سحر أقوى:

هو العيون المسبلة

في لحظات قبلة لاهبة،

ومن خلال الرموش المنسدلة

تلوح نار رغبة متجهمة خافتة

البحر الأسود

خمسة عشر عاماً مرت منذ ذلك الحين
مرت سلسلة من الأحداث،
لكن الإيمان لم يخذعنا
ومازلنا نسمع هدير سيفاستوبل الأخير مدوّياً
الضربة الأخيرة كانت كالرعد

الضربة المفاجئة المباركة.

والأخيرة في المعركة القاسية
والآن الكلمة الأخيرة ستكون
للقيصر الروسي

وكل ما خطط له في الآونة الأخيرة

بدافع عداوة عمياء

بوقاحة، وأنانية ونكران الجميل

مقابل مصداقية القيصر ووفائه...

كل شيء انهار من تلقاء نفسه

والآن: أيتها الطبيعة الطليقة

كما قال شاعرنا المجيد،

تهدر تماماً كما في الأيام الخالية

وتدحرج الأمواج الزرقاء

وتتألق بجمال مجيد! ...

خمسة عشر عاماً من الاضطهاد أسير الغرب

أنت لم تستسلم ولم تتذمر

لكن ساعة القدر دقت.

وانتهى الظلم كمفتاح سقط إلى قاع ييم.

وها هي موجتك مرة أخرى تدعو

روسيا الأم لتنفيذ مشيئة الرب،

لتوقظ سيفاستوبول العظيمة

من نومها المسحور.

وحقيقة أنك خبأت أسطول البحر الأسود الخالد

في أحضانك الحانية من العواصف العاتية

فلم يلحق به أذى....



نعم، سيكون مقدساً هذا اليوم

في قلب الشعب الروسي

هو حريتنا الكبرى

وهو من سوف يبارك

قباب كاتدرائية بيتروبافلوفسك ...

الهيئة العامة
السورية للكتاب

صباح من كانون الأول

الهلل في السماء
وظلال الدجفة لم تحرك ساكناً
معتدة بسلطتها غير آبهة، وغير مدركة
بأن النهار قد انتفض من سباته.

وبالرغم من أن

الأشعة تقرب بكسل وخبجل

فالسما لا تزال أسيرة الليل

الذي يسير بخيلاء مغادرا

ولكن خلال لحظات ...

سوف تتبخر الليلة فوق الأرض ...

فجأة... وفي ألق كامل الأوصاف

سوف يحتضننا عالم النهار المنير ...

علام عواؤك، أيتها الرياح في الليالي؟

ماذا يعني عواؤك، أيتها الرياح في الليالي؟

ما السبب الذي تبررين به فورتك؟

ماذا يعني عزيفك الغريب؟

تارة، أصم يثير الشفقة، وتارة صاحب يبعث على الخوف؟

أنت تتحدثين بلغة مفهومة للقلب

عن عذابات مبهمة -

وتنبشين وتفجرين فيه من وقت لآخر

أصواتاً لا تطاق!

أوه! لا تردد هذه الأغاني الرهيبة

حول الفوضى في الزمن الغابر

والفوضى في بلدي

وكيف يستمع عالم الروح في الليالي

بلهفة لحكايا الحبيبة

إنه يندفع من صدور البشر،
إنه يتوق للاندماج مع الأبدية
أوه! أيتها العاصفة، لا توقظي أولئك النائمين -
لأن اليباب تحتهم وقد بدأت تدبُّ فيه الحياة



الهيئة العامة
السورية للكتاب

لا تصدقي، لا تصدقي الشاعر، أيتها العذراء

لا تصدقي، لا تصدقي الشاعر، أيتها العذراء،

ولا تقولي إنه حبيبك وحدك

واحذري حب الشاعر

أكثر من الغضب اللاهب

لن يكون بمقدور روحك الطفلة

امتلاك قلبه

ولا يمكنك إخفاء النار الملتهبة

تحت نقاب الزفاف الرقيق

الشاعر قوة خارقة كالطبيعة

ليس له سلطة على نفسه وحسب

قد يحرق عن غير قصد جدائلك الفتية بتاجه

عبثاً يوجه الشعب الجاهل

الشتم له أو المديح ...

إنه لا يلدغ القلب كالثعبان،

ولكنه كالنحلة يمتصّه

لن تدنس طهارتك

يد الشاعر النظيفة ...



لكنه قد يخنق الحياة عن غير قصد،

أو يذهب بها خلف السحاب

الهيئة العامة السورية للكتاب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب



أفاناسي أفاناسيفيتش فيت

(١٨٢٠ - ١٨٩٢)

ولد أفاناسي أفاناسيفيتش فيت في قرية نوفوسيلكي، مقاطعة أريول، الإمبراطورية الروسية وهو شاعر، ومترجم، وعضو مراسل في أكاديمية سانت بطرسبورغ للعلوم. ترعرع في عائلة مالك الأرض أفاناسي نيوفيتوفيتش شينشين وأمه التي كانت متزوجة من الألماني يوهان فيت.

جمع أفاناسي جميع مزايا النبلاء بعد استعادته اسم زوج والدته الأول.

درس فيت أولاً في المنزل، ثم أرسل إلى مدرسة داخلية ألمانية في مدينة فيرو، وتخرج فيها في عام ١٨٣٧ بتفوق. في العام نفسه عاد إلى موسكو، وأمضى عاما في مدرسة داخلية فيها.

وفي ١٨٣٨ التحق أولاً بكلية الحقوق، ثم أتم تعليمه في قسم التاريخ واللغة التابعة لكلية الفلسفة بجامعة موسكو.

نشر أول مجموعة شعرية عام ١٨٤٠ على نفقته الخاصة. وخلال العامين ١٨٤٢ - ١٨٤٣ نشرت له إحدى المجلات خمساً وثمانين قصيدة.

في عام ١٨٤٥، التحق أفاناسي فيت بفوج الخيالة، المتمركز في مقاطعة خيرسون، بهدف الحصول على حق التبعية لطبقة النبلاء الروسية.

في عام ١٨٥٠، صدر كتاب أشعاره. وقد ظهرت ردود أفعال إيجابية في كثير من الصحف والمجلات مثل (المعاصر - سوفريمينيك) و(الموسكوبي) وغيرها.

وبعد أن انتقل أفاناسي إلى فوج الحرس في عام ١٨٥٣ كثرت زيارته لسانت بطرسبورغ، وتواصل مع كبار الأدباء الروس نكراسوف وتورغينيف وبوتكين ودروجينين.

في عام ١٨٥٤، بدأ نشر قصائده في مجلة "سوفريمينيك" الأدبية.

في عام ١٨٥٦، غادر أفاناسي فيت الخدمة العسكرية، دون أن يحصل على لقب النبيل، واستقر في موسكو.

في عام ١٨٥٧ تزوج من ابنة أحد الأدباء المعروفين.
في عام ١٨٦٠، اشترى عقاراً في بلدة متسينسك (مقاطعة
أريول)، وتحول كما وصفه تورغينيف إلى " مهندس زراعي
مالك من اليأس".

منذ عام ١٨٦٢، بدأ في نشر مقالات بانتظام في المقال الافتتاحي
"النشرة الروسية" يفضح فيها الأنظمة السائدة في الريف.
في ١٨٦٧ - ١٨٧٧، انتخب أفاناسي فيت قاضياً.

وفي عام ١٨٧٣ بعد أن استعاد كنية والده الروسي (شينين)
منحته الدولة لقب نبيل له ولنسله من بعده. وخلال هذه
الفترة، كان نشاطه الأدبي محدوداً...

في عام ١٨٨١، اشترى قصراً في موسكو، وصدرت ترجمته
لكتاب شوبنهاور "العالم كإرادة وتصور." وفي عام ١٨٨٢
نشر ترجمته للجزء الأول من فاوست للشاعر الألماني غوته.
وعاد في عام ١٨٨٣ لنشر قصائده مرة أخرى في مجموعات
شعرية بعنوان "أضواء المساء". في عام ١٨٨٨ نشر ترجمته
للجزء الثاني من فاوست. وصدرت له المجموعة الثالثة من
قصائد "أضواء المساء".

توفي أثناسيوس فيت بنوبة قلبية في ٢١ نوفمبر (٣ ديسمبر) عام ١٨٩٢ في موسكو. دُفِنَ في قرية كليمنوفو، التي كانت تملكها عائلته.

هو شاعر غنائي، كان أحد أكثر الشعراء رقةً، رغم انتمائه لطبقة الأثرياء وكونه يملك الكثير من الأراضي والعاملين فيها.

لقد كان الشعر منتجاً حاول أفاناسي فيت اللجوء إليه للراحة من عناء العمل وإرهاصات حياة الريف وتأثيرها، والتحليق في فضاء الأحلام الجميلة، ولهذا نرى أن الموضوعين الرئيسيين في أشعاره هما الحب والطبيعة. في الوقت نفسه، كان فيت من أنصار الشعر النقي الصافي، وسعى بذلك لإيصال أفكاره وأحاسيسه بغمزات شفافة.

الهيئة العامة السورية للكتاب

الشفق يودع الأرض

الشفق يودع الأرض
والبخار استلقى في قاع الأودية
انظر إلى الغابة المغطاة بالضباب
وأنوار قممها

كيف تجبو تلك الأشعة بهدوء

وتتلاشى في نهاية المطاف!

وأى متعة تلف الأشجار

حين تستحم رؤوسها المكتنزة بتلك الأنوار!

وبكل غموض وبلا حدود

ينمو ظلها وينمو كالحلم

بينما ترتسم ملامحها برقة

في أضواء المساء.

كما لو أن الأشجار تعيش حياتين
تداعبها رياحهما
تتشبث من جهة جذورها بأرضها
وتسعى قممها نحو السماء.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

لا توقظها عند الفجر

عند الفجر، لا تحاول إيقاظها
أي جمال نائم عند الفجر
الصباح يتنفس على صدرها
ويزهو متوهجا على الخدين

الوسادة دافئة

والحلم المتعب دافئ

والضفائر التي انسدت على كتفيها
غاصت في السواد.

البارحة عند المساء

جلست طويلاً أمام النافذة
وتابعت القمر الذي راح يتزلق

عبر الغيوم. لاهياً.

وكلما ازداد القمر ضياءً،
وعلا غناء العندليب،
ازدادت الحسناء شحوباً،
وتعاضم الألم في القلب الخافق.

هذا ما يجعل الصباح يتوهج
على خديها والنهدين الفتين.

فلا تحاول إيقاظها، لا توقظها ...

فكم هي بديعة في نومها في أحضان الفجر

الهيئة العامة
* * *
السورية للكتاب

الصفافة

سنجلس هنا قرب شجرة الصفاف.
يا لها من انحناءات بديعة
على اللحاء وحول التجاويف
وكم هي جميلة تحت الصفاف
التموجات الذهبية

وجداول الزجاج المتراقص!

الأغصان الرطبة انحنت أقواساً فوق الماء...

كشلال أخضر

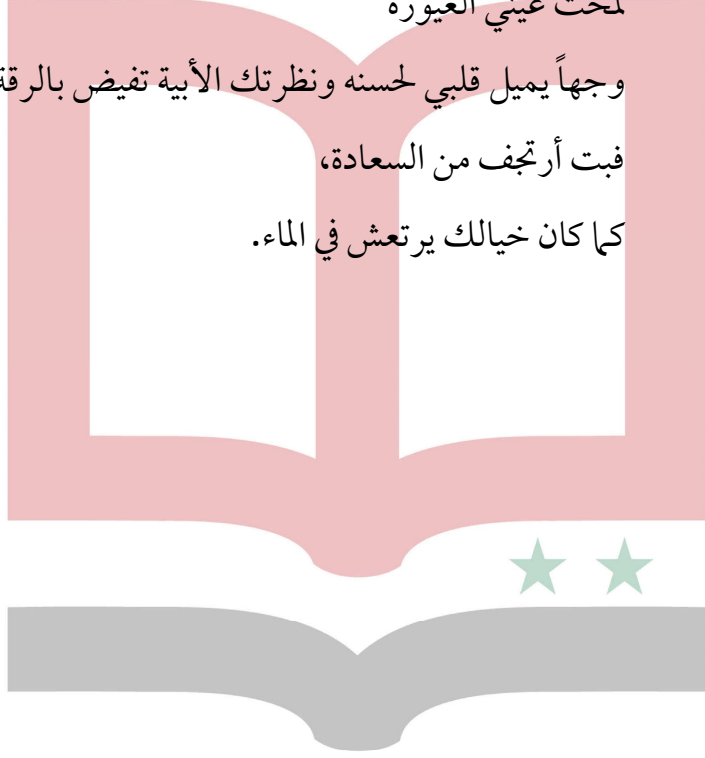
وكما لو أنها تتنافس فيما بينها،

راحت أوراقها تحدر صفحة الماء.

كما لو كانت تحمل إبراً.

في هذه المرأة تحت الصفافة

لمحت عيني الغيورة
وجهاً يميل قلبي لحسنه ونظرتك الأبية تفيض بالركة
فبت أرتجف من السعادة،
كما كان خيالك يرتعش في الماء.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

يا لها من سعادة أنا وأنت والليل ...

أي سعادة: الليل، وأنا وأنت وحدنا

النهر كمرآة تشعشع فيه النجوم

ذلك العمق والصفاء فوقنا

يمكنك أن تنعيني بالجنون!

قولي ما يجلو لك

في هذه اللحظة يأخذ العقل بالاضمحلال

بينما يحتاج القلب مداً عظيماً من الحب،

لا أستطيع معه أن أكون صامتاً، ولن أكون، ولا أعرف كيف

- أنا مريض، أنا عاشق؛ لكنه العذاب والحب معاً

- أرجوك اسمعي! آه حاولي أن تفهميني!

أنا لا أخفي رغبتني الجاحمة

- وأريد أن أقول إنني أحبك

وحدك أنت أحبك وأرؤم وصالك!

ضياء القمر

تعالى نتجول معاً
في ضوء القمر
كم سيطول عذاب الروح
في الصمت الداغى

البحيرة تلمع كالفلواذ،

والأعشاب تتمايل في نحب،

والطاحونة، والنهر والمدى

في ضوء القمر

أليس الأولى بنا أن نرمى الحزن بعيداً

فنحيا ونحن في هذا السحر؟

لنخرج من نخدعنا بهدوء

ونمشى الهوينى في ضوء القمر

ليلة من أيار

بقايا قطيع الغيوم المتكاسلة تعبر فوقنا
تتلاشى حواشيها الشفافة بهدوء
في منجل الهلال.

قوة الربيع الخفية تملأ الأكوان
والنجوم على غرتها

أنت أيها الجمال! قد منيتني بالسعادة

على أرض خاوية

وأين هي السعادة؟

لا، ليس هنا في هذا المكان البائس

أه، انظرها هي كالدخان

لتتبعها! لتتبعها! في دربها الأثري

ونظير بعيداً نحو الخلود

* * *

أنا في انتظار صدى العندليب

أنا في انتظار ... صدى العندليب
يحمّله إلى النهر البراق
العشب في ضوء القمر كما لو أنه في حلق من الماس
واليراعات تضيء على نبات الكراوية
أنا في انتظار ... السماء الزرقاء الداكنة

حيث أسمع تماماً دقات القلب

في النجوم الصغيرة والكبيرة، على السواء
والرعدة تمور في الذراعين والساقين.

أنتظر... وها هي الرياح تهب من الجنوب.
أشعر بالدفء واقفاً أم ماشياً على حد سواء؛
نجم هوى هناك في الغرب
آسف، يا ذهبي، آسف

* * *

حول القصيدة

يُعدُّ الشاعر أфанاسي سيد المشهد الشعري العاطفي، القادر على إغناؤه ديناميكيةً وتوتراً.

كتب القصيدة في عام ١٨٤٢. في ذلك الوقت، كان عمره اثنين وعشرين عاماً. وفي هذا الوقت كان قد انتقل من كلية الحقوق إلى كلية الفلسفة. ظهر لأول مرة في المجال الأدبي من خلال ديوانه الشعري. وتتنمي القصيدة إلى الميراث، ففي "أنا في انتظار صدى العندليب." بطل القصيدة الشاب يكتنفه إحساس جميل. والصورة الليلية التي وصفها بهيجة وزاهية: العندليب، النهر، القمر، النجوم، الرياح العطرة الدافئة. البطل مفتون بغناء العندليب البديع الذي يتناهى إلى مسامعه من الضفة المقابلة. في هذه اللحظة هو وحده، ولا يشغل باله أمر، وليس هناك في الكون شيء يمكن أن يسمم فقدانه، هذه اللحظة من المحادثة الخفية المباركة بين الإنسان والطبيعة.

ألماس العشب: استعارة لغوية حية. "اليراعات على الكراوية." في الواقع، خلال فترة الإزهار، تجذب بذور الكراوية العديد من الحشرات.

لهذا الغرض، كانت الكراوية تزرع في الحدائق. اليراعات المذكورة هي خنافس ذات أعضاء مضيئة في الظلمة. المشهد خيالي في جماله رغم أنه مألوف، المقطع الثاني يفتحه الشاعر بالجناس، كما لو كان في حالة من الهذيان، "أنا في انتظار....". السماء مرصعة بالنجوم تتألق لدرجة أن البطل قادر على رؤية نجوم صغيرة جدا. ينظر إلى نفسه عن جنب: أسمع دقات القلب. يستخدم الشاعر عمداً التفاصيل والتفاصيل لمنح صور القصيدة قدراً أكبر من المصدقية: صغير وكبير، ذراعان وساقان، يقف ويمشي. وأخيراً، في المقطع الثالث مرة أخرى نفس الجناس. يؤكد توتر توقعات البطل. في هذه الليلة السحرية، هبت ريح "من الجنوب": لا صقيع أو شمال، أو حزن، أو خوف. البطل يشعر بالدفء، يمر الوقت، فيتجول عبر العشب اللامع تارة وتارة يتسمر في مكانه، يستمع إلى نفسه وإلى العالم. وفجأة "لقد هوى النجم": هل هنا تكمن توقعات البطل؟

ربما قرر بشكل طفولي أن تكون له أعظم أمنية في الحياة، وتحقق مع النجم الساقط؟ ولهذا غادر المنزل وخرج في الليل.

أم هل يأمل البطل أن يكتشف سر مستقبله؟ وربما لم يخل ذلك
من شعور رومانسي.

ونلاحظ في الختام تكرار كلمة "سامحني" يا ذهبي المتهاك"،
وهو هنا كأنه يودع النجم الذي بسقوطه تلاشى ولم يعد جزءاً
من هذه المشهد الرائع ...

* * *



الهيئة العامة
السورية للكتاب

ليلة جنوبية على البيادر

في ليلة من ليالي الجنوب
كنت أفترش كومة من القش على البيدر
ووجهي إلى اليابسة،
وجوقة الشمس، كانت تضج حياة وودادا،
على مد البصر



والأرض الخرساء،

راحت تنأى بصمت مثل حلم ضبابي،
وأنا، كأول ساكني الجنة،

كنت أول من رأى وجه الليل

لست أدري أهو أنا من سعى إلى أعماق سماء منتصف الليل
أم إنَّ حشوداً من النجوم اندفعت نحوي؟

يخيل لي أن يداً جبارة كانت تخلق بي

فوق تلك الهاوية

وبين أنفاسي المحبوسة وروحي المضطربة

راح نظري يعاين الأعماق،

التي غدوت مع كل لحظة

أغرق فيها بلا عودة....

نظرة عميقة إلى القصيدة

المشهد على بساطته يمثل لحظة دنيوية عابرةً ولكنها في الحقيقة تنطوي على بعد فلسفي مكاني وزمني بدايته كومة من قش ونهايته في قاع السماوات السحيق. واللحظة هي نظرة بطل القصيدة، بل سيرته الذاتية... ولكنها مناقضة للمألوف "فهو يستخدم كلمة اليابسة لكنه لا يقصد "الأرض"، بل "الجنة السماوية". وكلا المفهومين مأخوذان من الكتاب المقدس. "جوقة الشمسوس": وهذا التعبير يرمز إلى كل من النجوم والكواكب. ومقارنتها بالجوقة (الكورس) ترتبط أيضاً

بالكتاب المقدس. فهو يتحدث عن فرح النجوم وإنشادهم في تسييحهم للرب. يبدو أن البطل يعيش حالة ضياع وكأن الأرض زالت تحت قدميه، ولم تعد قوانين الطبيعة سارية. فتختفي الأرض في الفضاء الخارجي بصورة غامضة. من غير المرجح أن يتم العثور عليها ثانية. "كأول ساكني الجنة": الجنة هي الجزء الأعلى من الأرض، وهي مخفية عن أعين البشر. "وحده رأى الليلة على حقيقتها": يتذكر الشاعر الأزمان السحيقة عندما كان آدم أول شخص يرى عجائب الدنيا وجمالها.

البطل تائه في الفضاء، يخيل له أنه ماضٍ للقاء النجوم وفي تلك اللحظات التي يشعر فيها بالضعف واليأس يشعر فجأة بالحماية. "اليد الجبارة التي أمسكت به على حافة الهاوية. (هاوية الضياع واليأس) مرة أخرى،" ويقصد يد الله. وفوق الهاوية يضطرب العقل البشري، وينحني أمام سر الوجود المهيّب.

نظرة عميقة يعاين فيها عمق السماء وكأن البطل استعاد القدرات التي كانت في آدم ذات يوم. أخيراً، النهاية هي استعارة مفصلة. يغوص الإنسان في "أعماق منتصف الليل"، ويغرق فيه، ومن هذا العمق الذي يتعذر إدراكه، لن يقدر له العودة ثانية.

الرسائل القديمة

رسائل عتيقة، منسية تعلوها طبقة من الغبار،
تلك الملامح العزيزة، ها أنت مرة أخرى أمامي
وفي ساعة من الألم، توقظ على الفور
كل ما فقدته الروح منذ وقت طويل

عندما نحترق بنار الخجل، تلتقي العيون مجدداً
بالثقة والأمل والحب،
والزخارف الباهتة للكلمات الصادقة
إنها تسوق الدم من قلبي إلى الخدين

أنا مدان من قبلكم، أيها الشهود الصامتون
شهود ربيع روحي والشتاء القاتم.
لا زالت لديكم الفضيلة والقداسة والشباب

كما في تلك الساعة الرهيبة التي شهدت وداعنا

لقد كنت واثقاً من ذلك الصوت الغادر
الذي أوهمني بأنه يمكن العيش في هذا العالم دون حب
فدفعت بقسوة اليد التي كتبت
وحكمت على نفسي بالفراق الأزلي
وبصدر مثلج انطلقت في رحلتي إلى المجهول.



لماذا تهمسين لي عن الحب، وتنظرين إلى عيني؟

بنفس الابتسامة البريئة

فلن يبعث الروح من رقادها حتى صوت الغفران

ولا يمكن للدموع اللاهبة أن تغسل هذه السطور....

الهيئة العاقبة
السورية للكتاب

تميز أفاناسي فيت بكثرة القصائد التي كرسها للحب الأول
وملهمته العذراء ماري لازيتش، وقد أصر هو بنفسه على
الافتراق لأنه كان يطمح لتحسين حالته المادية ولم تكن الفتاة
التي أحب تملك شيئاً. وقد ماتت الفتاة بصورة مأساوية، تاركة
في روح الشاعر إحساساً بالذنب لازمه حتى مماته.

وهذه القصيدة واحدة من عشرات القصائد التي تفضح
معاناته، وتعري أحاسيسه ومشاعره تجاه أحب أنثى، وأعظم
حب في حياته ...

ذلك أن الشاعر وحببته تبادلاً الرسائل العاطفية طويلاً.
وبعد وفاة الفتاة بزمن تزوج أفاناسي، ولما لم يكن ذلك الزواج
عن حب فإن الرسائل القديمة التي احتفظ بها أحييت في ذاكرة
بطله تلك الأعوام السعيدة الراحلة.

إنها أكثر من مرثية واعتراف أمام الكاهن أو السجود أمام
قبر عذراء رحلت عن هذا العالم ضحية التقاليد الصارمة
والقوانين الجائرة والتناقضات في المجتمع الروسي آنذاك.

* * *

السهب في المساء

الغيوم دوامة، تذوب في ألق قرمزي،
والحقول تستحم في الندى،
للمرة الأخيرة، بعد مرور الثالثة،
اختفى الخوذي خلف الممر الجلي الثالث
مع وقع أجراس ودون أن يثير الغبار.



لا يوجد أثر للبيوت في العراء

وليس هناك نار في البعيد ولا تسمع أغنية

ولا تمنى النفس بها.

السهب وحدها ولا شيء سوى السهب.

بلا شيطان كالبحار

والجودار يموج بسنابله الناضجة.

والقمر الذي احتجب نصفه خلف سحابة

لا يجروء على التألق في حضرة النهار

ها هو الزيز طار، يئزّ غاضباً،

وعقاب يخلق دون أن يحرك جناحيه.

الحقول بدت بوشاح مذهب،

وطائر السمان يصدح في البعيد،

وأسمع صفير الكراكي الخافت، في المنحدرات الندية.

العين تتابع بفضول الشفق المخادع

بدأت البرودة تتسلل خلال السهوب الدافئة،

والقمر يطل من خلف السحب متألقاً.

والنجوم تغمز بشعاعها من السماء،

ودرب التبانة أشبه بنهر من السناء....

* * *



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

أجزاء الثاني

العصر الفضي للشعر الروسي

العصر الفضي هو عصر الحداثة، الذي كان ثورة في الأدب الروسي. وهو الحقبة التي استولت فيها الأفكار المبتكرة على جميع مجالات الفن، بما في ذلك فن الكلمة. على الرغم من أنها استمرت لربع قرن فقط (من عام ١٨٩٨ إلى نحو ١٩٢٢)، يُعدُّ تراثها الميراث الذهبي للشعر الروسي. حتى الآن، لم تفقد قصائد ذلك الوقت سحرها وأصالتها، حتى على خلفية الإبداع الحديث. وكما نعلم، في مطلع القرنين التاسع عشر والعشرين، كما هو الحال في معظم الأدب الأوروبي، لعبت الدور الريادي في الأدب الروسي حركات الحداثة، التي تتجلى بوضوح في الشعر. يسمى عصر الحداثة في الأدب الروسي "العصر الفضي". أهم مزايا "العصر الفضي" هي أنه عند إجراء عمليات بحث خلاقة استناداً إلى المبادئ العامة للحداثة في نهاية القرن التاسع عشر، كان على الكتاب في بداية القرن

العشرين تحديد مواقفهم فيما يتعلق بالمشاكل الملحة للعصر. انعكس هذا على مصير وعمل العديد من شخصيات العصر الفضي. بعضهم كان ينظر إلى الأحداث الثورية على أنها مأساة لشعوبهم ولهم شخصياً، وفهم بعضهم الآخر حتمية هذه الكارثة ودعا إلى تنقية أخلاقية للإنسان والمجتمع، في حين ربط آخرون نشاطهم الأدبي علانية بأفكار الثورة الاشتراكية ويُعدُّ فلاديمير مايكوفسكي خير ممثل لهذا الاتجاه....

لا شك أن إنجازات العصر الفضي الأدبية كانت كبيرة، فلم يعط أي أدب أوروبي في هذا الوقت ذلك التنوع من الهويات الشعرية مثل الأدب الروسي في العصر الفضي ولم يعان أي أدب أوروبي مثل تلك المأساة.

لقد استبعد كل الشعراء الروس في العصر الفضي تقريباً في عشرينات وثلاثينيات القرن العشرين من العملية الأدبية: فقد أُعِدِمَ غوميليوف، وماندلشتام، واضطر بعضهم إلى مغادرة البلاد والعيش في المهجر، وأقدم آخرون على الانتحار مثل مايكوفسكي ومارينا تسفيتايفا وحُظرت أعمال باسترناك وأنا آخمتوفا.

أعمال المستقبليين والخيالين والرمزيين مصدر الهام لكاتبتي الأغاني الشهيرة في تاريخ تطور الشعر الروسي في "العصر الفضي"، تجلت ثلاثة اتجاهات بوضوح أكثر: الرمزية، والأكمية، والمستقبلية. ويبدأ "العصر الفضي" بظهور الرمزية الروسية على الساحة الأدبية، التي تطورت كحركة فنية في الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر وألّعت ممثلها (فاليري يريوسوف).

والسمة المميزة للرمزية الروسية هي طابعها الفلسفي. لكن الجيل التالي من الرمزيين الروس لم يعرض للملأ في البداية النظرات العالمية الرمزية، بل النواحي الجمالية في مجال الشكل ...

وقد عمد يريوسوف إلى التجربة مع مختلف الأنواع والأشكال الشعرية. وكان للدورة أهمية خاصة لدى شعراء الرمزية. ففي جميع قصائد يريوسوف وبلوك نلاحظ ارتباطها في حلقات. فالحلقة (الدائرة) أتاحت إمكانية الكشف بشكل كامل عن خصائص النظرة الرمزية إلى العالم، وفلسفتها، التي تقول إنه لا يمكن فهم العالم من خلال العقل أو المشاعر. يمكن فقط للشاعر المبدع في حالة خاصة من البصيرة الإبداعية، فهم العلاقة بين العالم الحقيقي والمثالي.

ينتقل هذا التواصل بصورة رمز، وفي الدورة، تتوافق الرموز، وتكمل بعضها بعضاً، وهكذا تدخل في علاقات معقدة، وعندها فقط يمكن فهم مغزاها .

ثم ظهر اتجاه جديد في روسيا في بداية القرن العشرين. دعي (الأكمية - الذروة) يرتبط تكوين الذروة ارتباطاً وثيقاً بأنشطة "ورشة الشعراء و"أكاديمية الشعر" المعارضة، التي كانت الشخصيات الرئيسية فيها: مؤسس الذروة نيكولاي غوميلوف، وأنا أختاتوفا وسيرجي غوروديتسكي وأوسيب مندلشتام. وهي حركة أدبية مميزة فقط للأدب الروسي. تعارض الرمزية.

وربما يرجع الاهتمام بها في زمننا الحاضر لكونها مرتبطة بمصير وعمل أولئك الشعراء، الذين كان لهم تأثير كبير في شعر القرن العشرين. وتكمن أهمية الأكيمين بكونهم اكتشفوا طرق تعرية العالم الداخلي للبطل الغنائي.

غالباً ما تعرض الحالة الذهنية للبطل عن طريق الحركة والإيحاءات وتعداد الأشياء التي تقود إلى خيارات ومقارنات مختلفة. هذا "التجسيد" للمعاناة سمة لكثير من القصائد التي

كتبها أنا أحماتوفا. وتتجلى العبقرية الشعرية لأحماتوفا في اختيار ووضع التفاصيل التي تولد العمق الفكري للنص. ولا شك أن وصف الطبيعة أو فضاء المدينة بهندستها المعمارية وأشكال الأدب العالمي والإشارات إلى الأحداث التاريخية والأبطال التاريخيين تلعب كلها دوراً في إيصال المعلومات حول تصرفات ومشاعر الأبطال الغنائيين. وهناك من يرى أن قوة التأثير في شعر أحماتوفا تجعل قصائدها في قمة الشعر ...

الرمزية الروسية

يُعدُّ الكاتب الفرنسي س. بودلير "أبا" الرمزية الأوروبية، أما في روسيا فيمكن القول إن فيودور تيوتشيف وأفاناسي فيت هما الأبوان الروحانيان للرمزية الروسية.

وأصبح البيت الشهير من قصيدة تيوتشيف (الفكرة التي ينطق بها اللسان - كاذبة) شعار الرمزيين.

يمكن تقسيم الرمزية في تاريخ الأدب الروسي إلى مرحلتين: المرحلة الأولى وهي التي عمل فيها الجيل الأول من الشعراء دميتري ميريجكوفسكي وزوجته الشاعرة الشهيرة زينايدا

غيبوس، فيودور سالاغوب، كونستانتين بالمونت وفاليري
يريسوف، وألكساندر دوبروليوبوف، وقد مجدوا الجمال،
وأكدوا التعبير الذاتي الحر للشاعر.

والمرحلة الثانية وعمل فيها الجيل الثاني الشاب، وكان من
أهم شعرائه: سيرغي سولوفيوف، فيتشيسلاف. إيفانوف،
أندري بيلي وألكساندر بلوك.

وتميز هذا الجيل بتبنيه الأفكار الفلسفية والصوفية التي
تضمنتها أعمال الفيلسوف الروسي فلاديمير سولوفيوف وقديسته
صوفيا (التي تنظوي على حكمة العهد القديم وحكمة فلسفة
أفلاطون، لتكون الأنوثة الخالدة وروح العالم " عذراء بوابات
الفرح".

وقد أثرت شخصية صوفيا القدسية على شعراء هذا الجيل
فنلقاها (السيدة الرائعة) لدى بلوك، ورأى ميخائيل فولوشين
أنها تتجسد في الملكة الأسطورية تيا (زوجة فرعون مصر
أمينحوتب الثالث، والد أختاتون وجد توت عنخ آمون). بينما
كرس الشاعر أندري بيلي أشعاره لها كمثال الأنوثة الخالدة.

الملامح الأساسية للرمزية الروسية

- فكرة العوالم الحقيقية والغيبية.
- إظهار الواقع عن طريق الرموز.
- نظرة خاصة إلى الحدس كوسيط في فهم العالم وتصويره.
- فهم باطني للعالم.
- شاعرية المضمون المتنوع.
- السعي الديني ("الشعور الديني الحر").
- إنكار الواقعية.

العلامات المميزة للاتجاه الرمزي

- الفردية.
- المثالية.
- إدراك مأساة العالم، وأزمة الواقع الروسي.
- السعي الرومانسي وراء المعاني.
- الوحدة الجوهرية والهيكلية للشعر.
- أفضلية العام على الخاص.

- دورية المواضيع في عمل كل مؤلف.
- الأساطير- الشعرية والفلسفية (على سبيل المثال، القديسة صوفيا والأنوثة الأبدية، لدى سولوفيوف).
- الصور المهيمنة (على سبيل المثال، صورة عاصفة ثلجية).
- الشخصية اللاعبة للإبداع والحياة.
وهكذا، فإن الرمزية على هذا النحو ترى الواقع في رموز لا نهاية لها ومتنوعة في المحتوى والشكل.
أعاد الرمزيون الروس النظر في تفسير دور الفرد ليس فقط في الإبداع، ولكن أيضاً في الواقع الروسي، وفي الحياة بشكل عام.
قاد الاهتمام بشخصية الشاعر والكاتب والإنسان شعراء هذا الاتجاه إلى نوع من إعطاء أبعاد أوسع للشخصية. هذا الفهم للفردية الإنسانية هو سمة مميزة لجميع الرمزيين الروس. لكن هذا نراه متبايناً بينهم في المقالات والبيانات والممارسات الشعرية. فمثلاً نرى لدى ميريجكوفسكي كيف أن الشاعر يغوص في هاوية نفسية "الظلامية واللاوعي"، وأن الشخص الحقيقي، وفقاً له صوفي، غيبي، مبدع ولديه قدرة الفهم المباشر للطبيعة الرمزية للحياة والعالم.

في نهاية القرن التاسع عشر، كان ميريجكوفسكي في حيرة من
فكرتين: "فكرة الإنسان الجديد" - و "فكرة إبداع الحياة" خلق
حقيقة ثانية.

بينما يريوسوف يتغلغل من جهة، وتتسلل إلى أعماقه من جهة
أخرى "المشاعر القائمة الخفية".

أما بالمونت فيسعى في قصائده لإظهار الرغبة في التغيير،
والتغيرات الحسية، والتعبير عن فهمه الحسي للعالم، وأصبحت
الشخصية في تعاملها، أعلى وأكثر تنوعاً من فهم الخير والشر.

بينما أعلن سالاغوب مبدأ وحدة وتساوي مزاجيات
الإنسان، وتحدث عن الحياد الأخلاقي للفنان.

المبادئ الجمالية لدى الرمزيين

- "الفردية الأرسقراطية"

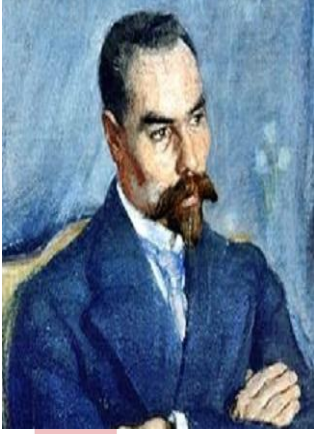
- الإنسانية المساوية

- "فكرة تحويل" الشخصية الحرة" نحو الأفضل.

ويمكن القول إن الرعيل الأول سار في طريق الرمزية
الفرنسية بانطباعيتها الساقطة، بينما رفع الرعيل الثاني شعار
الفن الفعال، إذ يغلب الإبداع على السعي للمعرفة.



الهيئة العامة
السنورية للكتاب



فاليري يريوسوف

(١٨٧٣ - ١٩٢٤)

شاعر روسي، كاتب، وكاتب
مسرحي، ومترجم، وناقد أدبي،
ومؤرخ. وأحد مؤسسي الرمزية
الروسية.



في عامه الثالث عشر، ربط فاليري يريوسوف مستقبله
بالشعر. غير أن التجارب الشعرية المعروفة ليريوسوف يعود
أقدمها إلى عام ١٨٨١ حين كان في الثامنة من عمره؛ في وقت
لاحق ظهرت قصصه الأولى (غير الناضجة) خلال دراسته في
مدرسة كريمان، ثم اتجه إلى كتابة الشعر في فترة المراهقة، وعدَّ
الشاب يريوسوف الشاعر الروسي الشهير نكراسوف مثاله
الأدبي، وغاص لفترة في أشعار نادسون صاحب المقولة الشهيرة:
(كم كانت الحياة قصيرة! وكم كانت المعاناة كبيرة!).

ساهم فاليري يريوسوف في تطوير شكل القصيد، واستخدم القوافي غير الدقيقة، "القصيد الحر" على مذهب الشاعر البلجيكي فيرخارن (وأحد مؤسسي الرمزية).

العمل من أجل الفنّ والخلود

في تسعينيات القرن التاسع عشر، عكف فاليري يريوسوف على دراسة أعمال بوشكين وأعلام الرمزية الفرنسية شارل بودلير، بول فيرلين، ستيفان مالارمي.

في عام ١٨٩٣، كتب رسالة إلى فيرلين، قدم فيها نفسه كمؤسس الرمزية الروسية. وفي العام نفسه، ابتكر يريوسوف دراي ديكايتي (نهاية القرن) تحدث عن بعض حقائق سيرة الشاعر الفرنسي.

في عام ١٨٩٣، التحق يريوسوف بجامعة موسكو. ودرس التاريخ والفلسفة والفن والأدب. كرس الشاعر الشاب الكثير من الوقت للغات الأجنبية، وبعضاً من الوقت فقط لقراءة المؤلفين الأجانب بلغاتهم الأصلية.

في مذكراته، كتب يريوسوف: "لو قدر لي أن أعيش مئة حياة، فلن تشبع عطشي كله للمعرفة... " وبالفعل في سنته الثانية من الدراسة، نشر الشاعر مجموعته الأولى (الروائع).

من سيرته الذاتية:

"كتبت الشعر بكثرة، لدرجة أنه سرعان ما امتلأ (الدفتري السميك) الذي أهدانيه المحبون.
لقد جربت جميع الأشكال الشعرية - السوناتات، التيراكين، الأوكتافات، البليت، روندوس، وجميع الأوزان. كتبت الدراما والقصص القصيرة والروايات ... كل يوم حملني إلى أبعد وأبعد. في الطريق إلى المدرسة (هيمنازيوم)، كان خيالي يتدع أعمالاً جديدة، وأما في المساء، فبدلاً من تعلم الدروس وكتابة الوظائف، كنت أكتب. وأكتب. الشعر والنثر."

(فاليري يريوسوف)

وقد كتب في المقدمة: "بطباعتني لكتابي في أيامنا هذه، لا أتوقع أن يتم تقييمه بشكل صحيح ... ولم أطبعه لا للمعاصرين ولا للبشرية، بل أقدمه للفن وللسرمدية". وقد استقبل النقاد القصائد بفتور وتشاؤل. بها في ذلك بسبب العنوان المادح للكتاب. بعد ذلك بعامين، أُصدرت المجموعة الثانية "هذا أنا." فظهرت الدوافع التزيينية والتاريخية والعلمية فيه.

وصدر الكتاب التالي كمجموعة من قصائد "الحرس الثالث" بموضوعات تاريخية أسطورية أهداها الشاعر لكونستانتين بالمونت. والمعروف أن الشاعر كان ينشر أعماله في كثير من مجلات موسكو وسان بطرسبرغ، وعمل أيضاً في دار النشر "سكوريون" في مدينة موسكو....

في أوائل القرن العشرين، حدث تقارب بين فاليري يريوسوف ومجموعة من الرمزيين مثل ديمتري ميريجكوفسكي، وزينايدا غيبوس، وفيودور سولوغوب. وفي عام ١٩٠١، تم نشر أول مجلة مشتركة وهي "أزهار الشمال" بعدها أصبحت الرمزية حركة أدبية مشهوداً بها.

وقد نظم الشعراء والكتاب لقاءات أدبية في حلقة غيبوس، أيام "الأربعاء" مع يريوسوف، وكذلك مع صديقه ألكساندر ميروبولسكي (لانغ).

في عام ١٩٠٣ نشر يريوسوف كتاب "إلى المدينة والعالم"، وفي عام ١٩٠٦ مجموعة "إكليل الزهور". ويضم "إكليل الزهور" أعمالاً من سنوات سابقة أسطورية وغنائية ومكرسة أيضاً للثورة والحرب.

في تلك الفترة الزمنية من العمل الأدبي، يصدر الشاعر مجلة الرمزيين " الميزان"، ويدير قسم النقد الأدبي في مجلة " الفكر الروسي"، ويكتب المسرحيات، والنثر، ويترجم المؤلفين الأجانب.

خلال الحرب العالمية الأولى، عمل فاليري يريوسوف كمراسل حربي في صحيفة (روسكي فيدومستفي)، لكن الحماس الوطني للحرب تلاشى بسرعة، فقد ذكرت أرملته أن يريوسوف عاد بخيبة أمل عميقة من الحرب، ولم يعد لديه أدنى رغبة في رؤية ساحة المعركة". وظهرت قصائد نقدية له خلال هذه الفترة، لكنها لم تنشر...

في هذه السنوات، لم يركز فاليري يريوسوف على مواضيع قصائده الجديدة، بل على شكل القصيدة والتقنية الشعرية. اعتمد القوافي الرقيقة، وكتب أشعاراً فرنسية كلاسيكية، وعكف على دراسة طريقة شعراء مدارس الإسكندرية^(١).

(١) عدد من الحركات الفلسفية والأدبية، تعاقبت في مدينة الإسكندرية من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي. أشهرها مدرسة الأفلاطونية الجديدة والمدرسة اللاهوتية.

واشتهر بمهارته في الارتجال: وقد ابتدع سوناتة كلاسيكية في زمن قياسي قصير. (السوناتا الشعرية - قصائد من أربعة عشر بيت - اثنان رباعيات واثنان ثلاثيات بالتناوب ...

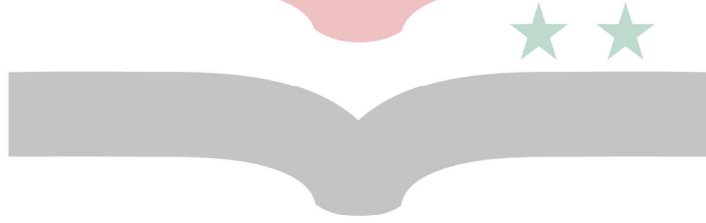
في عام ١٩١٥، بطلب من لجنة الأرمن في موسكو، بدأ فاليري يريوسوف في إعداد كتاب جامع للشعر الوطني الأرمني. شمل المختارات لألف وخمسمئة سنة من تاريخ أرمينيا. شارك الشاعر في تنظيم العمل، والترجمات، وتحرير الكتاب، وإعداده للطباعة. ولما نُشرت المجموعة، كتب يريوسوف عدة مقالات عن الثقافة الأرمنية وكتاب "وقائع المصير التاريخي للشعب الأرمني". في وقت لاحق وتقديراً لدوره المهم في انجاز ذلك العمل التاريخي منحتة الحكومة الأرمنية لقب الشرف شاعر الشعب الأرمني..

بعد انتصار الثورة البلشفية، عمل فاليري يريوسوف موظفاً حكومياً.

في البداية، ترأس لجنة تسجيل الطباعة ثم في دار النشر الحكومية، وكان رئيس مجلس اتحاد شعراء عموم روسيا، وساعد في إعداد الطبعة الأولى من الموسوعة السوفيتية

الكبرى. وفي عام ١٩٢١، اقترح أناتولي لوناتشارسكي
وزير التعليم على يريوسوف إنشاء المعهد العالي للفنون
والآداب. والذي بقي الشاعر رئيسه وأستاذه حتى نهاية
حياته...

في عام ١٩٢٤، مات الشاعر - بعد مرضه بالتهاب
رئوي حاد، ودفن في مقبرة نوفوديفيتشي الشهيرة في مدينة
موسكو...



الهيئة العامة
السورية للكتاب

أغنية المهد

نم يا صغيري فالطيور قد نامت
واللبؤات أَرْضعت صغارها
والغزلان الوجلة غفت وهي مستندةً
إلى أشجار السنديان في الغابة
والنعاس يغلب على الأسماك في البحيرة؛

وسمكة السلور الشائبة كذلك

الذئاب فقط، والبوم فقط

على استعداد للنزهة في الليالي

يبحثون وينقبون عما يمكن سرقة

منقار مفتوح وأنياب تلمع...

لا تخف فأنت في السرير

نم يا صغيري بسلام وهناء...

نم مثل الأسماك والطيور والأسود
مثل الخنافس بين الأعشاب
كما هو الحال مع الوحوش في مغاراتها،
وفي الجحور الأعشاش ...
أيتها الذئب وأنت يا بومة
لا تعكروا بعوائكم وصياحكم أحلام الأطفال ...

الطريق إلى دمشق



شفتاي تقتربان

من شفتيك ،

أدينا الطقوس مرة أخرى

والعالم أشبه بالهيكل

الهيئة العامة
السورية للكتاب

نحن ككهنة

نبتدع الطقوس .
في الدير الكبير
تتردد الكلمات بصرامة .

الملائكة السجدة

يغنون التروباريون .

النجوم هي مصابيح مضاءة ،
والليل محراب .

مالذي يشدنا إلى الأقدار
كما يجذب المغناطيس الفولاذ ؟

نتنفس بشغف وحنان ،
ولكن بعينين مطبقتين .



الهيئة العامة
السورية للكتاب

هناك شيء واحد أبكيه بمرارة

هو الأيام الماضية

هو أيام العريضة اللذيذة

والحب حتى الجنون

هناك شيء واحد سأذكره بحرقه

إنه الأيام الماضية.

عطر الغرف المسكرة

الغارقة في الحب.....

هناك شيء واحد لعنته - هو أني لعنت:

تلك الأيام الخالية

الأيام المضيئة في أبيات شعري ...

وأبيات شعري ... معها....

* * *

بين هاويتين

أحبك أنت والسماء وحسب، السماء وأنت
أعيش حباً مزدوجاً، أتنفس الحياة عاشقاً

في السماء الساطعة - لانهائية:
لانهائية العيون الحبيبة.

في النظرة المشرقة - اللانهائية:

السماء تتجلى فينا

أنظر إلى فضاء السماء،

نظرتي تذوب في السماء

أنظر إلى العينين:

فيهما بعد الفضاء نفسه

وبعد الأزمنة

النظرة هاوية لا قاع لها، والسماء هاوية لا قاع لها!

أنا، مثل بجعة على الأمواج

أراني بين هاويتين،

أتجلى في أحلامي

وهكذا نحن اللذين ألقى بنا في الأرض،

نخرج إلى السماء، عاشقين

أنا أحبك أنت والسماء،

فقط السماء... وأنت.

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

الثلج الأول

الفضة، أضواء وبريق،
عالم بأكمله من الفضة
وفي اللؤلؤ تتوهج أشجار البتولا...
التي كانت بالأمس سوداء عارية...
إنها فردوس أحلام لشخص ما،

إنها أشباح وأحلام

كل ما احتواه النثر القديم
مضاء بذلك السحر....

العربات التي تجرها الخيول والمشاة.
والدخان الأبيض المتراقص أمام زرقة السماء.

حياة الناس وحياة الطبيعة
تضج بكل جديد وقدس... ..



الهيئة العامة
السورية للكتاب

فتن فاليري يريوسوف بسحر الشتاء الروسي لدرجة أنه قرر أن يغنيه في قصيدته "الثلج الأول"، التي كتبت في عام ١٨٩٥، إذا نظرنا في بنية هذه القصيدة، نجد تشابهاً معيناً مع أعمال الشعراء الروس المشهورين الذين كانوا يتغنون بالطبيعة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

الثلج الأول هو الجرس الذي يعلن اقتراب رأس السنة الميلادية وعطلة عيد الميلاد. الثلج هو رمز النقاء والفرح والسعادة التي لا تعرف الحدود. إنه يعطي كل شخص الأمل في أن الحياة سوف تتألق بأجمل زينتها، وأن جميع الرغبات والأحلام لا بد أن تتحول إلى حقيقة واقعة...

أصبح يريوسوف ساحراً، ولكن بدلاً من العصا السحرية، كانت هناك ريشة تمكن من خلالها أن يرسم في عمله بكل سحر موسم الشتاء. أظهر لنا الشاعر أن الشتاء ليس قاسياً لا يرحم، لكنه ساحر في تنوعه: فتارة عاصفة ثلجية تمنح المساء إيقاعاً بديعاً، وتارة نرى الشمس تجعل الأرض المفروشة بسجادة من الثلج تشرق وتتألق كما لو أنها غطيت بالألماس....

رقصة الموت

« فلاح »

أيها الرجل الشيخ! ما لك واقفاً أمام المحراث

كأني بك تحلم؟

أرجو أن تعتبرني صديقاً:

فأنا فلاح مثلك

قد لا تسمح لنا

حرارة الصيف الجهنمية بإتمام عملنا في حراثة الحقل

لكن يمكننا الرقص معاً

اشبك يدك بيدي

وانطلق

وابدأ الرقص

الحياة - مضت في عمل دائم؛ ساعة على الطريق!

مباشرة إلى الجحيم!

« العشيّق »

مرحبا يا صديقي! أنت فخور بالزي الذي ترتديه
والقبعة التي طويت حوافها
أليس من الأفضل أن أسير بجانبك؟
فأنا مثلك، عشيق!
وهل السعادة بأن تظهر الحنان،

أم هي في العناق؟

مهلاً! ثق بالرقص الذي يضح بالحياة

تعال وارقص معي

مثلما تفعل مع الحبيبة على السرير

و حين تغرق في متعة الرقص

لن تتمالك نفسك

وسوف تنهار على وجهك في الجحيم!

* * *

« راهبة »

أنت ترتدين ثوباً أسوداً
ووهبت نفسك لله....
احذري، لا تصدقي الكلمات التي قيلت
عندما نذرت شيئاً
لأن الشيطان من ألفها....
أنا أيضاً في رداء أسود
أنت راهبة، وأنا راهب.

حسناً إذن! تعالي نتكلل

في رقصة جريئة مع الموت...!

الأجراس تقرع؟ إنها تدق لحفل الزفاف

دعيني أعانقك أيتها الروح!

وندور في إيقاع فريد معاً

ينتهي في القبر الذي حفر على عجل...!

* * *

« الطفل »

صبي صغير في سرير صغير
لقد تألم قلبي لأجلك
أين اختفت الأم؟
سوف أجلس بدلاً عنها.
لن أقص لك الحكايات

التي تهمس بها الأم بحنان.

سوف أعلمك الرقص

وأنت في الأرجوحة

سوف أهز سريرك وأهزه

ومن الحياة سوف أنقذك

وأضمك إلى صدري

وفي غمرة رقصة ناعمة ...

سأحملك إلى الجنة ...

« الملك »

وأنت يا مليكي، تجلس إلى مائدة
تحفل بالطعام والشراب تحت مظلة ملكية
اسمحو لي أن أنحني لكم
كما يجب أن أفعل عندما أقف أمام سيد مبجل ...
سأدعوك للرقص
على أنغام ناي رقيق

هل أرى الضعف في عينيك؟

ألأنك عرفت فيّ قريبك؟

انفض أيها الملك!

وارقص في قاعة عرشك

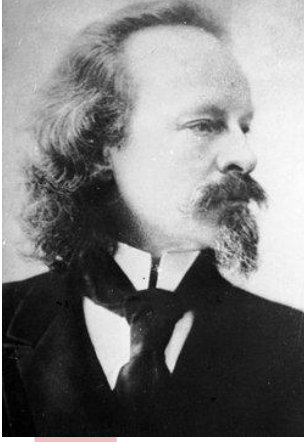
يا سيد الكرم

والآن، ها نحن قد أنهينا الرقص

من العرش إلى التابوت

مجرد خطوة واحدة

* * *



كونستانتين بالمونت
(١٨٦٧ - ١٩٤٢)

ولد كونستانتين بالمونت وترعرع حتى سن العاشرة في قرية غومنيشي (محافظة فلاديمير) في عائلة نبيلة. كان والده قاضياً، وكانت والدته من عائلة تهتم بالأدب، فكانت تقدم عروضاً للهواة، وتقيم أمسيات أدبية، كما كتبت في الصحافة المحلية.

ظهر الاهتمام بالقراءة لدى كونستانتين بالمونت عندما بلغ الخامسة من العمر، وكان يقرأ للكتاب الأوروبيين بالألمانية والفرنسية... وقد كتب فيما بعد عن هوايته تلك وعن الكتاب المفضلين لديه:

"أول الشعراء الذين قرأتهم هم: نيكيتين، وكولتسوف، ونكرا سوف وبوشكين. أما أحب الأشعار بالنسبة إليّ في العالم

كله، فكانت قصيدة "قمم الجبال" للشاعر العظيم ليرمونتوف (وليس "قمم" الشاعر الألماني غوته)....

فيما بعد انتقلت العائلة إلى بلدة شويا في مقاطعة إيفانوفو، حيث التحق بالمونت بإحدى مدارسها، وكتب هناك قصائده الأولى، كما انضم إلى حلقة سرية، تابعة لحزب الإرادة الشعبية (نارودنايا فوليا) في المدينة، والمناهضة للسلطة القيصرية وقد كتب الشاعر عن ميوله الثورية:

"... كنت سعيداً في حياتي، وأردت أن يكون الجميع كذلك. وبدأ لي أنه إذا كان الأمر جيداً بالنسبة إليّ ولقلة من الناس فقط، فهو أمر غير مقبول".

في عام ١٨٨٥، انتقل الفتى بالمونت إلى مدينة فلاديمير لمتابعة الدراسة. ونشر ثلاثاً من قصائده في مجلة سانت بطرسبرغ المعروفة.

خلال هذه الفترة، التقى كونستانتين بالمونت الكاتب فلاديمير كورولينكو. الذي ساهم في إطلاق مواهبه الأدبية، وكان كما سماه بالمونت فيما بعد "الأب الروحي" له.

اطلع فلاديمير كورولينكو على كراس كانت فيه قصائد
بالمونت وترجماته للشاعر النمساوي نيكولاس ليناو.

أعدّ الكاتب بإعداد رسالة، أثنى فيها على كونستانتين
بالمونت وأعماله، وأشار إلى "الموهبة التي يمتلكها الشاعر
الناشئ، وقدم بعض النصائح، مثل العمل الجاد على نصوصك،
والبحث عن شخصيتك، وكذلك "القراءة والدراسة، والأهم
من ذلك، الحياة.

وهنا بعض ما ذكره بالمونت مما ورد في رسالة الكاتب الشهير

كورولينكو: 

" لقد كتب لي أن لدي الكثير من التفاصيل الجميلة، التي
انتزعت بنجاح من عالم الطبيعة، وأنه يترتب علي تركيز
انتباهي، وليس مطاردة كل فراشة عابرة، وأنه لا حاجة إلى
الاندفاع بمشاعري بتأثير الفكرة، ولكن يجب أن أثق بتلك
المنطقة من الروح البعيدة عن الوعي التي تتراكم فيها
الملاحظات والمقارنات، ثم تزهر فجأة، كما تتفتح براعم
الزهور.

في عام ١٨٨٦، التحق كونستانتين بالمونت بكلية الحقوق بجامعة موسكو. ولكن بعد عام طُرِدَ لمشاركته في أعمال الشعب، وأُرسل إلى شويبا.

ورغم أن بالمونت كتب الكثير، ونشر الكثير منذ صباه، غير أنه يمكن اعتبار مجموعته الشعرية (تحت سماء الشمال) نقطة تحول في مسيرته الأدبية. فلأول مرة تنال مجموعته إعجاباً بالغاً، وكذلك أعماله اللاحقة "دجية بلا حدود" و "الصمت". وتسابقت المجلات المعاصرة لنشر إنتاجه، لأنه كان يُعدُّ الأفضل بين الشعراء الواعدين...

تعرف بالمونت في أواخر التسعينيات من القرن التاسع عشر على الشاعرة ماريا لوخفيتسكايا التي تبادلت معه الرسائل خلال عقد من الزمن على هيئة حوار شعري دعوه غالباً (رواية في أشعار).

وبعد وفاة صديقه عام ١٩٠٥، كرس بالمونت لها عدداً من القصائد تخليداً لذكراها.

(نموذج لأحد الحوارات بين بالمونت وميرا لوخفيتسكايا)

البجع النائم

(ميرا لوخفيتسكايا - ١٨٩٦)

حياتي الدنيوية -

محض حفيف القصب الخافت

الذي دغدغ أحلام البجع النائم،

وروحي الحائرة.

وهناك في الأفق تمضي على عجل

سفن يدفع أشرعتها الجشع.

السكون يلف أحراج الخليج

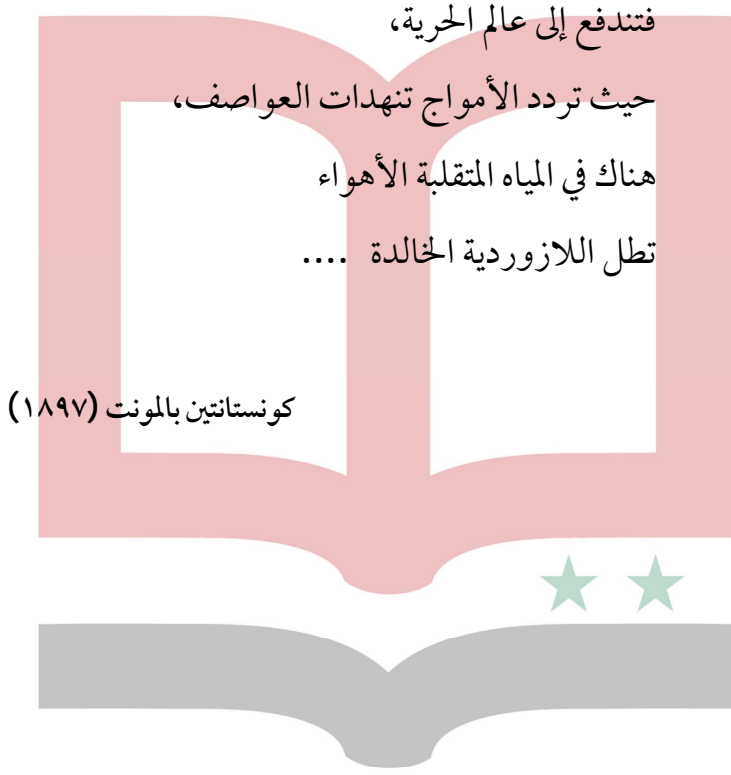
حيث يتنفس الحزن، لاضطهاد الأرض.

لكن صوتاً ولد من الخوف،

ينزلق مع حفيف القصب

ويرتعش البجع مستيقظاً،

وروحي التي تعصى على الموت،



الهيئة العامة
السورية للكتاب

البجع الأبيض

البجعة البيضاء، البجعة الطاهرة،
أحلامك دائماً صامتة
أيتها الفضية - الهادئة،
أنت تنزلقين فيولد الموج.
تحتك - أعماق خرساء

لا تحية، ولا جواب،

لكنك بانزلاقك

تغرقين في لجة الهواء والضياء
ومن فوقك - أثير لا حدود له.

مع نجمة الصباح الساطعة
أنت تنزلقين متجليةً

بالجمال المنعكس.
رمزاً للرقعة العذرية،

النجلى، التي لم تبح بها بعد،

طيماً للأنوثة الرائعة

أيها الطيف يا ذا الحسن العذري!

أيتها البجعة الطاهرة، أيتها البجعة البيضاء!

في منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر، بدأ في التواصل الوثيق مع رواد الحركة الرمزية يريوسوف وميرجكوفسكي وغيبوس.

وفي عام ١٨٩٤، بعد أن نشر كونستانتين بالمونت مجموعته الشعرية "تحت سماء الشمال"، حصل التعارف بينه وبين الشاعر فاليري يريوسوف في ندوة أدبية لجمعية محبي الأدب الغربي.

وقد لخص يريوسوف إبداع بالمونت بسطور:

"اكتشف بالمونت لأول مرة "ميولا" في قصائدها، واكتشف طاقات لم يكن يدركها أحد، وتداعيات حروف العلة، التي تتداخل ألوانها الواحدة في الأخرى، مثل قطرات الندى، مثل رنين الكريستال."

وفي مذكراته لاحقاً كتب فاليري يريوسوف: "لقد أصبح الكثير مما كان يبدو واضحاً بالنسبة إليّ أنني لم أدركه بحق إلا من خلال بالمونت. لقد علمني أن أفهم الشعراء الآخرين، وكنت في وحدة قبل لقائي بالمونت وأصبحت مختلفاً بعد مقابلته....".

تحول تعارفهما إلى صداقة، فالتقى الشاعران في كثير من الأحيان، وقرأ كل منهما أعماله الجديدة للأخر، وتبادلا انطباعاتهما عن الشعر الأجنبي.

حاول كل من الشاعرين جلب التقاليد الأوروبية إلى الشعر الروسي، وكلاهما كان رمزياً. ومع ذلك، فإن اتصالاتهما، التي استمرت ما يزيد على ربع قرن، لم تكن دائماً ودية: فقد أدت الصراعات التي اندلعت في بعض الحالات إلى خلافات طويلة، ثم استأنف بالمونت ويريوسوف مرة أخرى اللقاءات والمراسلات الإبداعية. رافق "عداوة الصداقة" الطويلة الأمد، صدور العديد من القصائد التي أهداها كل منهما للآخر.

ولما كان مكسيم غوركي مهتماً بالتجارب الأدبية للرمزيين. بدأت مراسلاته مع كونستانتين بالمونت في منتصف تسعينيات

القرن التاسع عشر. خلال هذه الفترة، نشر كل منهما بعضاً من إنتاجه في مجلة الحياة. وأهدى بالمونت عدة قصائد إلى غوركي يمدحه فيها، وكتب عن أعماله في مقالاته عن الأدب الروسي. وعندما نفى بالمونت من بطرسبورغ ذهب الشاعر إلى شبه جزيرة القرم إلى مقر مكسيم غوركي قاماً معاً بزيارة ليف تولستوي في جاسبرا.

التقى الكاتبان في تشرين الثاني ١٩٠١. في هذا الوقت، تم طرد بالمونت مرة أخرى من سان بطرسبرغ لمشاركته في المظاهرة وقصيدة "السلطان الصغير" التي كتبها، والتي تضمنت انتقادات لسياسات نيكولا الثاني.

ذهب الشاعر إلى شبه جزيرة القرم إلى مكسيم غوركي. قاماً معاً بزيارة ليف تولستوي في جاسبرا. في رسالة إلى محرر الحياة، فلاديمير بوس، كتب غوركي عن أحد معارفه:

"قابلت بالمونت. هذا العصابي المثير للاهتمام والموهوب شيطانياً!"

ظل كونستانتين بالمونت بالنسبة لمعاصريه "لغزاً مثيراً وخالداً". اتحد أتباعه في حلقات أدبية "بالموننية" أي أنها

حملت اسمه، وقلدوا أسلوبه الشعري وحتى مظهره. وكرسوا له كثيراً من قصائدهم، وكان من أشهرهم مارينا تسفيتايفا ومكسيميليان فولوشين وإيغور سيفيريانين وإيليا إيرينبورغ.

كان مناهضاً للقيصرية، لذلك كان من المتوقع مشاركته في الثورة الروسية الأولى، وكتب قصائد أوضحت في ذلك الوقت، أشبه بالمنشورات الثورية.

وخلال انتفاضة موسكو في كانون الأول ديسمبر عام ١٩٠٥، ألقى بالمونت قصائده الناقدة للقيصرية أمام الطلاب. واضطر بعدها خوفاً من الاعتقال إلى مغادرة روسيا، وعاش في فرنسا كلاجئ سياسي حتى عام ١٩١٣.

بعد عودته إلى روسيا في عام ١٩١٣، نشر الأعمال الكاملة في عشرة مجلدات. وراح يعمل في ترجمة الأدب الغربي وقراءة المحاضرات في جميع أنحاء البلاد.

نظر بالمونت إلى ثورة شباط فبراير عام ١٩١٧ بحماس، مثل جملة المفكرين الروس. ولكن سرعان ما روعته الفوضى التي عمت البلاد.

عندما بدأت ثورة أكتوبر، كان في سان بطرسبرغ، كان ذلك برأيه "إعصار جنون" و "فوضى".

في عام ١٩٢٠، انتقل الشاعر إلى موسكو، ولكن سرعان ما غادر بصحبة زوجته وابنته إلى فرنسا بسبب الحالة الصحية السيئة، ولم يعد إلى روسيا بعد ذلك.

في عام ١٩٢٣، نشر بالمونت عملين (تحت المنجل الجديد) و (طريق جوي).

التقى كونستانتين بالمونت في المنفى إيفان شميليوف (الكاتب الروسي والناشر والمفكر الأرثوذكسي الذي هاجر بعد قيام الثورة البلشفية) الذي نلمس في كلماته الاحترام والتقدير لمكانة بالمونت في الأدب الروسي سواء في روسيا أم في المهجر. فقد كتب في مذكراته: "لو قيل لي قبل ثلاثين عاماً أنه سيأتي اليوم الذي أرحب فيه بالشاعر بالمونت كصديق وزميل، ما كنت لأصدق ذلك. في تلك الأيام، لقد كانت تفصلنا نحن الكتاب الثريين، عن الشعراء الرمزيين، مساحات شاسعة". ولم يكن شعور بالمونت أقل فضيلة واحتراماً للكاتب شميليوف فقد كتب في سيرته الذاتية:

"إنني أحب إيفان شميليوف. هو قلب متقد وخبير مرهف
الإحساس في اللغة الروسية.

".. شميليوف، في رأيي، الكاتب الأثمن، على الإطلاق
اليوم"

لكن تشابه الآراء السياسية والأذواق الأدبية وحدهما. أحب
كلاهما قراءة سيرجي أكساكوف ونيكولاي غوغول وفيدور
دوستويفسكي....

استمر بالمونت بالكتابة في المنفى، لكن النقد بدأوا يتحدثون
بشكل دوري عن تراجع ملموس في حرفة بالمونت. ولاحظوا
في أعماله الأخيرة بعض الصور النمطية والتكرار الذاتي ...

اعتبر الشاعر "المباني المحروقة" أفضل كتاب له وهو برأيه
"مغنى الروح الحديثة".

وإذا كانت قصائده الغنائية قبل هذه المجموعة تضح
بالحنين والكآبة، فإن "المباني المحروقة" قد كشفت الجانب
الآخر للشاعر بالمونت فظهرت في أعماله نغمات مشرقة يملؤها
الفرح....

حتى النصف الأول من ثلاثينيات القرن العشرين، سافر إلى جميع أنحاء أوروبا، ولاقى قراءته نجاحاً كبيراً بين الأوروبيين. لكنه قابلته بفتور الجاليات الروسية... مالت شمس إبداعه للغروب في عام ١٩٣٧، بنشر مجموعته الأخيرة من قصائد "خادم الضياء". توفي في مأوى "البيت الروسي" للمسنين، بالقرب من باريس في ٢٣ كانون الأول ديسمبر ١٩٤٢ في نوازي - لو - غران إثر إصابته بالتهاب رئوي.

غادر الشاعر هذا العالم، فقيراً ومنسياً.

أعماله:

١٨٩٤ - "تحت سماء الشمال (مراثٍ، سوناتات)".

١٨٩٥ - "دجية بلا حدود".

١٨٩٨ - "" الصمت. قصائد غنائية.

١٩٠٠ - "المباني المحترقة. معنى الروح الحديثة".

١٩٠٣ - "" سنكون كالشمس. كتاب الرموز.

١٩٠٣ - .الألوان السبعة " " الحب فقط.

- ١٩٠٥ - قداس الجمال. تراتيل عنصرية".
- ١٩٠٥ - حكايات خرافية (أغاني الأطفال).
- ١٩٠٧ - "أغاني المنتقم".
- ١٩٠٨ - "الطيور في الهواء".
- ١٩٠٩ - "الحديقة الخضراء (تقبيل الكلمات)".
- ١٩١٧ - "سوناتات الشمس والعسل والقمر".
- ١٩٢٠ "الخاتم".
- ١٩٢٠ - "القصائد السبع".
- ١٩٢٢ - أغنية المطرقة العاملة.
- ١٩٢٩ - "في المسافات المترامية (قصيدة عن روسيا)"
- والمشعل " ١٩٣٧".

الهيئة العامة السورية للكتاب

أريج الشمس

كونستانتين بالمونت

رائحة الشمس؟ ما هذا الهراء!

لا، ليس هراء.

في الشمس، الأصوات والأحلام

العطور والزهور،

كلها اندمجت في جوقة متناسقة،

جميعها تشابكت في نقش واحد.

الشمس تنبعث منها رائحة الأعشاب،

وأزهار الليلك البديعة،

وروائح الربيع المستيقظ من سباته

وأشجار الصنوبر.

وزنابق الوادي السكرى

التي أزهرت منتصرة
في رائحة الأرض النفاذة.
الشمس تشرق في رنين الأجراس،
في الأوراق الخضراء،
أنفاسها أغاني الطيور الربيعية،
وضحكات الوجوه الفتية.

فاهتف لجميع المكفوفين:

رويدكم! الحق أقول لكم
لن تسعدوا برؤية بوابات الفردوس.
الشمس لها أريج،

نستلذ بحلاوته نحن، وحسب.
وتستمتع بمرآه الطيور والزهور....

* * *

الفراشة

("أذكر، الفراشة التي تلاطم زجاج النافذة...")

أذكر، الفراشة التي تلاطم زجاج النافذة

الأجنحة تقرع برفق.

الزجاج رقيق، وهو شفاف.

يفصلها عن المدى

في شهر أيار ذاك. كان عمري خمس سنين.

في عزبتنا الأثرية

أذكر كيف أعدت إلى السجينة، الهواء والنور.

وأطلقت سراحها الحديقة المهجورة.

إذا مت، وسألوني

ما هو العمل الخير الذي قمت به في دنياك؟

سأقول أنا، تحلف روعي

في ذلك اليوم من شهر أيار - أيار

بأنها لم تكن تفكر بإيذاء الفراشة

"في المعبد الأزرق"

ومرة أخرى الخريف بفتون من أوراق صدئة،
وردية، وقرمزية، صفراء، ذهبية،
وزرقة البحيرات الخرساء، مياهها الكثيفة،
وصفير فريد وإقلاع الحساسين
من أحضان غابات السنديان



كتل السحب العظيمة الشبيهة بالإبل،
ولازوردية ذابلة لسماوات متدلّية،
في كل مكان، تتراءى تقاسيمها الرائعة،
قبة شامخة في ليالٍ، مجيدة بنجومها.

من استمتع في ساعات الصيف
بحلم من الزمرد الأزرق،

ينتابه الحنين ليلاً.

سيتجلى الماضي كله أمامه بشخصه.

في السيل اللبني

تتكسر الأمواج على الشاطئ بوداعة

وأنا أتجمد، متهاكاً في أحضانها،

خلال عتمة البعد عنك، يا حبيبي.

.....



باريس أكتوبر ١٩٢٠،

الهيئة العامة
السورية للكتاب

ضوء القمر

عندما يتلأأ القمر في ظلمة الليل
بمنجله، البديع واللطيف،
تسعى روعي إلى عالم مختلف مفتونة بكل بعيد
وبكل ما لا حدود له.

أعدو في أحلامي، مثل روح متعبة
إلى الغابات، إلى الجبال، إلى القمم البيضاء

أراقب بيقظة العالم الهادئ

أبكي من الفرح، وأتنفس القمر

أرتشف هذا الألق الشاحب

مثل " إلف " القزم، أتأرجح في شبكة من الضياء،

وأصيح السمع لحديث الصمت.

لا تهمني أبداً، معاناة أقاربي،
والأرض كلها غريبة عني مع صراعاتها،
أنا سحابة وحسب، أنا أنفاس الرياح.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

السوناتا القمرية

« ١ »

روحي تضيئها
الشمس والقمر
ولكن الصمت يتنفس فيها نهارا
وفي الليل تتوهج حرارة.



والأمر الغريب والغريب جداً،
أن الشمس توحى بالصقيع.

وتعلم الشفق الملاطفة،

والرغبة تتقد في الظلام

الأحداق تتسع بارقة،

والشفاه تلتحم بالشفاه.

آه، أنا، سأخون كل شيء.
من أجل فرح الشوق اللاهب

وعندما تشرق الشمس، أنا مرة أخرى
أجلس ساكناً ينخر البرد عظامي.
وفي الليل أكرر مرة أخرى
الشعر الذي يعشق الملاطفة.

روحي مغرمة

بالقمر، وليس بالشمس.
رافقي الدجى، وكوني لطيفة
وسوف تفهمين كل شيء معي....

« ٢ »

لقد دمجنا أنت وأنا الحب وضوء القمر
شاحين، مُتَّقَدِي الرغبات، غامضين، غريبين،

تسمّر كلانا، مقيداً بالسعادة،
مسحورين بحلم بديع، بهيج.

في السماء روى غائمة،
وغناء خفي في القلب وفي الخلود،
هناك، في اللانهاية ضوء ساحر،
عيد آثار التحامنا الأبدى.



أهو القمر،
أوحى لنا أن نكون عاشقين جريئين
أم هي قلوبنا المتيمة

من ملأ السماء بكؤوس الغرام؟

بكؤوس الفرح، المشرقة، البهيجة،
وحكايا القمر، وأزاهير العالم،

القلب وحده يعي خريز الجدول الرقراق
وبريق الأحداق، والحسن، والقبيلات.

تتساءلين، من أين لي أن أعرف، وكيف سأكشف السر؟
ما أعرفه، أنني سعيد بانتصار غامض،
وما أعرفه أيضاً، أنك سعيدة بي، يا حلمي الأوحده،
يا من بارك القمر، برغبة عارمة، زواجك مني.

« ٣ »

آه، أي لحظة أسرة حينما يلف الكون

صمت الغابات اللامبالي،

ونحن معاً، والقلب الخافق يسمع

كيف يسكب القمر ضوءه المخملي لنا، أنت وأنا.

ينساب في علاه ينشر الطمأنينة فوق التلال

ويمنح بنضارته الندى لأعشاب الغابات،
ينظر إلينا، خالياً من العواطف، ويبهرنا،
ويلهمنا بأفكار تصدح غنائية، مثل قصيدة.
نحن مفتونون، ودون أن نعرف سبب البرد الذي يلفنا،
يُحدِّثُ بعضنا بعضاً في جو حالم،
نغازل السكون وبكل وداعة، دون أن نجرؤ
على انتهاك حرمة الجمال الصامت بالملاحظة.



« ٤ »

رحل المساء. وأخذ الظل ينمو أكثر فأكثر
ولكن في داخلنا انبعث نور غامض مختلف كالأسطورة.
يُحيل لي، أننا، أنا وأنت في عالم النجوم،
بين حشد من الكواكب الغارقة في الأحلام.
أحبك كثيراً لكن في هذه الساعة التي تسبق إطلالة القمر،

عندما تضرب الموجة بالهواجس،
حبي يتعاضم مثل هدير مئات الأوتار،
مثل لجة البحر بآلاف أصوات ساكنيها

لقد تنحى العالم جانباً. والخلود يتنفس من فوقنا
عالم البحر يعيش بتأثير القمر،
أنا لك، يا حبي الذي لا قاع، ولا نهاية، له

نحن وإياك في عزلة بهيجة

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

"الجريح"

لقد أصابني وعيبي إصابة قاتلة
وجرحني عقلي في القلب
أنا جزء من هذا الكون
خلقت العالم بكل معاناته وآلامه
تيار من النار، وسأهلك وأتلاشى، كما الدخان.



ورغم فهمي كل خداع أحاسيسي،
ولعبة الظلال التي ولدت في العالم بمشيئتي
أنا، كشاعر أتقن صنعة الفن،
لست راضياً عما بلغته في العمق.
أدرك أن الخطيئة والظلام في النظر،
وأن المستنقعات الآسنة، وصفحة الساء الزرقاء،

هي فكرة فقط، هي بحر خيالي وحسب،
ينتابني شعور بأن هذه الحياة، محض حلم.

ولكن، حينما رأيت في الحياة علامات إرادة لا حدود لها،
أقول أيها الخالق، أنني لست محبوباً من مخلوقاتك.
وأنا أرتعش من ألم لا يحتمل،
وأعيش أسير ذاتي

أنا من أصابني وعيبي،

بجرح ممت.

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب



ألكساندر بلوك
(١٨٨٠ - ١٩٢١)

شاعر وكاتب روسي وكاتب
مسرحي وناقد أدبي ومترجم.
ينتمي عمله إلى كلاسيكيات
الأدب الروسي في القرن العشرين.

والد الشاعر، ألكسندر لفوفيتش بلوك، كان محامياً، وعمل
أستاذاً مساعداً في قسم القانون الدولي بجامعة وارسو....

والدة الصبي، ألكسندرا أندرييفنا (كان والداها يناديانها -
آسيا)، ذات جذور روسية بحثة عملت في الترجمة، وكانت ابنة
الأكاديمي الشهير بيكتوف، عميد جامعة سانت بطرسبرغ
الحكومية، آسيا كانت تحب الأدب خاصة الشعر، وربما انتقل
هذا الحب لاحقاً إلى الشاعر القادم على المستوى الجيني.

في سن العاشرة، كتب عددين من مجلة السفينة. وفي سنوات الدراسة الأخيرة، بدأ بإصدار مجلة "فيستنيك"، كان بلوك الشاب ينشر شعره ونثره، والألغاز والأحاديث، وترجمات من الفرنسية، وحتى مسرحية صغيرة "رحلة إلى إيطاليا". لكنه كان لديه أيضاً قصائد مؤثرة جداً مكرسة لأمه...

لم يكن بلوك حريصاً على القراءة في سنوات الدراسة، لكن شعراءه وكتابه المفضلين كانوا جوكوفسكي وبوشكين؛ جول فيرن وديكنز؛ كوبر وماين ريد...

اهتم في شبابه بالمرح فالتحق بمجموعه مسرحية، وشارك في أعمال شكسبيرية.

تزوج ابنة العالم الشهير مندليف، وسكن في إحدى ضواحي موسكو (قرية شاختوفا)، وكان يحب العمل بنفسه في المنزل والحديقة، وقد عاش بلوك حتى نهاية حياته أجمل قصة حب مع زوجته (لوبوف)...

لقد دخل بلوك في تاريخ الأدب الروسي والعالمي، أولاً وقبل كل شيء، كأفضل شاعر غنائي. في لوحاته الشعرية

التي لا تضاهى، أحيا البصيرة الغنائية العذبة، والمصدقية،
وعنفوان المواقف الدرامية، وعشق الوطن وحفظها للأجيال
القادمة.

أدب بلوك

لماذا يَعدُّ بعض النقاد ألكساندر بلوك محدثاً؟

لأن إحدى مهام الشاعر كانت ترجمة ثقافة الماضي وإيصالها
إلى زمنه بقلب حديث. على الرغم من جمال وروحانية
الأشعار، يتناهى لأسماع القارئ أصداء الشوق واليأس
والضياع ومرارة فقدان والإحساس بمأساة تلوح في الأفق.
ربما يكون هذا ما جعل أخماتوفا تطلق عليه لقب "المنشد
المأساوي للعصر" لكن مع كل هذا، ظل الشاعر رومانسياً حتى
رحيله.

كانت روسيا الموضوع الغنائي الرئيسي في أدب بلوك ففيها
وجد الإلهام والقوة للحياة. في أعماله يتجلى الوطن بصورة
الأم، والحبيبة والعروس. وشهدت صورة الوطن نوعاً من
التطور. في البداية كانت غامضة وضيائية وهو ينظر إلى البلاد

من خلال حلم جميل: "غير عادية"، "غامضة"، "حالة" و"ساحرة".

وفي قصيدة "روسيا"، يبدو الوطن الأم "متسولاً"، مع أكواخ رمادية بائسة، ومع ذلك يؤكد الشاعر تعلقه بها بحب يسكن شغاف قلبه، والبعيد تماماً عن الشفقة...

يحضن الشاعر روسيا المعذبة بكل علاتها وجراحها وآلامها ويسعى لحبها. كان يعلم أن هذا هو نفس الوطن، العزيز على القلب، ولا يهم أنه يرتدي ملابس أخرى: قائمة ومنفرة. ولكن بلوك يؤمن بصدق أن روسيا ستعود عاجلاً أم آجلاً حسناً في ثوب الأخلاق والكرامة ببياضه الناصع كثلجها.

الهيئة العامة السورية للكتاب

أعماله الأدبية

في عام ١٩٠٤ صدرت مجموعته الأولى "أشعار عن سيدة رائعة". " خلال الأعوام ١٩٠٦-١٩٠٨ صدرت له أربعة كتب "فرحة غير متوقعة" و"قناع من الثلج" و"الأرض يغطيها الثلج" و"دراما غنائية". في عام ١٩٠٩، سافر الشاعر إلى ألمانيا وإيطاليا، وكانت نتيجة هذه الرحلة صدور ديوانه "قصائد إيطالية" في عام ١٩١٢، كتب الدراما (الوردة والصليب).

خلال الخدمة في الجيش وفي تلك المرحلة صدرت له مجموعاته الشعرية الشهيرة مثل "قصائد عن روسيا"، "ما وراء الأيام الماضية"، "الصباح الشائب" ساعات الليل ...

أثرت الأحداث المتعلقة بالثورة البلشفية على نشاط بلوك وإبداعه فبعد صدور أعماله (الاثني عشر) و (السكيفون) توقف عن كتابة الشعر لأنه حسب رأيه (جميع الأصوات صمتت).

في العام ١٩٢١ مرض ألكساندر بلوك، ومات في الواحدة والأربعين من العمر.

أدخل المعابد المظلمة

أدخل المعابد التي تلفها العتمة،
وأمارس واحداً من الطقوس البسيطة.
ذلك أنني في الحقيقة، أنتظر سيدة رائعة
هناك وسط إشعاع القناديل الحمراء.

* * *

أقف في ظل دعامة عالية

وجسدي يرتجف لصيرير الأبواب.

ووجه يطفح بالضياء، يحدق بي من الدجنة

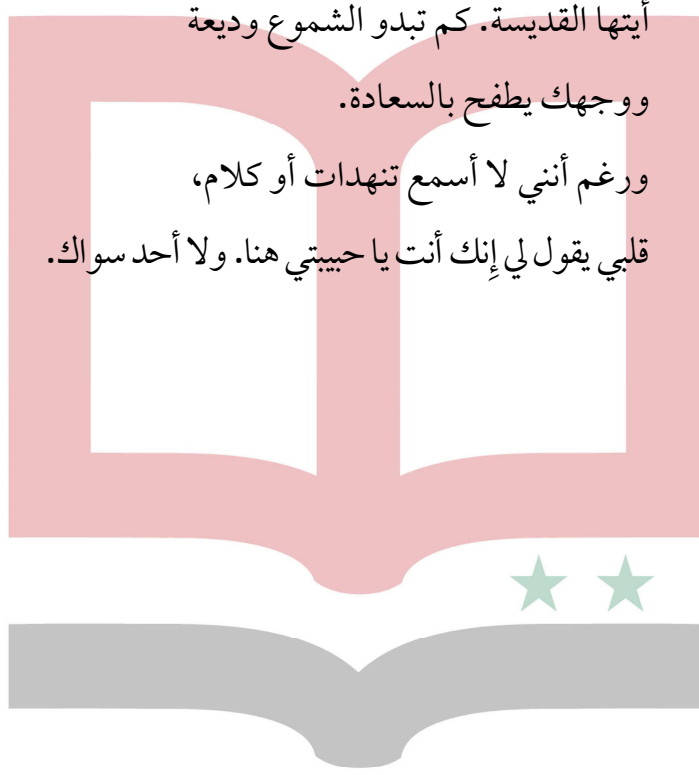
أشبهه بالحلم عنها.

* * *

لقد ألفت تلك الملامح المملأى بالكبرياء والخلود

بينما تنساب عبر الستارة

البسمات والحكايات والأحلام



أيتها القديسة. كم تبدو الشموع وديعة

ووجهك يطفح بالسعادة.

ورغم أنني لا أسمع تنهدات أو كلام،

قلبي يقول لي إنك أنت يا حبيبي هنا. ولا أحد سواك.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

أوه نعم، الحب حرم مثل الطيور

نعم، على أي حال أنا لك
نعم، ولسوف يزورني قوامك الناري في الحلم
نعم، في القوة المفترسة للأيدي البديعة،
في عيون يملؤها الحزن للخيانة
وكل هذا الهذيان في رغباتي اليائسة

وهذيان ليالي يا كارمن

سأغني أنا لك،

سوف أنقل صوتك للسماء

ككاهن المعبد سأقدم نارك المقدسة للنجوم

سوف تتجلين موجة عاصفة

في نهر قصائدي

وأنا أعاهدك على أنني لن أغسل عن يدي

عطورك يا كارمن

وفي ساعة هادئة من الليل، مثل هب

يومض للحظة وجهك المتمرد

بأسنانك البيضاء

نعم، أتوق إلى الأمل الجميل

بأنك وأنت في بلد أجنبي؟

ذات يوم

ستفكرين بي في الخفاء ...

أمام عاصفة الحياة، وأمام الخوف من الأخطار

وأحزان الخيانة

دعي هذه الفكرة تبدو صارمة

بسيطة وبيضاء مثل طريق

مثل الطريق الطويل، يا كارمن

الويكيتي العامة
السورية للكتاب

رؤيا

(المتنبئ بالألق أبدي لنار خالدة.)

من قصيدة السيف القرمزي للشاعرة زينايدا غيفيوس

الورود باللون الأزرق. لقد حان الوقت!

وها هو الغروب يتوهج.

“الوقت متأخر. وداعاً إلى غداً يا أختاه.”

“كن سعيداً”. أراك غداً يا أخي.”

وافترقا. في السماء

اندمجت الورود مع اللازوردية

وقف يتأمل: في أعماق الغابة المظلمة

تشابك الظلال بلا حراك

شيء ما بالقرب طار

والغابة حوله ترنحت.

صرخ وشعر بخدر يلف جسده.
تعالى لسمعه صوت: "مرحباً يا صديق"
"الورود أضحت زرقاء. حان الوقت"
"جدوع الصنوبر احمرت خجلاً."
من يدري صباح الغد
"هل ستكون حياً وبعيداً عن الآثام؟"
"يصغي. "هذا أنت يا أختاه؟"

ويرى الجو حوله أصبح قرمزيًا
ارتجفت الأوراق بهدوء

"لا، لست الأخت، بل أنت صديق".

وهو البائس أدرك للمرة الأولى

قوة الورود اللازوردية

غمره الفرح في الغابة طويلاً

ونما الشبح في الأحلام

في اليوم التالي: "مرحباً يا أختاه".

"هل كنت سعيدا يا أخي؟"

الورود باللون الأزرق. لقد حان الوقت!

ها هو الغروب يتوهج

الآن، وكما بالأمس

أستطيع أن أرى الورود



آب - أغسطس ١٩٠١

الهيئة العامة
السنورية للكتاب

أغنية أوفيليا

همس لي كثيراً بالأمس
همس لي بأشياء فظيعة، فظيعة
لقد مضى في درب حزين،
وأنا نسيت ما حصل البارحة
لقد نسيت ما حصل.

أكان ذلك بالأمس - أم منذ زمن بعيد؟

لماذا هو صامت على هذا النحو؟

لم أعثر على زناقتي في الحقل،

لم أكن أبحث عن أشجار الصفصاف

الصفصاف الباكي.

أه، كم من الوقت مضى! كنت معي، معي

تحدثت إليّ وقبلتني

وأنا لا أتذكر، لا أتذكر وسأكنتم

ما همست الضفاف به لي
كل الذي همست الضفاف به
رأيت في كل ورقة من العشب
وجهه الحبيب الذي بدا مخيفاً
ومضى في نفس الطريق الترايبية
التي مضى فيه كل ما حصل بالأمس
مضى ما حصل البارحة.

أنا وحدي لجأت إلى الحقول

ولم يعد هناك من حزن.

كان ذلك بالأمس - أتراه زمناً بعيداً؟

لقد تحدثت إليّ - وقبلتني

قبلتني أنا.

٢٣ تشرين الثاني، نوفمبر ١٩٠٢.

الحب في الخريف

عندما يحمر العنقود بين الأوراق الندية والصدئة
لشجرة الغبراء
وعندما يدق الجلابد بيده النحيلة
آخر مسمار في راحة اليد،
وعندما بإطلالة على تموجات الأنهار الرصاصية،

فوق تلة رطبة ورمادية

أمام وجه الوطن المتجهم

أتأرجح على الصليب

حينئذ أنظر من خلال الدماء ودموع ما قبل الموت

في البعيد

وأرى: في النهر العريض

المسيح مقبلاً في قارب نحوي

وفي عينيه نفس الأمل

ويرتدي نفس القميص
وهو ينظر بشفقة عبر الثوب
راحة كفه مثقوبة بمسماز
يا مسيح! فضاء الوطن في حزن
وأنا مرهق على الصليب
أترأه سيرسو قاربك
إلى تلتني الصليبية؟

« ٢ »



والآن وقد تكسرت وماتت أغصان الصفصاف
بفعل الرياح

ارتاحت الشيوخة المتجهمة على الخدين
كرماد الموتى

الهيئة العافية
السورية للكتاب

لكن في مداراتها المظلمة

نظرت، العيون وبرق فيها
الفرح والمجد بأعجوبة
كل ذلك في هذا الألق العميق والبعيد.
لكن الأعشاب تكومت
حزينة ...
والأوراق تدور في الغابة العارية
وحلم يتكرر ...

عن شمس كانت!

أشعر بالشفقة نحوك أكثر وأكثر

يا قلبي الأحق

أيها الصبي الضاحك

متى ستتوقف عن الخفقان؟

« ٣ »

كم يجلو لي عناق كتفك الباردتين

حين تعصف الرياح
أنت تحسبين ذلك ملاطفة رقيقة
وأنا أعلم أنها فرحة التمرد
وتبرق العيون مثل الشموع
الليلية، وأستمع بتشوق
لحكاية رهيبة تتململ،
وتتنفس النجوم على تخوم السماء....

في هذا المساء الساطع
ستظلين كما أنت بديعة،
ووفية للفردوس المظلم،
وسوف تكونين نجماً مشرقاً بالنسبة إليّ!

أعرف أن الرياح باردة،
أعتقد أن الخريف ليس بالعاطفي!
لكن لن يعرف أحد أنك،

كنت معي في ثنايا معطفي الأسود،

ونعدو معاً في أرجاء الخريف،

ونستمع للأبواق البعيدة،

ونقيس الدروب في الليالي،

ومرتفاعتي الباردة

لقد ولت ساعات الاحتفال

أشفاهي السكرى

تقبل في لحظات الخوف الذي يسبق الموت

شفتيك الباردتين.

أكتوبر ١٩٠٧.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

أنهض في صباح ضبابي،

فتغمر الشمس بضياؤها وجهي.

هل هذا أنت يا صبية أحلامي

تصعدين إلى شرفتي؟

البوابة الثقيلة مفتوحة على مصراعها،

النسيم تسلل من النافذة.

لم أسمع منذ زمن طويل،

هذه الأغاني المفرحة!

معها أفرح بالصباح الضبابي

وبالشمس والرياح تلطم الوجه،

و معي صبية أحلامي

تصعد إلى شرفتي!

الوردة والعندليب

الوردة الباهتة كانت تنفس بحزن
وهي تتأمل غروب الشمس القرمزي
تحركت الشمس، فارتجفت الوردة
انتابها إحساس قاتم جعلها تضطرب بشدة.
خيم الغسق بسرعة على الكون
تبعته ظلمة حالكة

ارتجفت معها أوراق الوردة

وهي تراقب بحماس ظلال الدجية
همست الوردة: "آه، يا عزيزي، هلا أعثرُ
في الليلة الظلماء على حب، وحببية؟
أيمكنك أن تأتي متخفياً بالعتمة
إلى المرج المعتم الندي؟
حيث تنسكب أصوات حزينة خفية
أهو أنين الورود، أم خريز الجداول؟

من يعرف ذلك؟

ها قد ذبلت الوردة من الانتظار يملؤها الألم
استيقظ الصباح بفخامة فوق المروج
حضر الحبيب عند سماعه الأصوات المفعمة بالشوق
مسكينة، الصديقة ذات القلب الرقيق
وهي تمد ذراعيها الشائكتين إلى السماء ...
قالت بصوت خافت: "سامحني" وهي تذبل ...
صفر العندليب الغاضب

وهو يلامس بجناحه الشجيرة

وطار بعيداً، حيث ينتظره العاشقون ...

رأيته بعد أيام، في حالة انتشاء

يهمس بأغنية لورود أخريات

وراحت الورد تلك تتمايل برؤوسها

وقد ذابت بأحلامها مع الأغنية الغادرة ...

حزيران ١٨٩٨

إلى أمي

هدأت الريح وتوهج المجد
ناشراً وشاحه على تلك البرك
وها هو الزاهد يطبق كتابه
وينتظر باستكانة نجمه.

أرى الطريق العريض المبتعد

يعرج جانباً....

دعيني ألتقط أنفاسي، تمهلي قليلاً، بحق السماء،
لا تجعلي الرمل يصير تحت الأقدام

ها هو صليب الدير يتوهج ببريق الذهب من بعيد
أليس من الحكمة أن أعرج على السلام الأبدي؟
وما قيمة الحياة بدون عناية السماء؟

ومرة أخرى تشدني
بعيداً عن الأماكن الهادئة
الطريق العريضة
التي تمضي بمحاذاة
المعبد والبرك والنجوم...

آب - أغسطس ١٩١٤



الهيئة العامة
السورية للكتاب

ليل، شارع، فانوس، صيدلية

ليل، شارع، فانوس، صيدلية،
ضوء خافت لا معنى له
حتى لو عشتَ ربع قرن آخر
سيكون كل شيء كذلك. لا فائدة

إذا مت، سوف تبدأ من جديد

وسوف يتكرر كل شيء كما في الماضي

الليل، التموجات الجليدية في القنال،

والصيدلية، والشارع، والفانوس

الهيئة العامة
السورية للكتاب
أكتوبر ١٩١٢

المستقبلية (فوتوريزم):

المستقبلية (فوتوريزم): هي حركة فنية طليعية ظهرت في العقد الأول من القرن العشرين في إيطاليا أولاً، كان أول من استخدم هذا المصطلح الشاعر الإيطالي فيليبو مارينيتي (قصيدة السكر الأحمر)، ولهذا يعدُّ مؤسس الحركة. ويدعو المؤسس وأتباع هذا الاتجاه إلى تقديس المستقبل ونبذ الماضي في مجالات الفن والأدب.

ويمكن تلخيص أيديولوجيا المستقبلية بخمسة بنود:

- التمرد، النظرة الفوضوية للعالم، والتعبير عن المزاج الشامل للرعاع.
- إنكار التقاليد الثقافية، محاولة لخلق فن، يتطلع إلى المستقبل.
- التمرد على القواعد المعتادة للخطاب الشعري، والتجريب في مجال الإيقاع، والقافية، واعتماد الشعر الواضح الصريح، والشعارات، والملصقات.
- البحث عن الكلمات الجريئة المنعقدة من كل القيود، المتميزة، ومحاولة خلق لغة متفوقة.
- تمجيد تكنولوجيا المدن الصناعية.

الجدير بالذكر أن الفضل في إدخال هذا المصطلح إلى عالم الأدب الروسي للشاعر إيغور سيفيريانين.

أما نشوء الحركة فقد سبقه ظهور مجتمع "المستقبلية التكعيبية" التي أصدرت أول مجموعة شعرية (حديقة القضاة ١) لها عام ١٩١٠، وأطلقوا على أنفسهم مجموعة "هيليا"، وأشهر أعضائها: فلاديمير ماياكوفسكي، ديفيد بورليوك، فاسيلي كامينسكي، بنديكت ليفشيتس وأليكسي كروتشونينخ.

وفي عام ١٩١٢ أصدرت المجموعة المذكورة مجموعتها الشعرية "صفعة لذوق المجتمع"، وبياناً يدعو إلى التخلي عن أدب بوشكين وتولستوي ودوستويفسكي لعدم ملاءمتهم للعصر، ولخصوا حقوق الشاعر المستقبلي بأربعة بنود:

- زيادة مفردات الشاعر بكلمات انتقائية ومشتقة (الكلمة - المتكررة).
- كراهية مطلقة للغة التي كانت من قبل.
- التخلص من إكليل المجد المفلس وإلقاؤه بعيداً عن الهامة العزيرة.

- الوقوف على جلمود صخر تجسده كلمة "نحن" وسط بحر من الصفير والسخط. (أي بمعنى آخر - لامبالاة مطلقة لردود أفعال الناقلين).

ولم تكن مجموعة هيليا الوحيدة كممثلة لحركة المستقبلية، بل كان هناك مجموعات أخرى مثل (إيغو-فوتوريزم) ترأسها الشاعر سيفيريانين (مدينة سانت-بترسبورغ)، وكان ينتمي لهذه المجموعة غيورغي إيفانوف، ريوريك إيفنيف، بيتر لاريونوف، فاديم شيرشنيفيتش. ومجموعة (القوة النابذة)، ونشأت في موسكو عام ١٩١٤ على يد أدباء الجناح اليساري مثل سيرغي بروف ونيكولاي أسيف والشاعر والكاتب الأشهر بوريس باسترناك (مؤلف رواية-دكتور جيفاكو).

هناك مجموعة سقيفة الشعر وكان الأب الروحي لها والعضو الأكثر فعالية فيها الشاعر الروسي فاديم شيرشنيفيتش، وينتمي لهذه المجموعة- سيرغي ترينياك، كونستانتين بالشاكوف، بوريس لافرينيف وريوريك إيفنيف.

وبعد أن حققوا نجاحاً صاعداً، وشهرة سلبية، وبعد أن أصدروا أكثر من عشرة كتب، وبضعة عروض مسرحية، شعر المستقبلليون بأن مهمتهم التاريخية قد أنجزت.

والحقيقة أن شمس مجدهم المزعوم قد آلت إلى المغيب، ومع تعاظم واستقرار السلطة السوفييتية في روسيا، أخذت المستقبلية تحتفي تدريجياً، فقد هاجر كثير من المؤلفين (ديفيد بورليوك وإيجور سيفيريانين وإيليا زدانيفيتش وألكسندرا إكستر)، وتوفي آخرون (فيليمير خلبينيكوف وألكسندر بوغومازوف)، وانتحر فلاديمير ماياكوفسكي عام ١٩٣٠، وآخرون تخلوا عن مبادئ الحركة المستقبلية، وطوروا أسلوبهم الفردي (نيكولاي أسييف، بوريس باسترناك). وفي ثلاثينيات القرن العشرين بعد وفاة ماياكوفسكي وإعدام إيغور تيرنتيف، تخلى (أليكسي كروتشونيك) أحد أعلام الحركة عن ممارسة الأدب تماماً وكسب قوت يومه من بيع الكتب والمخطوطات النادرة.

المراجع:

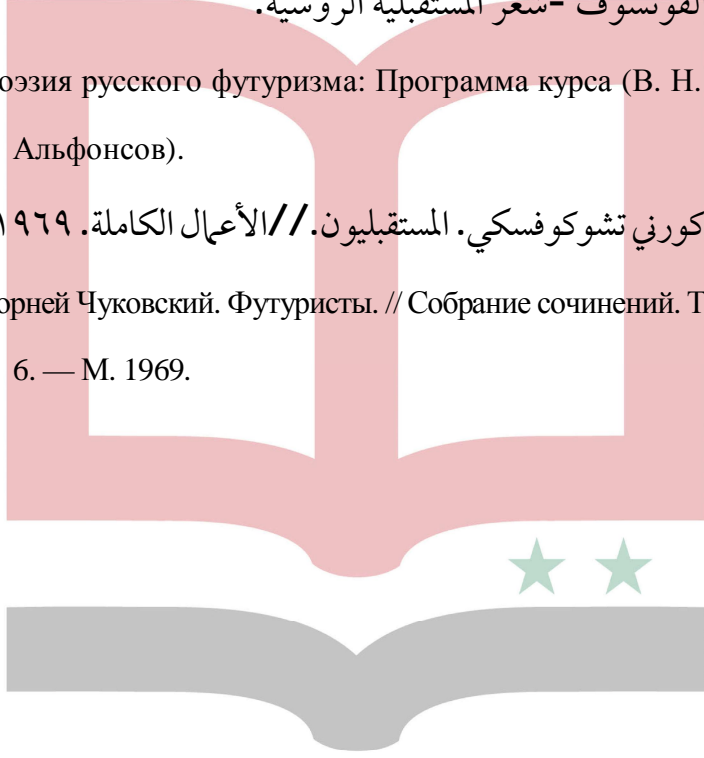
- أليكسي كروتشونيك - ١٥ عاماً من المستقبلية الروسية. ١٩١٢-١٩٢٧. المواد والتعليقات، موسكو، ١٩٢٨.
- Кручёных А. Е. 15-лет русского футуризма. 1912 — 1927 гг. Материалы и комментарии.— Москва, 1928.

- ألفونسوف - شعر المستقبلية الروسية.

Поэзия русского футуризма: Программа курса (В. Н. Альфонсов).

- كورني تشوكوفسكي. المستقبليون. // الأعمال الكاملة. ١٩٦٩.

Корней Чуковский. Футуристы. // Собрание сочинений. Т. 6. — М. 1969.



الهيئة العامة
السنورية للكتاب



فلاديمير ماياكوفسكي

(١٨٩٣ - ١٩٣٠)

وُلد فلاديمير فلاديميروفيتش ماياكوفسكي في ٧ يوليو - تموز عام ١٨٩٣ في قرية بغدادي في جورجيا (الإمبراطورية الروسية). كان والده، فلاديمير كونستانتينوفيتش، عامل أحراج، وكانت والدته ألكسندرا الكسيفنا من أصول قوزاقية.

عندما بلغ التاسعة التحق بإحدى المدارس وفي السنوات الأخيرة، أبدى الشاب اهتماما بالماركسية، وشارك في المظاهرات الثورية، ومارس الدعاية المناهضة للسلطة القيصرية.

بعد انتقاله إلى موسكو، ظهر في حياة ماياكوفسكي العديد من الأصدقاء الثوريين. وقد انتهى الأمر بانضمامه عام ١٩٠٨ إلى حزب العمال (حزب العمل الاشتراكي - الديمقراطي الروسي).

آمن فلاديمير الشاب بصدق بعدالة التمرد على الواقع،
وفعل كل ما في وسعه لنشر الأفكار الثورية. ولنشاطه
المناهض، قُبض على ماياكوفسكي وسُجن وهناك كتب أولى
قصائده عدة مرات.

بعد خروجه من السجن، تخلّى عن جميع النشاطات
السياسية، وفي عام ١٩١١، التحق فلاديمير ماياكوفسكي
بمعهد موسكو للرسم والنحت والعمارة. المكان الوحيد الذي
قُبِلَ فيه دون الحاجة لتقديم شهادة (حسن سلوك).

وهناك قضت الأقدار أن يتعرف ماياكوفسكي حركة
المستقبلية (الفوتوريزم) والتي كانت تمثل اتجاهاً جديداً في
الفن، ثم في الأدب. تلك الحركة التي غدت في المستقبل،
القاعدة التي قامت عليها جميع أعمال ماياكوفسكي الشعرية
والمسرحية. سرعان ما خرجت عدة قصائد من تحت قلمه،
يقرأها الشاعر مع أصدقائه.

في وقت لاحق، يقوم ماياكوفسكي، مع مجموعة من
المستقبلين التكعيبيين، بجولة في مدن روسيا، فقد كان يلقي
محاضرات ويقرأ أشعاره. وقد قوبلت أعماله باستحسان عام،

حتى إن مكسيم غوركي مدح قصائد ماياكوفسكي، ووصفه بأنه الشاعر الحقيقي الوحيد بين المستقبلين.

في عام ١٩١٣، نشر ماياكوفسكي مجموعته الأولى "أنا". والجدير بالذكر أن المجموعة كانت مكونة من أربع قصائد فقط. وقد انتقد في جل أعماله علناً البرجوازية. وفي الوقت نفسه، ظهرت بشكل دوري قصائد عاطفية ولطيفة.

عشية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، قرر الشاعر تجربة كتابة المسرحية. وسرعان ما قدم عمله الأول الذي كان مسرحية مأساوية بعنوان "فلاديمير ماياكوفسكي".

عندما بدأت الحرب، قرر ماياكوفسكي التطوع في الجيش، لكن لم يتم قبوله لأسباب سياسية. الأمر الذي أثار غضب الشاعر الذي عبر عنه بقصيدة (إليكم) انتقد فيها الجيش القيصري وقيادته. وفي وقت لاحق، صدر عملان رائعان له هما "سحابة في سروال" و "الحرب المعلنة". خلال تلك المرحلة، تعرف ماياكوفسكي أوسيب بريك وزوجته ليليا اللذين ساعدها على نشر كثير من أعماله. وكانت علاقة الشاعر بهذه العائلة متميزة، وحافظ على الصداقة الحميمة حتى موته.

عندما قامت ثورة البلاشفة عام ١٩١٧، أبدى ماياكوفسكي تعاطفه وتأييده المطلق لها، وكرس كثيراً من القصائد في تمجيد الأحداث الثورية. ومارس رسم الملصقات الدعائية، وعمل في دار نشر (فن الكومونة)، ثم أصبح رئيس تحرير مجلة " الجبهة اليسارية".

بالإضافة إلى ذلك، واصل ماياكوفسكي كتابة أعمال جديدة، قرأ الكثير منها أمام الجمهور.

عمل الشاعر كثيراً خلال مرحلة الحرب الأهلية التي اعتبرها أسعد سني حياته. وقد ذاع صيته في أرجاء الدولة السوفياتية وخارجها، الأمر الذي أتاح له السفر إلى دول عديدة للمشاركة في المحافل الأدبية وقراءة أشعاره.

ومن العلامات المهمة في حياة ماياكوفسكي دون شك، الصراع الأدبي (الإبداعي) بينه وبين الشاعر القدير يسينين، إذ أنهما كانا ينتميان لمدرستين شعريتين مختلفتين، فماياكوفسكي كان يمثل الحركة المستقبلية بينما كان يسينين يقود حركة الإيماجيزم التي سنستعرضها لاحقاً، إذ كان المستقبليون يعتبرون ممثلي الإيماجيزم عدوهم اللدود.

حياته الشخصية وموته

كان الحب الوحيد والحقيقي في حياة ماياكوفسكي كلها هو ليليا بريك، التي رآها لأول مرة في عام ١٩١٥. وبالرغم من زواجه المدني مرات عديدة لم يكن ماياكوفسكي سعيداً وكان يميل إلى الحب المنعقد من أيّ قيود.

في عام ١٩٣٠، تدهورت صحة فلاديمير ماياكوفسكي، وكان يعاني مشاكل في صوته. في هذه الفترة، بقي وحيداً تماماً، لأن عائلة بريك التي كانت الملجأ المثالي له في الأوقات الصعبة، هاجرت إلى فرنسا، بالإضافة إلى ذلك، كثرت انتقادات الزملاء واتهاماتهم له بأنه لم يعد شاعر البروليتاريا كما كان، نتيجة لهذه الظروف، في ١٤ أبريل ١٩٣٠، أقدم فلاديمير فلاديميروفيتش ماياكوفسكي على الانتحار، وكان عمره آنذاك ٣٦ عاماً فقط.

وقد ودعت الجماهير عبقرى البروليتاريا على مدى ثلاثة أيام ودفن في مقبرة دير دونسكويه. وفي عام ١٩٥٢ نقلت رفاته إلى مقبرة نوفوديفيتشي الشهيرة.

فلاديمير فلاديميروفيتش ماياكوفسكي - شاعر روسي ومن أشهر رواد العصر الفضي. أحد أعظم ممثلي تيار المستقبلين. وبفضل الشاعر، أدخلت كلمات جديدة في اللغة الروسية. كما كان لماياكوفسكي مساهمة كبيرة في طريقة الإنشاء الشعري. ويساعد "سلمه" في التأكيد على القراءة الصحيحة.

* * *

السطور الغنائية في قصيدته (ليليتشكا) (بدلاً من الرسالة) أضحت أجمل اعترافات الحب المؤثرة في شعر القرن العشرين ...



الهيئة العامة
السورية للكتاب

بدلاً من رسالة

الهواء ابتلع دخان التبغ
- غرفة -

الرأس في جحيم "كروتشينيخ"
تذكرين
أمام هذه النافذة

★ لأول مرة ★

لاطفت يديك، محمواً

واليوم أنت تجلسين هنا

القلب من حديد

يوم آخر وقد تطرديني بعد توبيخ

وفي بهو البيت ترتعش يداي

ولا تطيعني للدخول في كمي المعطف

سألقي بجسدي إلى الشارع

متوحش أنا
أكاد أجن.
يمزقني اليأس
لا تفعلي هذا
عزيزتي
حلوتي
دعينا نَقْلُ وداعاً الآن
رغم كل شيء يا حبي

سوف يثقل كاهلك الشعور بالذنب أينما كنت
دعيني في آخر صرخة أقتلع
مرارة الشكاوى الساخطة
إذا أُنْهَكَ الثور في العمل
سوف يفر، ويستلقي في ترعة باردة.
من غير حبك

لا يوجد بحر في عالمي
ولكن مع حبك حتى البكاء لا ينفع في طلب الراحة.
حين يريد الفيل الملكي المتعب الراحة
سوف يستلقي على الرمال المتقدة
من غير حبك لا شمس في دنياي
لا أعرف أين أنت أو مع من
لو أن امرأة عذبت شاعراً كما تفعلين بي
لتخلى عنها مقابل المال والشهرة.

أما أنا فليس هناك في الكون رنين بهيج
يفرح قلبي مثل رنين اسمك الحبيب
ولن أرمي بنفسي في الأخدود
ولن أشرب السم
ولا يمكنني الضغط على الزناد فوق صدغي

وليس هناك بارق سيف يفوق لحظك بالنسبة إليّ

ليس بشغف شفرة سكين واحد

غدا ستنسين أنني توجتك مليكتي

وأنني أحرقت روحاً أزهرت بالحب،

سوف يمزق كرنفال الأيام الصاخبة صفحات كتبي...

ليت شعري، هل يمكن لأوراق كلماتي اليابسة

أن تجعلك تتوقفين وأنت تتنفسين بجشع؟؟

دعيني أفرش حناني للمرة الأخيرة تحت خطواتك الراحلة

الهيئة العامة
السورية للكتاب

(ليت شعري، إذا النجوم أضاءت

رب امرئ يهضو لذاك الضياء ...)

إسمع! إذا ظهر نجم في السماء ...
هذا يعني أن هناك من يحتاج إلى ضيائه؟
هذا يعني أن هناك من يريد أن تكون؟
هذا يعني أن هناك من يعدُّ هذا الهراء لؤلؤة؟



وفي عواصف غبار النهار

يسعى إلى الله بكل ما يملك من قوة

ويخشى أن يكون قد تأخر

يغرق في البكاء

يقبل يده بعروقها النافرة

يشير إليه بأنه يجب أن يكون هناك نجم!

يقسم

بأنه لن يتحمل هذا العذاب الذي يخلو من نجوم!

وبعد ذلك

يسير قلقاً،

لكنه يتظاهر بالهدوء.

يحدث شخصاً ما يقول له:

الحقيقة أقول لك - ليس لديك ما يدعو للخوف!

أليس كذلك؟

إسمع!

الحق أقول، إذا النجوم أضاءت

فذلك يعني أن هناك من يحتاج إلى ضيائها!

ذلك يعني أنه من الضرورة أن يتوهج

كل مساء في الأعلى

نجم واحد... وحسب!

الهيئة العامة
السورية للكتاب

حول القصيدة

كان ماياكوفسكي معروفاً بأعماله الخشنة التي لم تتوافق مع المعايير المألوفة، ولكن وراء الصراحة القاسية كانت هناك روح إبداعية حساسة، تتفاعل بحدة مع الظلم واللامبالاة الإنسانية. في قصيدة "اسمع!" إنه بلا مقدمة وتحفظات يخاطب الناس من أجل لفت انتباههم إلى كمال الكون. الرمز الرئيسي في القصيدة هو النجوم التي لا تتعلق بالعواطف البشرية. يجب على الشخص التوقف والنظر بعناية في سماء الليل. النجوم قادرة على إزالة الغضب والكراهية. طالما أنها موجودة، فهناك أمل بالبقاء، "يعني أن كائناً ما يحتاج إلى هذا؟" ظهور نجوم جديدة لماياكوفسكي هو نتيجة رغبة عارمة لشخص ما. "إذا كانت النجوم مضيئة"، فإن الناس ما زالوا قادرين على تغيير رأيهم، ووقف الحروب والعنف.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

حكاية القبعة الحمراء

كان يعيش هناك كشاف.
كان يرتدي قبعة حمراء.
ولم يكن لدى الكشاف أي شيء آخر أحمر سوى القبعة
إذا بلغت مسامع الكشاف أن هناك ثورة في مكان ما
يرتدي القبعة الحمراء للتو.

عاش الكشاف بسعادة،

وكذلك والد الكشاف، وجد الكشاف.

ذات يوم هبت ريح عاصفة،

أطاحت بالقبعة عن رأس الكشاف ومزقتها شرمزق...

وبدا الكشاف أسود اللون. وحين رأت ذئب الثورة ذلك

أمسكت بالكشاف.

الكل يعرف أي نوع من النظام الغذائي لدى الذئب

لقد التهموا الكشاف بيزته ...

نصيحة: أيها الأطفال

عندما ترغبون باحتراف السياسة

لا تنسوا حكاية هذا الكشاف.

القبة الحمراء ترمز للخداع. يرتديها الكشاف (ليظهر أنه ينتمي للثورة ويرغب بالتغيير)، وهو يلجأ إليها كلما سمع عن أحداث أو هزات ثورية وهكذا يتجنب الاتهامات أو العقاب، ويجب بذلك كل أفراد عائلته ...

وفجأة تهب ريح عاصفة (يقصد منها -ثورة حقيقية) تطيح بكل شيء يقف في طريقها بما فيها قبة الكشاف لتكشف طبيعته السوداء، وحالما انكشف خداعه، أجهزت عليه ذئاب الثورة...

الهيئة العامة
السورية للكتاب

وداع

في السيارة التي أوصلتني إلى المرفأ
أنفقت آخر فرنك في جيبني
"متى يجب أن أكون على متن مرسيليا؟"
باريس تركض مودعة إياي
بكل ما تنطوي عليه من جمال
املئي العين أيتها الدموع

★ فالقلب ★

ذاب

عشقا

كم كان بودي

أن أعيش وأموت

في باريس

لو لم تكن هناك على هذه الأرض،

مدينة اسمها - موسكو...!

* * *

ليلة مقمرة

سيكون هناك قمر.
ها هو بدأ بالظهور ...
والآن يتجلى كاملاً معلقاً في الهواء....
يخيل لي كما لو أن الله
يعبث بملعقة فضية عجيبة في آذان النجوم ...



الهيئة العامة
السورية للكتاب

إلى زمن فتوتنا

تتقاذفون خشبات المسارح
وعيون آلاف الشباب
كم هي متنوعة قبائل الأرض الأم...
اللغة ...
والملابس ...

بصعوبة *أمسح العرق عن صدغي.*

عبر فتحة في نفق ضيق ...

انطلقت عربة البريد من محطة كورسك،

تصم صافرتها الأذان.

يخيل للراكب

أن المصانع وأشجار البتولا من الغابة

وحتى الأكواخ تسابق الريح

تقلب أوراق الكراس
كما لو كنت تستمع إلى مسرح موسكو للفنون،
وفي الآفاق وبين الغابات المتقطعة
تترأى عشرات الأكواخ بأسطح من القش
والبراميل بألوان مختلفة ملاءى بالورود
يمكنك نظم كيس كامل من القصائد
وأنت تتملى من ذلك الجمال



وقد تنفجر ضاحكاً من جواب ند
عن فم فتى أوكراني.

المسافات تعدو هاربة خلفنا
تكوي ذيلها، الشمس اللاهبة والطباخة.
والقطار يقترب من روستوف،
مبتعداً عن دخان خاركوف.

والحقول التي تبشر
بملايين الأطنان من الحبوب ...
وفي وهج ذهب الجودار
يبرق نهر الدون الفضي
صغير القاطرة يخترق الفضاء
وهنا بدأت إطلالة القفقاس
بسلاسله المرتفعة ورؤوسها البيضاء.

وحين ترتفع الشمس
تبدو تلك القمم كخوذة الإطفائي.
أنا أطيّر عبر الممرات الجبلية

التي تمتص الصفيّر ...
الثلوج والقبعات الشائبة،
والخناجر التي يمسك بمقابضها رجال الإنعوش
ويراقبهم عن سروجهم

الأوسيتينيون
في الأعالي جبال وجليد
وفي الأسفل
حر جهنمي
أهل تيفليس تعرفهم عن بعد
يتزهون في ساعات القيظ
بقبعات عصرية
وأحذية دقيقة المقدمة

يحاكون الباريسيين بطريقتهم الخاصة
كل منهم يعرف القواعد عن ظهر قلب
وحتى الأرقام تختلف عنها في أحلامهم.
كل ثالث يتكلم بلغته الخاصة
وقوميته الخاصة.

ذات يوم أودعت حقيبة لوازم في فندق،
ونسيت المكان الذي أقضي الليل فيه

سألت رجلاً أوكرانياً باللغة الروسية
أجابني بأنه لا يعرف.
عندما ينتقلون لموضوع علمي،
يصبح الإطار الروسي
ضيّقاً على الفهم.
تخلوا: الأكاديمية القازانية تخاطب مثلتها التيفلسية
باللغة الفرنسية.

(وأنا أعشق باريس بشوارعها المشجرة الجميلة في الليالي)

وماذا يعني كل هذا -

بودلير، مالميرمي وآخرون غيرهم....

بالنسبة لنا - نحن الذين خضنا غمار

النار والماء على مر السنين.

وتعلمنا الكثير عبر الكفاح،

هل يليق بنا أن نربي جيلاً

بديلاً لنا من شباب لعوب فرنسي الطباع والسلوك!

هلا لجأت إلى الحرية التي حملتها السلطة السوفياتية

يامن كنت عارياً

ومحروماً من لغتك ...

ابحث عن جذورك

وتعمق في متاهات لغتك

انظر إلى الحياة بدون نظارات وغمائم على الأعين

واكتسب بعيون ظامئة

كل ما تراه جيداً في أرضك

وما هو جيد في الغرب

لكن لا مكان

لمسحة غضب

لا تشوه النفوس الحمراء

أيها الرفاق الشباب،

انظروا نحو موسكو،

أصيحوا السمع للروسية

أقسم إنني لو كنت زنجياً وطاعناً في السن
لتعلمت الروسية
دون يأس وكسل
فقط لأن
لينين تحدث بها
عندما سال أكتوبر العاصف
عبر الشوارع. دما.....

أنا أعلم

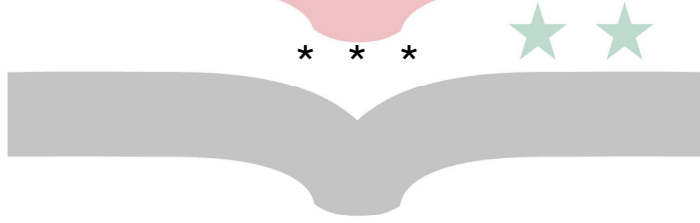
في موسكو تقرر مصير كيف وكذلك تيفليس
موسكو بالنسبة لنا ليس جبل دولة تجر الأصقاع خلفها،
موسكو ليست غالية على القلب بالنسبة إليّ

لأنني روسي،

بل لأنها راية من نار!

أعرف أن جذوري اللغوية ثلاثة
وأنا لست من الروس الأقحاح

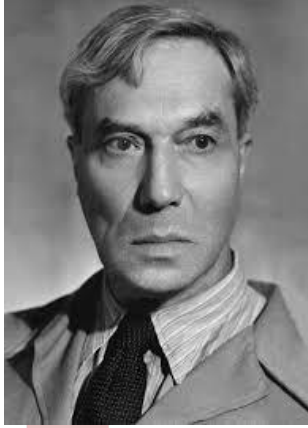
من آسيا وجدي من قوزاق الدون وجدي الآخر من
القوزاق السيتشين
وولدت جيورجيا
ثلاث قطرات اجتمعت في... تجعلني أملك الحق
بالحديث
باسم الجميع. باسمكم أنتم وباسم الروس الأصليين.



الهيئة العامة
السورية للكتاب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب



بوريس باسترناك (١٨٩٠ - ١٩٦٠)

شاعر وكاتب ومترجم. يعدُّ واحداً
من أشهر أعلام الأدب الروسي



ولد بوريس ليونيدوفيتش باسترناك في العاشر من شباط
فبراير عام ١٨٩٠ في موسكو في عائلة الفنان التشكيلي ليونيد
باسترناك وعازفة البيانو روزاليا كوفمان. نشأ في بيئة إبداعية
وجو منفتح على مختلف الثقافات. وكان بين أصدقاء العائلة
مشاهير الأدب والفن في روسيا الكاتب العظيم ليف
تولستوي، الفنان العالمي فاسيلي بولينوف، والفنان الشهير
إسحاق ليفيتان، والموسيقيان سيرغي رحمانينوف الذي يعرفه
العالم أجمع، وألكساندر سكريبين الذي كان له أثر أساسي في

ولع باسترناك بالموسيقا في طفولته. وقد أظهر الفتى بوريس شغفاً بالموسيقا، ودرسها لعدة دورات في الكونسيرفاتوريا حتى إنه كتب سوناتا للبيانو...

تخرج باسترناك بميدالية ذهبية من الثانوية (الهيمنازيا). لكنه تردد كثيراً في تحديد مهنة المستقبل: فقد التحق بالقسم القانوني للكلية التاريخية واللغات بجامعة موسكو، ثم انتقل إلى كلية الفلسفة. في عام ١٩١٢، درس الفلسفة في جامعة ماربورغ بألمانيا، لكنه رغم نجاحه عدل عن فكرة تدريس الفلسفة وغادر في عام ١٩١٤ إلى البندقية مع أقربائه. وبعد عودته إلى روسيا، استقر باسترناك في موسكو، وتخرج من الجامعة.

في هذا الوقت، حاول باسترناك كتابة الشعر. وقد أبدى اهتماماً بمختلف الجمعيات الأدبية. شارك الشاعر في اجتماعات دار نشر (موساغيت) للرمزيين، وكان عضواً في المجموعة الأدبية المستقبلية.

في عام ١٩١٣، نشر باسترناك قصيدته الأولى في ديوان ضم أعمال شعراء مجموعة (ليريك)، وفي نهاية العام نفسه أصدر كتابه الخاص من قصائد "التوأم تلفه الغيوم". بعد ثلاث سنوات، أصدرت المجموعة الثانية، "فوق الحواجز".

في عشرينيات القرن حصل تقارب بينه وبين ماياكوفسكي
زعيم الحركة المستقبلية ولكنه فيما بعد اعتزل جميع الحركات
والاتجاهات الأدبية، فكان له أسلوبه الشعري ونظرته الخاصة
للفن والإبداع الأدبيين.

في عام ١٩٢٢، تزوج باسترناك من الفنانة يفغينيا لوريه،
وبعد سنة ولد ابنهما يفغيني. ولكسب قوت عائلته، ترجم
باسترناك كثيراً من أعمال بول فيرلين، جون كيتس، راينر ماريا
ريلكه وغيرهم من الشعراء الأوروبيين. تميز باسترناك بقدرته
على إيصال المضمون بدقة، والحفاظ على إيقاع وحجم العمل
الأصلي.

في الثلاثينيات من القرن العشرين أحجم باسترناك عن نشر
أشعاره لخبية أمله في الشعارات التي كانت تطرحها السلطات
السوفياتية التي رافقتها حملات التطهير والقمع للثقافة الرصينة
والمتقفين الذين لا يهللون للنظام ويعظمون ممارساته في أعمالهم.

عكف على ترجمة الشعر العالمي إلى الروسية: فترجم لشكسبير
(هاملت، ماكبث، الملك لير) وغوته (فاوست) وريلكه، بالإضافة
إلى مجموعة من الشعراء الجورجيين الذين كان يحبهم ستالين.

رواية "دكتور جيفاكو" تمثل التحول النهائي من باسترناك الشاعر إلى باسترناك الروائي، وهي في الحقيقة مرحلة نشأت ليس عن طيب خاطر أو رغبة جامحة، بل نتيجة الاتهامات الموجهة من قبل السلطات له لابتعاده (برأيهم) في أشعاره عن الواقع والحياة السوفياتية وليدة الثورة البلشفية، ولكي يتجنب الملاحقة والاضطهاد التفت إلى النشر والترجمة التي أبدع فيها.

وقد كتب الرواية على مدى عشرة أعوام وقدمها للنشر عام ١٩٥٥، ولكن بعض الأفكار التي تتضمنها الرواية والتي رأت فيها السلطات انتقاداً للنظام الشيوعي حالت دون نشرها في روسيا، في الوقت نفسه صدر الكتاب في أوروبا مما أثار غضب السلطة على الكاتب حتى نهاية حياته.

وزادت النقمة عليه من النظام ومن الأدباء الموالين لسياسة السلطة الثورية بعد منح الكاتب جائزة نوبل للأدب لروايته (دكتور جيفاكو).

توفي بوريس باسترناك في إحدى ضواحي موسكو عام ١٩٦٠.

إن بوريس ليونيدوفيتش باسترناك ظاهرة فريدة في تاريخ الأدب الروسي. موهبته أدهشت المعاصرين والأجيال اللاحقة على السواء بأصالتها، وألقها وتميزها ...
وتعدُّ علاقته مع الطبيعة من السمات الرئيسية لشعر باسترناك الغنائي، لقد كان خبيراً بأسرارها ومولعاً بجمالها الأبدى، ولا شك أن ذلك قد انعكس على أعماله.
الحياة والطبيعة توءمان متلازمان في شعر باسترناك كما نقرأ في قصيدته " الحياة - شقيقتي ":

أختي ★ هي الحياة اليوم

لقد تأذيت بسبب المطر الربيعي عن الجميع ...

يعطي الشاعر الطبيعة معنى فلسفياً، من خلال وصف بعض الظواهر التي ينقلها إلى روح بطل قصيدته. وتجدر الإشارة إلى أنه ليس هناك لدى باسترناك طبيعة تضج بالحياة وأخرى خاملة، كلها في أشعاره وخياله في بوتقة واحدة.
وإذا كان من سبقه قد وصف الطبيعة من خلال الإحساس والنظر، فإن باسترناك يقدم الطبيعة وحدها وبدون أشخاص.

كما في قصيدته (ثلج يتساقط) فلسنا نحن من يقف أمام النافذة
الشتوية نراقب تساقط الثلج، بل النافذة نفسها بواقيتها
وثلوجها من ينظر إلينا:
أسمع حفيف رقائق الثلج البيضاء
المتهاكة على النافذة.
سطوح، وثلج،
ولا أحد سوى السطوح والثلوج.

* * *

يعد موضوع الشاعر والشعر من أهم المسائل في أعمال
باسترناك. ويمكننا بوضوح فهم نظرة الشاعر للشهرة والمجد
من خلال قصيدته "أن تكون مشهوراً أمر غير مستحسن..."
وهو يشير إلى مقومات الشاعر الحقيقي، فيدين الميل إلى
"الضجيج" و "النجاح" والتفاخر؛ لأن كل ذلك يعيق تطور
الإنتاج الخلاق.

وحين نخوض في الحديث عن العملية الإبداعية نرى أن
باسترناك يلخص أهدافها وغايتها ببضعة أبيات:

"الغرض من الإبداع هو التفاني في العطاء

وليس إثارة الضجيج، ولا النجاح

وعار على المرء الذي لم يبدع،

أن يتردد اسمه على لسان الجميع."

نرى أن باسترناك لا يقبل شهرة فارغة وغير مستحقة، فهو يفضل أن يكون مجهولاً بدلاً من أن يكون على شفاه الجميع دون أن يفعل أي شيء من أجل هذا. وهذا الموقف يستحق الاحترام.

يشق الشاعر طريقه الوحيد "في الضباب"، وهو لا يرى شيئاً ولكنه يسمع نداء المستقبل فقط. وعليه أن يترك "أثراً حياً" في الأزمنة الآتية يرفد مجراه "الآخرون".

يحاول الشاعر في قصائده على لسان بطله الغنائي الوصول إلى جوهر الحياة الخفي، واستنباط قوانينها، وكشف أسرارها... لأجل أن يجسد بالكلمات قانون الحياة كما في قصيدته "أود أن أدرك كنه الشيء في كل شيء".

من السمات المميزة لشعر باسترناك هي الاستعارة الخاصة بقصائده. الاستعارة لديه غير عادية في حد ذاتها، وتلعب دوراً

متميزاً. لذا نلاحظ أن الطبيعة التي يصفها الشاعر والأشياء من حوله تعيش نفس المشاعر التي تضحج في جوارح البطل الشعري. ولا تصلنا أحاسيس الشخص عن طريق وصف مشاعره مباشرة، ولكن بمقارنته بالطبيعة باستخدام الاستعارات. ربما هذه هي الطريقة التي يرغب الشاعر في إظهار وحدة العالم بها. بوريس باسترناك شاعر عظيم. يجعلك تعيش في قصائده، جمال الطبيعة الأزلي وعلاقتها بالروح الإنسانية....

يتجلى العالم الشعري لبوريس باسترناك بكل ثروته ثروة من الألقان والإيقاع والتشكيلات التي تكشف لنا أشياء وظواهر مألوفة منذ زمن طويل بحلة جديدة تماماً.

كما نرى أن باسترناك، كان يعطي الشعر الحرية المطلقة وكذلك الحياة بكل تنوعها. يخيل لنا أن الحياة استخدمت الشاعر هنا كوسيلة للتعبير، "حديث شفاه غير معروفة". أي إن أعماله ليست بتلك الحاجة الملحة إليه. وكأن دوره هنا فقط لقراءة أشعاره. هذه الفكرة عبر عنها باسترناك في إحدى قصائده، التي اعتبرت فيما بعد واحدة من الأعمال الرئيسية في شعره.

إن موقف الشعر والفن تجاه العالم الحقيقي والناس والأشياء يتجلى في شباب باسترناك من خلال الحواس: اللمس والصوت والإيقاع. فالشاعر يرى ويلمس موضوع القصيدة الجوهري، لكنه لا يسعى لإظهاره أو التلميح إليه.

كما سبق أن ذكرت، إن القصيدة تعيش حياتها الخاصة. هي من يرسم شخصاً، أو لوحات من الطبيعة. ونحن نشعر في القصائد بموقف الشاعر من كل هذا، نظرتة لعالم الأشياء، للعالم الحقيقي. وهكذا يكشف لنا باسترناك مشكلة الشعر

والواقع. ★ ★

تجاهل الكلمات الفارغ: هو يبحث عن الكلمات الرئيسية والجوهرية. أليست هذه مهمة وهدف الشعر بصورة عامة وكل شاعر بصفة خاصة؟ اعتقد باسترناك أن قيمة الشعر وغناه ليس في صعوبته وتعقيده. لعمرك إن حقيقة الأشياء والظواهر تكمن في بساطتها وحسب.

الهئية العامة
السورية للكتاب * * *

الخريف الذهبي

الخريف. إيوان خيالي
مكشوفة أرجاؤه للناظرين
والطرق الحراجية
المؤدية إلى البحيرات

كما في معرض اللوحات

قاعات، قاعات، قاعات، قاعات

وأشجار الدردار، والمران، والخور

في حلة ذهبية ليس لها مثل

الزيفون يعلوه طوق ذهبي

كتاج على هامة العروس

ووجه البتولا خلف خمار الزفاف الشفاف.

الأرض المدفونة

تحت الأوراق في الخنادق والحفر

أمام اللحيفة والقيقب الأصفر

كما لو أنه في إطار مذهب

حيث الأشجار في أيلول

تتنصب أزواجاً عند الفجر،

تقف اثنتين اثنتين

والشفق يطبع على لحائها

قبلة من العنبر.

حيث لا يمكنك أن تسير إلى الوهدة

دون أن يسمع الجميع

حفيف أوراق الشجر الغاضبة

تحت القدمين

هناك حيث ينتهي صف الأشجار

يتردد صدى عند المنحدر

ورحيق الكرز يتجمد عند الفجر

الخريف زاوية قديمة

تضم الكتب القديمة، والملابس، وبنادق الصيد،

حيث الصقيع يقلب صفحات

كتالوج الكنوز

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

الربيع في الغابة

الصقيع اليأس

يؤجل ذوبان الجليد

الربيع جاء متأخراً أكثر من أي وقت مضى
ولكن ذلك كان مصادفة لا أكثر.

في الصباح، يتباهى الديك بصوته

ويسد الطرق كلها أمام الدجاجات.

والصنوبر يستدير إلى الجنوب

عابساً في وجه الشمس

رغم أن حرارة الشمس تكوي وتشوي،

غير أنه لأسابيع كاملة أخرى

سيقيد الجليد الدروب

ويبدو لحاء السنديان أسود ...

في الغابة شجرة التنوب تحيط بها
الأوراق اليابسة والأغصان المتكسرة
التي غطاها الثلج
والدروب تغمرها المياه وأشعة الشمس
والسماء ملبدة بغيوم أشبه بالزغب
انعكس خيالها في البرك
وكما لو أنها علقت في أغصان الأشجار

تسمرت في مكانها من الحر

الهيئة العامة
السورية للكتاب

فِي ذِكْرِ مَارِينَا تَسْفِيَتَايَا

ويطول اليوم بطقسه الرديء عابساً.
السواقي تجري هنا وهناك دون توقف
تسللت عبر الشرفة إلى المدخل
ومن خلال نافذتي المفتوحة

خارج السياج وعلى طول الطريق

الفيضان أغرق الحديقة العامة

الغيوم التي تماثل الوحوش في أوكارها،
تمددت بصورة عشوائية في أرجاء الفضاء.

حين يكون الجو عبقاً

يتراءى لي كتاب عن الأرض وجمالها

فتريني أرسم لك عرائس الغابة

على الصفحة الأولى.

آه، يا مارينا، لقد مضى وقت طويل
نعم، والعمل ليس كما عهدتني،
آن الأوان لنقل رمادك المهجور
من مدينة يلابوغا إلى قداس.

لقد قررت نقلك

العام الماضي

فوق ثلوج بلدة "بليس" المصحرة
حيث القوارب تقضي شتاءها في الجليد

* * *
أنا لازلت عاجزاً عن تخيلك
ميتة،
مثل ثرية شحيحة

من بين أخوات جائعات.

ماذا على أن أفعل لأجلك؟
أخبريني بأي وسيلة ممكنة
لأن في صمت رحيلك
هناك عتاب لم تبوح به

فقدان الأعبة دائماً يكتنفه الغموض

لو تدرين معاناتي في بحثي العقيم عن الجواب
فالموت ليس له ملامح

هنا كل شيء، نصف كلمة وظلال،
هي زلات اللسان وخداع النفس،
وبالإيمان بالقيامة وحسب،
يمكن أن ندرك السر

الشتاء يشبه المآدب الفاخرة عند الأضرحة:

حالما خرجت من المنزل،

أضف الزبيب إلى الشفق،

واسكب عليه النبيذ

تصل إلى الهدف المنشود...

أمام المنزل شجرة تفاح غابت في أكوام الثلج.

والمدينة في سديم ثلجي،

خيل لي على مدار العام كله،

أنها شاهدة قبرك الضخمة.

تمدين يديك إلى السماء،

وأنظارك متجهة نحو الرب ...

دون تدوين ما يحصل لك في الأيام العادية.

نجمة الميلاد

كان الوقت شتاء
هبّت الريح من السهوب
والبرد يلف جسد الطفل في الدن
هناك على سفح التلة

أنفاس الثور منحتهم بعض الدفء

والحيوانات الأليفة

تجمعت في المغارة

وسديم دافئ انتشر فوق المذود

الهيئة العامة
السورية للكتاب

نفضت عن معطف الشتاء غبار السرير

وبذور الدخن،

والرعاة الذين غلب عليهم نعاس منتصف الليل

راحوا يحدقون من عل بالأفق البعيد.

هناك في البعيد حقل غاب تحت الثلج وفناء الكنيسة،
سياج، وشاهدات قبور،
توارت في الثلج،
والسمااء فوق المقبرة تعج بالنجوم

وهناك، على مقربة من المكان

تلاآت في نافذة برج الحراسة

نجمة في طريقها إلى بيت لحم

وقد توهجت كبيدر اشتعلت به النار، بعيدا

عن السماء والآلهة،

كوميض الحريق،

ارتفعت في الأعالي كبيدر يحترق،

السنايل والقش

في الكون العظيم بأكمله

وحده هذا النجم الجديد، من قض مضجعه.

تعاضم الشفق حمرة

وهذا لم يحدث عبثاً

وثلاثة منجمين

سار عوا طلباً لأنوار

لم يشهدوا لها مثيلاً...

كانت قافلة بعير محملة بالهدايا تتبعهم

وحماران يجران معاً عربية

أحدهما قصير

تنحدر من الجبل في خطوات صغيرة.

ورؤية غريبة لحدث قادم

لاح في الأفق طاغياً على كل ما سيأتي بعده
كل أفكار القرون، كل الأحلام، كل العوالم،
مستقبل المعارض والمتاحف،
كل عبث الحوريات، كل معجزات السحرة،
كل أشجار الميلاد في العالم، كل أحلام الأطفال
ارتعاش الشموع كلها، كل السلاسل،
وكل بهاء الزينة وألوانها
الريح هبت عاتية، شرسة من السهوب
الفاكهة كلها، وكل الكرات الذهبية

جانب من الترفة حجبتة قمم شجرة الألد،
ولكن جزءاً منها كان ظاهراً تماماً من هنا
من بين أعشاش الغربان وهامات الأشجار
الرعاة شاهدوا تماماً

كيف سارت الحمير والبعير على طول الضفة،

هيا بنا جميعاً، ننحني للمعجزة.

أضحى المكان دافئاً

نتيجة الحركة والمسير.

في مرج بارق كصفائح الميكا

قادت آثار أقدام حافية إلى الكوخ

أثارت اهتمام الذئاب كما أثارها هب المشاعل،

في ضوء النجم

كانت ليلة باردة أشبه بحكاية خيالية

ومن ذلك الجانب الهادئ من المرتفعات الثلجية

كان هناك من عبر خلالها خلصة

والكلاب راحت تجول في المكان بقلق ظاهر

وفجأة أوت إلى زاوية نائية،

وانكمشت على نفسها، لشعورها بخطر قادم.

وعلى الدرب نفسه، وعبر نفس المكان
سار كثيرٌ من الملائكة وسط الحشد
لا أحد رآهم لشفافية أجسادهم،
لكنهم تركوا على الثلج بصمات أقدامهم
احتشدت الجموع عند الصخرة
راح الضياء يملأ الفضاء وبدت جذوع الأرز.
"- من أنتم؟". سألت مريم."

- نحن قبيلة من الرعاة وسفراء السماء،

جئنا لنعبر عن احترامنا وتعظيمنا لكما وتمجيد السماء لعطائنها

-لا يمكنكم فعل ذلك معاً. انتظروا عند المدخل

وسط ضباب الفجر الرمادي

تناهى إلى الأسماع هرج رعاة الأغنام، وسائقي الدواب

وتشاتم المشاة والفرسان،

وهناك قرب ساقية الماء

علا هدير وترافست الحمير

انجلي الفجر. مثل حبيبات الرماد
مطيحاً بآخر النجوم في القبة السماوية
عندما سمحت مريم للمنجمين فقط دخول المغارة.
كان ينام، يلفه النور، في مهد من السنديان،
مثل شعاع الهلال
وبدلاً من الفراء منحتة الدفء أنفاس الثور وشفاه الحمير
وقفوا في الظل، كما لو كانوا في عتمة الزريبة
تهامسوا، عاجزين عن التعبير
فجأة شخص ما برز من الظلام، عن يسار المهد
دفع بيده الحكيم عن المذود،
فدهش ذاك حين شاهد نجمة الميلاد
تنظر من العتبة مثل الزائر
إلى العذراء

الإيماجينيزم (الخيال والصورة)

في الأدب الروسي

(مشتقة من كلمة إيميج الإنكليزية - الشكل أو الصورة) وهو في الحقيقة تيار شعري نشأ في رحاب العصر الفضي في أوائل القرن العشرين. ويتبنى أولوية الصورة اللفظية على المعنى، أو الفكرة، ويمكن القول إنها فازت بقصب السبق على حركة المستقبلية (فوتوريزم) التي كان من أعلامها الشاعر الشهير فلاديمير ماياكوفسكي.

ويرى النقاد والمؤرخون أن تسمية الحركة ترجع إلى كلمة إيماجينيزم الإنكليزية، وهي المدرسة الشعرية الأمريكية - البريطانية التي اشتهر من روادها: توماس هيوم، وعزرا باوند، وتوماس ستيرن إليوت.

وظهرت الحركة في إنجلترا عام ١٩١٠، ووضع مؤسسوها نصب أعينهم مهمة فنية محددة. لم تكن تجريدية في الشعر، بل محددة وحياتية، وكان من الضروري إعادة تجسيد الواقع بشكل

مباشر، والتخلي عن القوالب المتذلة والشعر المتذلل البالي واستبداله بـ"جديدة" غير مألوفة.

لقد سعوا لتجديد اللغة الشعرية، وانعكس هذا في نظرياتهم عن القصيدة الحرة، والصورة الشعرية.

وكان ف. شيرشينيڤيتش أول من أدخل مصطلح (إيماجينيزم) في كتابه "الشارع الأخضر" الذي صدر عام ١٩١٦، وفيه شدد الكاتب على مسألة مضمون الصورة الشعرية لا الشكل.

ولهذا يمكننا اعتبار شيرشينيڤيتش أيديولوجي الاتجاه الجديد في الشعر الروسي، وبعد عامين أعلن ظهور الإيماجينيزم كظاهرة أكثر شمولية واتساعاً من المستقبلية (الفوتوريزم).

وفي عام ١٩١٩ صدر البيان الأول للاتجاه الجديد، وفيه يؤكد رواده أن اظهار الحياة بالاستعانة بالصورة وإيقاعها هو القانون الوحيد لجميع الفنون، أي إن الصورة لها الأهمية الأساسية في بنية أي عمل فني. وقد رأى ممثلو التصويرية أن لغة الشعر فريدة بحد ذاتها. وكانت في مرحلة مبكرة من التطور، حسب اعتقادهم، مشبعة تماماً بالتخيلات التصويرية.

لذلك اعتبر ممثلو الحركة في الأدب الروسي أنه من المنطقي دراسة أصول اللغة. أرادوا بهذه الطريقة اكتشاف الصور الأصلية لكلمات مختلفة. علاوة على ذلك، عند تحليل تكوين الكلمة التقليدية وخصائص اللغة بدءاً في إنشاء الصور بأنفسهم.

في القضايا الشعرية، على الرغم من وجود بعض القواسم المشتركة، لم يكن هناك وحدة مطلقة بين ممثلي الاتجاه الجديد. الأصدقاء في الحياة، كانوا ينهجون أساليب مختلفة تماماً في إبداعهم لدرجة أنه يتعذر علينا وصف الإيماجينيزم في أدب القرن العشرين بصورة مفصلة.

وقد ضمت المدرسة التصويرية الشعراء الذين كان لديهم وجهات نظر ونظريات إبداعية متنوعة للغاية، مختلفة سواء من حيث الروابط الأدبية، أو الاجتماعية. على سبيل المثال بين شيرشينيغيتش وماريينغوف من جهة ويسينين ويسينكوف من جهة أخرى.

هناك اختلافات بين الجانبين أكثر من أوجه التشابه. فالأول يصور الحياة في المدينة بكل أبعادها، بينما الأخير ينشد الريف في كل بيت وكل قصيدة من خلاله وعبره. وكل واحد من هذه

التيارات يعبر عن البيئة والناحية النفسية لفئات اجتماعية متباينة تناحرت فيما بينها خلال مرحلة الفصل الطبقي ولاسيما بعد نجاح الثورة البلشفية.

كل هذا يجعل من الصعب الإجابة عن السؤال "ما هو الإيماجينيزم في الأدب؟" ومع ذلك سأحاول عرض تيار الحركة التصويرية، وأبدأ بالتيار (المدني) الذي يمثله أناطولي مارينغوف وشيرشينيفيتش.

يتميز شعرهما بكونه نتاج المثقفين الحضريين الذين يتسبون إلى الطبقة العليا، والذين فقدوا تواصلهم مع الأرض. وقد وجدا ملاذهما الأخير وعلاقتها الاجتماعية في الوسط الراقي فناً وأدباً. ولهذا نلمس في أعمال هؤلاء الشعراء صورة للفراغ والانحدار. الدعوات المعلنة لمارينغوف وشيرشينيفيتش إلى الفرح واللهو، وتبدو بائسة ويائسة. وغالباً ما تكون موضوعات أشعارهم محض تجارب شخصية تعج بالتشاؤم، الذي كان سببه الرئيسي، رفض هؤلاء الشعراء لثورة أكتوبر الاشتراكية.

أما "إيماجينيزم" يسينين فهو مختلف تماماً، فلقد كان ممثلاً لفلاحي قرية مترفة، انخرطت في صفوف الثورة ووافقت على

مبادئها. والحقيقة أننا يمكن أن نرى، في أعماله، مواقف سلبية تجاه العالم الذي يعيش فيه. ولكن دواعي ذلك الأمر مختلفة عن زملائه المدنيين.

يأتي "إيهاجينيزم" يسنين من حياة متجانسة مع الطبيعة والأرض وتعاقب الفصول، وتميز مادي. وقد نشأ على تلك الأسس التي يؤاخي فيها الإنسان كل ما يحيط به من حيوان ونبات ومن جهة ثانية، ينقل المعالم والصفات البشرية إلى الجماد والحيوان والنباتات وقوى الطبيعة والمخلوقات الخارقة أي باختصار كل ما يرتبط بالطبيعة والنفسية البدائية للفلاحين.

ومن مظاهر الاختلاف ذلك الجدل بين الطرفين الذي تجلّى في عمل شيرشينيفيتش "صحائف إيهاجينيست" ويتقد فيها عمل يسنين "مفاتيح ماريا"، و عبر فيها عن أفكاره النظرية كما انتقد بالإضافة إلى ذلك شعر زملائه في الحركة.

ونستعرض هنا باختصار رأي شيرشينيفيتش الذي يرى أن جمع النماذج أو الأشكال الفردية في القصيدة هو عمل ميكانيكي وليس عضويًا حيويًا كما يعتقد الطرف الثاني الذي يمثله يسنين.

القصيصة برأى شيرشينيفيتش هي حشد من الصور، وليست كائنا حياً. يمكن سحب صورة منها، أو يمكن إدراج عشر إليها دون ضرر.

مارينغوف صاحب عمل (جزيرة بويان) بدوره انتقد يسينين، واعتبر أن الفن الشعبي المعاصر سيكون لا شك سوداويًا كئيباً وساقطاً هو من "الصف الثاني"، أو "شبيه الفن" أو مرحلة انتقالية"، لا تلعب أي دور في حياة وعلى أية حال، فهي ضرورية للجماهير. لكنها في حياة الفن نفسه.

وقد رد يسينين في مقاله "الحياة والفن"، رأى فيها أن زملاءه لا يعترفون بالتوفيق والترتيب في عملية مزج الصور والكلمات. وهنا برأى هم في خطئهم يعمهون.

وقد حدث انشقاق في الحركة أعلنه يسينين للملأ عام ١٩٢٤، وذلك على صفحات صحيفة "البرافدا" (الحقيقة - المؤلف). وأكد فيه حل الحركة الإيماجينية.

وعن دور الحركة في تطور الأدب الروسي لا يزال هناك جدل في الأوساط الأدبية حول وضع الإيماجينيزم في صف

الاتجاهات الشعرية المعروفة والمشهود بها مثل الرومنسية والرمزية والمستقبلية والسهمية.

وربما يكون من الأصح، اعتبار هذه الظاهرة واحدة بين العديد من التيارات التي كانت موجودة في الأدب في العقدين الأولين من القرن العشرين. ومع ذلك، فإن إنتاجهم الأدبي الكبير قد أسهم في إغناء ثقافة القافية، فضلاً عن أن تحقيق وحدة التكوين الشعري من وجهة نظر غنائية وعمليات بحث أخرى في مجال الشعر، أصبحت مقبولة ومطلوبة في عشرينيات القرن الماضي. فكانوا منارة أدبية لعدد من الشعراء الذين ظهرت أعمالهم في النصف الثاني من القرن العشرين، والذين بدورهم طوروا تقاليد الحداثة.

وقد رأيت أن أترجم وأقدم بعض أعمال أشهر رواد الحركة الإيماجينية وواحد من أعظم شعراء الأرض الروسية - سيرغي يسنين.

الهيئة العامة
السورية للكتاب



سيرغي يسينين

١٨٩٥ - ١٩٢٥

يسينين حياته وأعماله: ولد في ٣ أكتوبر عام ١٨٩٥ في قرية
كونستانتينوفا في محافظة ريزان (الإمبراطورية الروسية) وتوفي
في ٢٨ ديسمبر ١٩٢٥ (٣٠ سنة) في مدينة لينينغراد.

في عام ١٩١٢ انتقل يسينين مع والده إلى موسكو حيث
عمل في إحدى الدوائر الحكومية، وفي عام ١٩١٤ نشر يسينين
قصيدته الأولى "بيروزا"، وتعني شجرة البتولا، في مجلة
موسكو للأطفال "ميروك". انضم إلى الحلقة الأدبية والموسيقية
التي سميت باسم الشاعر الريفي سوريكوف. وضمت كتاباً
وشعراءً مبتدئين من العمال والفلاحين.

في عام ١٩١٥، غادر سيرغي يسينين إلى بتروغراد (الآن سان بطرسبرغ) والتقى هناك مع كبار الشعراء في روسيا مثل ألكساندر بلوك، وغوروديتسكي، وكلويف. وفي عام ١٩١٦، نشر يسينين أول مجموعة من قصائده (رادونيتسا).

كان أحد مؤسسي (إيماجينيزم)، وهي حركة شعرية روسية نشأت عام ١٩١٩ (من أهم روادها شيرشينيفيتش (أول من أدخل المصطلح الانكليزي إلى روسيا)، ودعت إلى بناء الشعر على سلسلة من الصور الآسرة، والواقع التصوري، وكانت هي أولى الحركات الشعرية التي ظهرت بعيد الثورة البلشفية، ونافست الحركة المستقبلية (فوتوريزم) التي كان يتصدر أتباعها فلاديمير ماياكوفسكي على زعامة الفن السوفيياتي الحديث ولكنها لم توفق في تكييف نفسها مع مطالب الحياة السوفياتية الحديثة، كما نجحت المستقبلية، فغلبت عليها الصفة البوهيمية، وتلاشت تدريجياً مع موت يسينين.

لمع نجم يسينين في مطلع القرن العشرين بصورة خاصة بين قامات شعرية مشهود لها في سماء الأدب الروسي أشهرها فلاديمير ماياكوفسكي، وألكساندر بلوك، وأنا اخماتوفا، ومارينا

تسفيتايفا. وتميز يسينين من جميع هؤلاء الشعراء الكبار ببساطته، فهو ابن العائلة الفقيرة والقروية، وهو ابن الطبيعة الروسية الفريدة التي لازمته أبداً سواء في المدن العظيمة بأجوائها الغنية وترفها ومباهجها أو في أسفاره خارج روسيا في حين انحدر جميع الشعراء الذين عاصروه تقريباً من عائلات تتمتع بمراكز اجتماعية مهمة أو من أوساط أدبية معروفة وعاشوا حياة العاصمة التي تختلف كلياً عن حياة الريف الكادح.

وقد كان للطبيعة الروسية الغنية البديعة دورٌ أساسيٌّ في إغناء خيال يسينين، وإطلاق موهبته الشعرية لتحلق بعيداً بأجنحة البساطة والعبقرية ليس في سماء روسيا فقط، وإنما في فضاء الأدب العالمي، فقد ترجمت أعماله إلى العشرات من اللغات، وصدرت دواوينه في جميع القارات.

كان ولا يزال لتراث يسينين تأثير عظيم في الشعر الروسي. بادئ ذي بدء، تجلّى في تحول الشعراء والقراء إلى القصيدة الكلاسيكية التقليدية، التي، كما تعلمون بالفعل، في العشرينيات من القرن الماضي، عدّها الكثيرون عفا عليها الزمن.

حتى إن يسينين كتب في إحدى قصائده يصف تلك الحالة:

نظموا القصيد منذ عقود

بين يامبو وأوكتافا -

الشكل الكلاسيكي مات.

لكن الآن، في عصرنا المهيب

ها أنا أبعثه من جديد.

كان عمل الشاعر شاهداً على حيوية القصيدة الكلاسيكية. تبعه ميخائيل إيزاكوفسكي وألكسندر بروكوفيف وألكسندر تفارذوفسكي وشعراء روس آخرون أكدوا ذلك.

تجدر الإشارة إلى أن كثيراً من كتاب الأجيال اللاحقة، مثل يسينين، استخدموا في أعمالهم الصور الفولكلورية والرمزية، وإيقاع الأغاني الشعبية. على سبيل المثال، في قصائد الشعراء نيكولاي ريلينكوف ونيكولاي روتسوف، يصدح بجلاء الحب اليسيني للقرية والتقاليد والعادات الوطنية. كما كان ليسينين تأثير كبير في تطوير الأغاني الرومانسية التي لا تزال تحظى بشعبية كبيرة بين الناس حتى يومنا الراهن.

يتميز شعر يسينين بعدوبته ورقته ودفئه الروحي وصدقته،
إنه حب عاطفي لتلك المروج المترامية على امتداد الوطن
الشاسع الذي لا حدود له. إنه "الحزن الذي لا ينضب" الذي
يتسلل إلى قلوب الناس كقيثارة أورفيوس.

ورغم أن يسينين عاش حياة قصيرة إلا أنه بحق، أغنى الشعر
الروسي والعالمي. وتخليداً لذكراه تشهد قرية كونستانتينوفو مسقط
رأسه، في أوائل شهر تشرين الأول من كل عام مَهْرَجَاناً للشعر
يشارك فيه الجيل الشاب وكذلك مشاهير الأدباء الروس وأدباء من
دول عديدة.

وقد استحدثت في روسيا جائزة أدبية تحمل اسم الشاعر
سيرغي يسينين.

* * *
وأحببت أن أورد هنا آراء عظماء الأدب الروسي في الشاعر
وأعماله:
الكاتب الشهير مكسيم غوركي:

لقد فقدنا "يسينين" ذلك الشاعر الرائع، الناضج، بحق!
فقدناه بطريقة مأساوية! غادرنا من تلقاء نفسه، كتب بدمه
رسالة الوداع لصديق لم يسمّه، وربما كان يعيننا جميعاً.
فيض من الحنان والنعمومة، سطوره الأخيرة تلك! لقد رحل
دون استياء صاحب، ومن غير احتجاج. لم يصفق الباب خلفه
غضباً، بل أغلقه برفق بيده التي كانت تنزف دماً. في هذا المكان،
تومض الصورة الشعرية والإنسانية ليسينين بضوء وداع خالد.

* * *

الشاعر الكبير ألكساندر بلوك: (٩ آذار ١٩١٥)

في فترة الظهيرة استقبلت فتى من ريزان جاء بأشعاره.
فلاح من محافظة ريزان، ١٩ سنة. قصائد جديدة، نظيفة،
صاخبة، مطوّلة. لغة بليغة.

ويكتب بلوك بعدها رسالة حملها يسينين الشاب إلى كاتب
شهير:

أبعث لك شاعراً من الفلاحين الموهوبين. إنه بحق ماسة
تكونت بذاتها، ولأنك كاتب ريفي المنشأ، ستكون أقرب إليه،
وسوف تفهمه بشكل أفضل من أي شخص آخر.

الشاعر غوروديتسكي أرسله إلى صديقه ميروليوبوف
(رئيس تحرير مجلة شهرية):

"عزيزي فيكتور سيرغيفيتش. رفقاَ بهذه الموهبة الفتية –
سيرغي يسنين. في جيبه روبل واحد، لكن في روحه ثروة
طائلة...."

* * *



الهيئة العامة
السورية للكتاب

القلب الأحمق

كفاك خفقاناً أيها القلب الأحمق
فكلنا مخدوعون بالسعادة
الفقير المعدم يستجدي الصدقات وحده ...
كفاك خفقاناً يا قلبي الأحمق

* * *

مفاتيح الهلال كشلال من الذهب

تنسكب على أغصان شجيرات الكستناء
وحين أنحني لحبيبتني (لالا)
سأختبئ تحت خمارها

كفاك خفقاناً أيها القلب الأحمق

* * *

نحن جميعاً كالأطفال
تارةً نضحك وتارةً نبكي

وقدرنا أن تتناوب في حياتنا
الأفراح والأتراح،
النجاح والفشل
فكفأك خفقاناً يا قلبي الأحمق
* * *
لقد زرت بلاداً عدة
بحثاً عن السعادة

أما اليوم وبعد كل ما حصل

لن أجهد النفس بالبحث عن الحظ المشتهى....

فدعك من الأوهام

وكفأك خفقاناً أيها القلب الأحمق

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

القمر بذهبه البارد

ذهب القمر البارد
وروائح الدفلى والمنثور
كم هو رائع التنزه في رحاب البلد الأزرق الوديعة
* * *

هناك وراء تخوم التخوم

تقع بغداد

حيث عاشت وغنت شهرزاد ...

أما اليوم فهي لا تطلب شيئاً

لقد اندثرت إلى الأبد رياضها الغناء

* * *

أشباح العصور الغابرة ...

نمت فوقها أعشاب المقابر

أيا عابر السبيل، ترفق بالأموات ...

لا تسند هامتك إلى شواهد الأضرحة

جل بطرفك فيما حولك

تر الشفاه مشدودة لتقبيل الورود

اصفح، ولو في قلبك عن عدوك

وستغمرك البركة دون شك

عش كما يجب

واعشق إن كنت تبغي الحب ...

وفي ضوء القمر الذهبي ...

قبل الحبيب وامرح

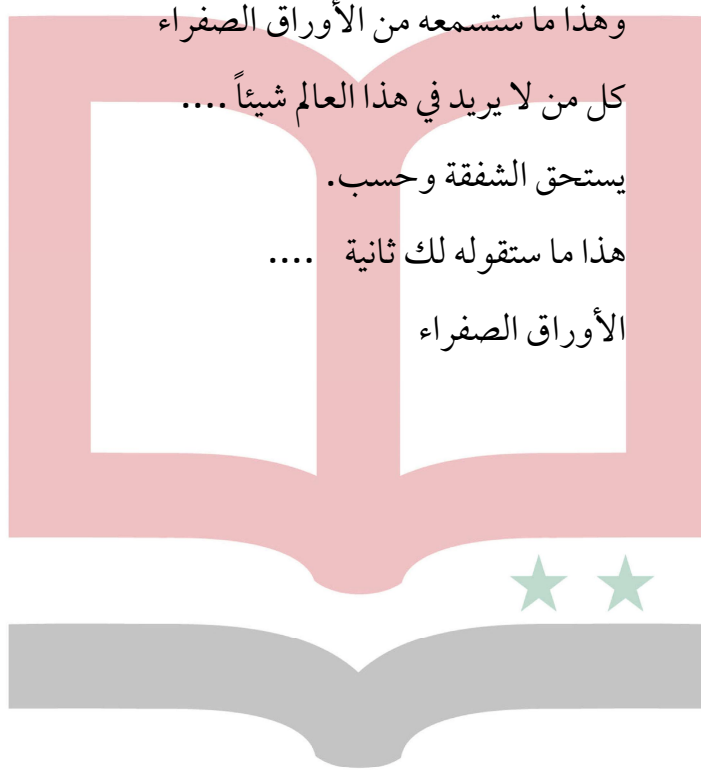
أما إذا كنت ترغب بتقديس الأموات ...

فدع الأحياء يعيشون بسلام.

هكذا غنت شهرزاد

هذا ما ستقوله لك

الأوراق الصفراء



وهذا ما ستسمعه من الأوراق الصفراء

كل من لا يريد في هذا العالم شيئاً....

يستحق الشفقة وحسب.

هذا ما ستقوله لك ثانية....

الأوراق الصفراء

الهيئة العامة
السورية للكتاب

الهواء الأزرق الشفاف

اخرج إلى أحواض الزهور
أيها المسافر إلى اللازوردية الراحلة
إنك لن تبلغ الصحراء مهما سعيت
* * *

تعبر الحقول كأنك تعبر حديقة....

تعبر الحديقة التي تعج بالأزهار البرية

ولن تصبر طويلاً حتى تراك أسير الشقائق

ستعبر الحقول التي يخيل إليك أنها حدائق ليس إلا...

ماذا أسمع؟ أهمس هو...

أم حفيف الأغصان....

أم صوت أوراق الشجر؟؟

لعمرك، رقة تماثل أغاني شاعر الفرس (سعادي)



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الوطن الأزرق

يا وطن (فردوسي) الأزرق
لا يمكنك أن تنسى ذلك الروسي الوديع
وعينه البريئتين الحالمتين
يا وطن (فردوسي) الأزرق

* * *

كم أنت رائعة يا بلاد فارس

أعرف ذلك

فالورود هنا كالقناديل تشتعل حمرة

تذكرني طراوتها الندية

ببلادي البعيدة

رائعة أنت يا بلاد فارس

اليوم اكتشفت لآخر مرة

عطورا تسكر كالخمرة

وفي لحظة الوداع الصعبة

تتأهق إلى سمعي لآخر مرة

صوتك يا شاهاني الحبيبة

* * *

وهل يعقل أن أنساك

في قدري الدائم الترحال

لسوف أحكي لكل قريب وبعيد عنك

ولن أنساك الدهر كله

لست أخشى عليك من نوائب الأيام

ولكن تحسباً لأي طارئ

سأترك لك أغنية عن روسيا

حين ترددتها فكري فيّ

سترينني قربك في صدى الكلمات

* * *

إيه يا روسيا، يا وطني

أكواحك في أطرها الأيقونية المترامية بلا حدود
وزرقة سمائك التي تخطف البصر
أجول بطرفي في فضاء حقولك
مثل عابد زاهد
وداخل الأسيجة المنخفضة

تذبل أشجار الحور ويتعالى حفيفها

وتفوح رائحة التفاح والعسل

في أرجاء معابدك في عيد الخلاص

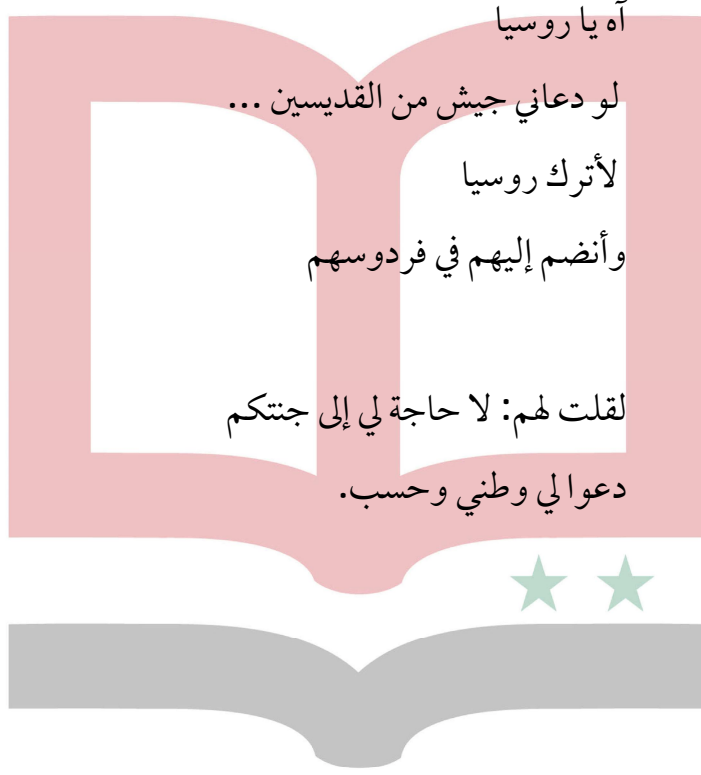
وتضج بفرح الرقص المروج

سأركض فوق حشائش الطريق المدعوكة

في رحاب سهولك الخضراء

وتستقبلني ضحكات الصبايا

التي تماثل وقع الأجراس



آه يا روسيا

لو دعاني جيش من القديسين ...

لأترك روسيا

وأنضم إليهم في فردوسهم

لقلت لهم: لا حاجة لي إلى جنتكم

دعوا لي وطني وحسب.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

(* * * * *)

تقولين لي: إِنَّ شاعر فارس " سعادي "
كان يقبل النهد، وحسب
أمهليني قليلاً.... وسأتعلم هذا
ذات يوم ...
غيت ذات مرة عن ورود....

هناك وراء الفرات

أجمل من فتيات الأرض

آه.... لو كنت غنياً، لاختلف الأمر

ولكنت اقتلعت تلك الورد جميعها...

فسعادتي الوحيدة

ألا يكون هناك في الكون ما هو أجمل من حبيتي شاهاني

ولا تتعيني بنصائحك

فلست أبالي لنصح



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

روسيا

« ١ »

غرقت القرية..... بنوم عميق
والأكواخ التي تنتصب على أطراف الغابة
تحجب جمالها الأخاذ
وأينما وجهت طرفك

تطالعك زرقة السماء البديعة

وفي ضواحي القرية ومن الحقول العجاف

يتناهى إلى المسامع

في الأسفار الشتوية المديدة

عواء الذئاب الرهيب

وفي حواكير القرية تسمع همهمة الخيل

وكما عيون البوم خلف الأغصان

تحقق بك بوارق العواصف الثلجية

وتنتصب الجذامير خلف أغصان السنديان
كوحوش الغابات تنشر الرعب
وتراك تلقى السحرة في كل مكان
وفي الصقيع الغاضب
في الأسفار السديمية
تتدلى الأغصان في شجر الصفصاف كالجدائل.

« ٢ »

غير أني أحبك يا وطني الوديع

لماذا أحبك؟ لست أدري

سعادتك وأغانيك الصاخبة في المروج

تراها قصيرة في الربيع

* * *

كم أود سماع طنين البعوض في الأماسي

وأنا أجوب مروجك الحصيد

وهرج الصَّبيّة

ورقص العذارى حول النار

تبرق عيونهن كالكشمش الأسود

آه يا روسيا، يا روسيتي

أيها الوطن الطيب

هي استراحة عذبة في غاباتك

« ٣ »

والغربان السود التي تنعق طليقة

في فضائك الرحب

منذراً بالمصائب

ويسوسح الإعصار الغابة من جميع الأطراف

ملوحاً بكفن من زبد البحيرات المجاورة

ويهدر الرعد

وتتكسر كأس الآلهة

وتغلف الغيوم الممزقة الغابة

وعلى أرجوحة من الذهب الرخيص

تمايلت قناديل السماء

* * *

في هذا الوقت

يمر دركي مسكين على البيوت

لتبليغ أبناء القرية القادرين على الالتحاق بالجهة ...

يعقبه نواح نسوة يشق الصمت ...

ها هم الفلاحون المسالمون ...

قد تجمعوا في الساحة

من غير أسى أو شكوى أو دموع

وضعوا زادهم ومتاعهم في العربة الجاهزة للمسير

وقد اجتمع أهالي القرية

لوداعهم بهيبة

* * *

آه يا روسيا... انظري

ها هم أبناءك الشجعان الطيبون

الذين تعولن عليهم في ساعة العسرة

* * *

« ٤ »

احتفظ الحراثون بذكراهم

وخطوا بشق الأنفس رسالة لكل منهم



وصلت الرسائل لأقاربهم بينما كانوا يجلسون

تحت صفصافة بيضاء

تجمعوا حول القارئة "لوشا"

أملين سماع الحكايا المفضل لديهم

وبكوا وهم جاثين وهم يستمعون إلى مآثر أبطالهم.

* * *

آه أيتها الحقول البديعة
يا خطوط المحراث الجميلة
كم أنت جميلة حتى في أحزانك
كم أهوى جدران تلك الأكواخ العتيقة
وانتظار الأمهات اللواتي شببن من هول الانتظار
والاتكاء على عاتق البتولا

تحية لكم أيها المنجل والمحراث

كم أحاذر نظرات العرائس
حيث أقرأ مصائر عرسانهن في الحرب

لقد استسلمت بمحض إرادتي
لأفكاري البائسة....

آه لو كان بمقدوري التحول إلى أعشاب
كتلك المنتصبه قرب الماء...

يجب أن أكون واثقاً من مستقبلي ...

في علاقاتي مع النساء ...

بينما تبدأ شموع النجوم بالانقراض

شيئاً فشيئاً هذا المساء....

لقد أدركت كُنْهَ أفكارهنّ التي لا تحصى ...

وأعرف تماماً، أن لا شيء يرهبن ...

لا الرعد ولا الظلمة ...

وأنهن على وقع الأغاني الحماسية

لن يخطر ببالهن لا الموت ولا السجن.

لقد آمنوا بهذه الخربشات

التي أنجزت بصعوبة بالغة

وبكوا فرحاً وسعادة

كما يفعلون عندما تمطر السماء

بعد سنين عجاف

يشغل أفكارهم فراق الأرحام
وهم يفترشون الحشائش الطرية
التي يعلوها قلائد الندى

خيل لهم في البعيد
خلف الضباب في المروج
موسم حصاد بهيج



آه يا روسيا... يا وطني الوديع
لأجلك أحتفظ بحبي،

غير أن سعادتك المرححة التي أسمع أغنيتها الصاخبة
قصيرة....

الهيئة العامة
السورية للكتاب

شاهاني يا حبيبتى شاهاني

ألأنني من الشمال فحسب، لا ترغيبين بي...
بودي أن أحكي لي الكثير الكثير
عن مروج القمح المتموجة
في ضوء القمر
تتابك الشكوك في حبي... لأنني من الشمال

ليس إلا....

وتباهين بأن القمر عندكم

أكبر بمئة مرة منه

في روسيا

أقسم لك يا حبيبتى

مهها بلغ (شيراز) من الجمال

لن يفوق رحاب (ريزان) جمالا

ألأنني من الشمال.... فحسب

* * *

يمكنني الحديث بلا نهاية.....

فخصلات شعري

استقت لونها من ذهب السنابل ...

وإن شئت لفي تلك الخصلات

على أصابعك

ولا تبالي فإن ذلك لا يؤلمني

.....

بودي لو أحكي لك بلا نهاية

عن السنابل الراقصة في ضوء القمر

انظري إلى شعري المفتول ...

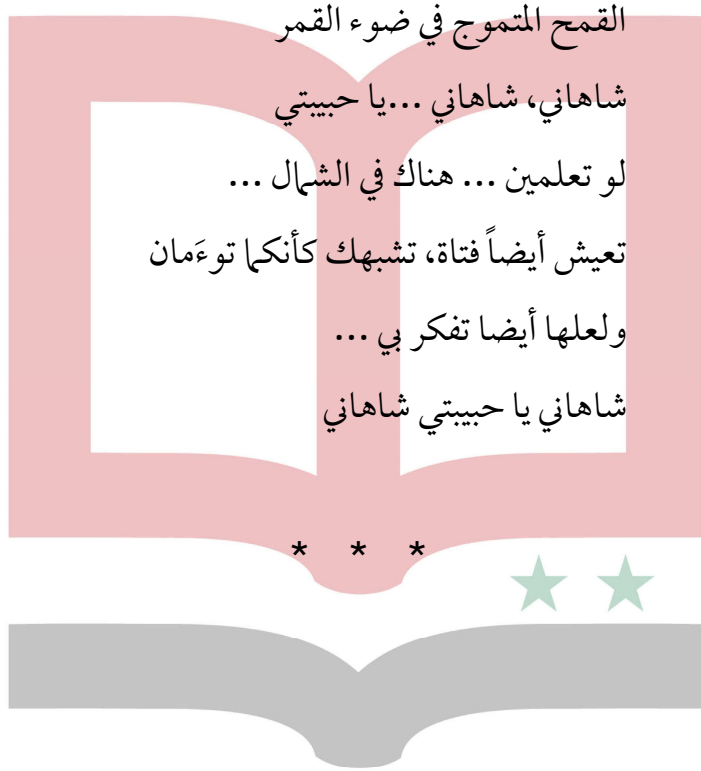
فهو يحكي قصتي

اهزئي مني

داعيني ...

ابتسمي

لكن أتوسل إليك ... لا توقظي في ذكريات ...



الهيئة العامة السورية للكتاب

على البوسفور

لم أر في حياتي البوسفور
ولهذا، لا تسأليني عنه
حسبي أنني رأيت البحر في عينيك
يكتنفه هب أزرق

* * *

لم أرافق القوافل في أسفارها
إلى بغداد

لم أتاجر هناك بالحرير والحناء

أتوسل إليك أن تنحني بقوامك الجميل
ودعيني أرتاح على ركبتيك

أم إنك تتجاهلين سؤلي
ولا يعينك عذابي

رغم أنني في بلدي البعيد- روسيا...
يعرفني القاصي والداني كشاعر عتيد
يتردد في جوارحي... نداء تاليانكا
ويتناهى إلى مسمعي... نباح الكلاب
في ضوء القمر....
أصدقيني القول أيتها الفارسية الحسنة
ألا تعتملك الرغبة في رؤية بلدك البعيد الأزرق؟؟

☆ ☆
صدقيني، لم آتِ إلى هنا من السأم
بل لأنك أنت من طلب ذلك
وأحطتني بذراعيك مثل جناحي بجعة.....

منذ الأزل وأنا أبحث عن السكينة
ورغم أنني لا أشكو حظي

في الحياة الغابرة
حدثيني عن بلدك المملوء بالفرح

أتوسل إليك، افعلي شيئاً
لتخفيف ألم الحنين إلى... تاليانكا
اسقني عبق حسنك العذري
كَيْلاً أتهد ولا أفكر ولا أحن إلى....
فتاة الشمال البعيدة
ورغم أني لم أكن يوماً على البوسفور
سأجرب أن أقول لك شيئاً من خيالي عنه:

عينك يا حبيبي كالبحر...

تتقدان بلهب أزرق.

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

خراسان

هناك في خراسان
أبواب فرشت عتباتها بالورود
هناك تعيش بيري الحاملة...
في خراسان أبواب وأبواب
غير أني عجزت عن فتحها

رغم أن يديّ قوية بما فيه الكفاية

وشعري مزيج من النحاس والذهب

وصوت بيري لطيف وجميل

ورغم أن يديّ قوية بما فيه الكفاية

فإنني عجزت عن فتح تلك الأبواب

ما نفع الشجاعة في الحب وما نفع الأغاني

إذا لم تعد حبيبتني شاهاني غيورة

طالما أنني عجزت عن فتح الأبواب.

فليس هناك لشجاعتي من فائدة....

حان الوقت للعودة إلى روسيا

فهل هي عودة إلى وطني

أم فراقك يا بلاد فارس.... مرة وإلى الأبد

ليس لشيء سوى.....

حبي لمسقط رأسي

فوداعاً يا بيري...وداعاً

ورغم أنني لم أفتح تلك الأبواب

فأنت يا بيري منحنتي معاناة جميلة

ستجعلني أغني لك.... في وطني

إلى اللقاء يا بيري...إلى اللقاء.

* * *

كوخ ريفي

الهموم والأحزان
والعاصفة الثلجية
التي تبكي جل وقتها
أمام بوابتك
أسمع خلف جدرانك
الشكوى من الفاقة

يعقبها صوت أخرس

لأغنية خرساء

الجميع هنا يغنون للحزن

ويشكون الظلم الذي قصم ظهرهم

يغنون العوز و سنة المجاعة

ليس هناك مكان لأغاني الفرح

بين جدرانك

فقد أصمها الحزن

مرة وإلى الأبد

يدا حبيبتي زوج من البجع

لعمرك، كأن يدي حبيتي بجعتان
تغوصان في شعري الذهبي
في هذه اللحظات،
ينخيل إلي أن جميع الناس في هذا الكون
يرددون أنشودة الحب



غنيت ذات مرة في الغربة
وها أنا أعيد الكرة
ولهذا تتنفس بعمق

الكلمة المشبعة باللطف
إذا تعبت الروح بالحب
يتحول القلب إلى صخرة من الذهب
لعمرك، وحده قمر طهران

لا يحترق بنار الأغنية ...

لست أدري، كيف سأتابع العيش
أوأظب على الاحتراق برقة الحبيبة شاهاني
أم أقضي شيخوختي بين ذكريات تمجد البطولة
يا أصدقائي، احكوا لجميع الناس قصتي
واحكوا عن أغان أنشدتها

قولوا: ★★

كان يمكن أن تكون أغانيه أرق وأعذب
ولكنه سقط صريعَ يدينٍ بديعتين
أشبه بزواج من البجع

الهيئة العامة
السورية للكتاب

هدأ جرحي القديم

لقد هدأ جرحي القديم
ولم يعد هذيان السكر
يعذب قلبي
وها أنا أعالج هذا وذاك في المقهى
بأزهار طهران الزرقاء

وها هو الساقى بمنكبيه العريضين

وبمشيته العتيدة

لكي يخلد المقهى في ذاكرة الروسي
راح يقدم لي الشاي الأحمر
بدلاً عن النبيذ والفودكا
تابع كرم ضيافتك يا صاحب المقهى
ولكن مهلاً ... فأنا أعرف
أن بستانك مملوء بالزهور

فليس من قبيل المصادفة
أن تلك العيون الحوراء
غمزتني من وراء الخمار الأسود
الذي أزاحته قليلاً، يد الفتون
نحن في روسيا
لأنجس الفتيات اللاتي في عمر الزهور في البيوت،
ولا نكبلهن بالأغلال مثل الكلاب
نتعلم فن التقييل من غير أجر ...
دون اللجوء إلى الخنجر والمكائد والشجار.
أما هذه الهيفاء، كرمى لهزة قوامها
الذي يعلوه وجه أشبه بالفجر
فإنني أرى فيها ... شالاً من خراسان
وسجادة من شيراز ...
فاسكب - رعاك الرب يا صاحب المقهى
شايك الثقيل ...

وأعدك أن أكون صريحاً حتى النهاية ...

ولكن أتوسل إليك،
ألا تواظب على مراقبة بوابة الحقيقة،
تلك التي قد تطل منها فتاتي،
التي ليس من قبيل المصادفة
غمزني بتلك العيون الحوراء

يخفيها الخمار الأسود...
★ ★

* * *

الهيئة العامة
السورية للكتاب

ما الذي يجعل القمر شاحبا

ما الذي يجعل القمر شاحبا
فوق حدائق وجدران خراسان؟
يخيل إلي أنني أجوب سهولا روسية
يعكر سكونها حفيف الضباب.
سألت أشجار السرو ليلاً عن حبيبي

غير أن جموع السرو لم تنبس بكلمة

واستمرت تحرق في السماء

شاحخة برؤوسها.

لماذا يبدو القمر حزينا؟

سألت الورود المنتصبة في الحديقة الصامتة

فقال لي الورود:

انظر إلى الوردة المكتئبة وستدرك سر القمر

من كآبتها المماثلة لحفيف الأوراق
أنظر إليها إنها تبكي عبر تويجاتها....
التي همست لي سرّاً:
أيها المغفل -
إن حبيبتك شاهاني قد داعبت فتى غيرك
بل قبلته كذلك !!
زد على ذلك أنها قالت لذلك الفتى

إن العاشق الروسي لن يعرف بالأمر

لأنه نذر قلبه

وجسده

وحياته

للأغنية

لهذا السبب يضيء القمر بشكل خافت

لهذا السبب يالللشفقة بدت شاحبة

لقد كان هناك الكثير من الخيانة
دموع و كرب من كان ينتظرهم ومن لا يرغب بهم

.....
لكن جميعها مباركة إلى الأبد
الليالي الليلية على الأرض

* * *



الهيئة العامة
السورية للكتاب

مهداة إلى الطفلة روزا تشاغينا

(ابنة الصحفي ورئيس تحرير جريدة "العامل الباكوي")
ما سر هذه البلاد التي بعث فيها شرفي لقاء... أغنية
وأنت أيتها الريح القادمة من البحر
هبي بلطف.... واهدري بصمت...
ألا ترين أن الصغيرة روزا تنادي العنليب

ألا تبصرين كيف تتمايل روزا

إنها أغنية تتردد في القلوب
فرفقاً أيتها الريح القادمة من البحر
ليكن عويلك وفحيحك هادئاً

فالصغيرة روزا ما تزال تناجي العنليب

أنت ما زلت طفلة يا روزا
ولكنني أنا أيضاً كما تعلمين... شاعر

فصمتاً أيها الريح الآتية من البحر
ألا ترين أن روزا الصغيرة تنادي العندليب؟

آه، عذرا يا غيليا، الغالية
قد يصادف المرء في طريقه وروداً جمّةً
والكثير منها تنحني وتتمايل
ولكنك أنت الوردة الوحيدة فقط

من يتسم قلبها

فدعينا نبسم أنت وأنا

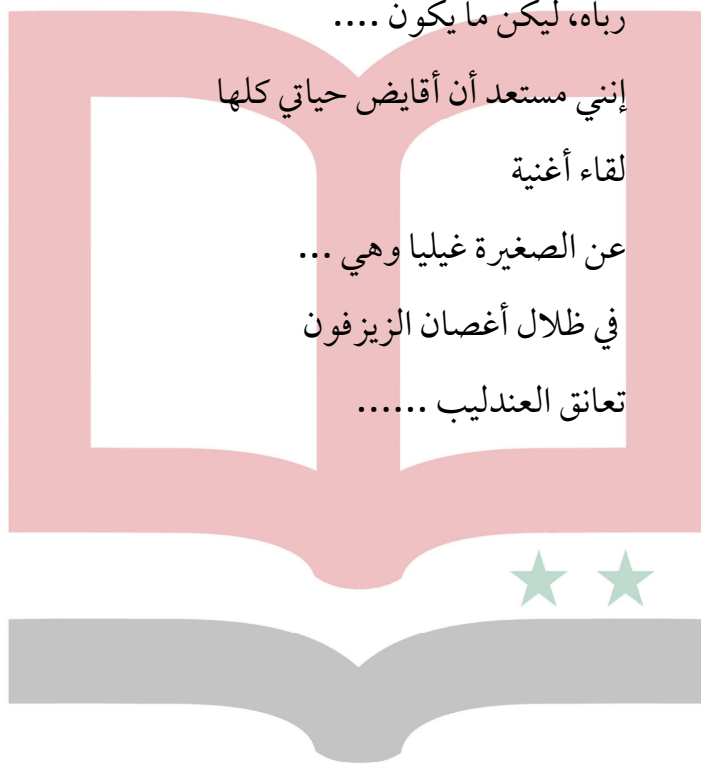
لأجل بلاد رائعة كهذه

وأما أنت أيتها الريح الآتية من البحر

فاقتربي من الشاطئ بصمت

لأن روزا ما تزال تهتف للعندليب

ما هذا البلد البهيج الأزرق؟



رباه، ليكن ما يكون....

إنني مستعد أن أقايض حياتي كلها

لقاء أغنية

عن الصغيرة غيليا وهي...

في ظلال أغصان الزيزفون

تعانق العندليب.....

الهيئة العامة
السورية للكتاب

الأكمة (Акмеизм)

هي حركة فلسفية وشعرية في أدب العصر الفضي تشكلت في روسيا في بداية القرن العشرين؛ وتمثل النموذج الفلسفي والجمالي الأصيل لفهم العالم، مجسد في فضاء فني. وتعني الذروة، القمة، (акме) تعود التسمية إلى الأصل الإغريقي. وأطلقت على إحدى التيارات الشعرية في العصر الفضي من الأدب الروسي لأن أتباعها كانوا يعتبرون أعمالهم الأدبية ذروة الحقيقة الفنية، وقد نشأت في مطلع القرن العشرين كرد على تطرف الحركة الرمزية.

كان هذا التيار غنياً بشعرائه الموهوبين من أنا أمخاتوفا وأوسيب مندلشتام اللذين تركا لنا " الكلمات الخالدة " إلى نيكولايف غوميلوف الذي جسد في أشعاره ألمع شخصية في تلك الحقبة القاسية والدموية من الثورات والحروب والجدير بالذكر، أن الحركة، حتى يومنا الحاضر لا تزال موضع اهتمام القراء والأوساط الأدبية، ولا شك أن الفضل في ديمومة التقدير لذلك الاتجاه يرجع لتلك الكوكبة من الشعراء العظام الذين كان تأثيرهم عظيماً في مصير الشعر الروسي في القرن العشرين.

ومن الأسماء التي جمعها هذا التيار أورد هنا - غوروديتسكي وزينكفيتش وناربوت، وإذا عرفنا في أخماتوفا وغوميليوف ومندلشتام دعاء الجمالية والمثالية فإن المجموعة الأخيرة تميزت بما أسموه (الآدمية)، فكانت تمثل الجناح الأقرب للواقعية في حركة الأكمية (فهي تتبنى النظرة الجريئة والصلبة والواضحة للحياة).

الميزات الأساسية لحركة " الذروة "

- الإدراك الحسي للواقع.
- إظهار العالم بكل جماله وتنوعه وموسيقاه.
- "بالنسبة لأتباع الذروة، الوردة أصبحت مرة أخرى بديعة في حد ذاتها، ببتلاتها ورائحتها ولونها، وليس بأشباهاها من الكائنات التي يمكن تخيلها بحب غامض وغريب أو أي شيء آخر"، كما كتب غوروديتسكي.
- مهمة الأدب هي إظهار "وجه الحياة الجميل"، وليس قفاهها.
- العودة إلى صورة العالم المادي - "الطبيعة"، وماهية المحتوى، "القيمة؛ الذاتية لكل ظاهرة".

- لا ينبغي التخلي عن هذا العالم، بل من الضروري البحث عن بعض القيم فيه وإبرازها في أعمالهم، والقيام بذلك بمساعدة صور دقيقة ومفهومة، وليس رموزاً غامضة.
- وصف الإنسان، بكل مشاعره وعواطفه، وتمجيد منشئه الطبيعي شعرياً.
- الأكميون سموا تيارهم بالآدمية تيماً بآدم الأب الأول للبشر، رابطين التواصل مع آدم الكتاب المقدس برويتهم الواضحة والمباشرة للعالم.
- الغرض من الفن هو زرع الجمال والفضيلة في الروح البشرية.
- المحتوى المحدد للكلمة، وليس الرمزي، وضوح الصورة، وصقل التفاصيل.
- حث غوميلوف على عدم البحث عن "كلمات غير متزنة"، بل عن تلك "ذات المحتوى الأكثر استقراراً".
- الشعر - هو كذلك حرفة ومن ثمّ يمكن لأي شخص أن يتعلمها.
- إتقان المهارة الشعرية.
- تلخيص أفضل ممارسات شعراء الأجيال السابقة.

كانت أعلى نقطة في التسلسل الهرمي للقيم بالنسبة إليها هي الثقافة الماثلة للذاكرة الإنسانية. لذلك، كثيراً ما يلجؤون في أعمالهم للمواضيع والشخصيات الأسطورية. وإذا كان الرمزيون قد ركزوا في أعمالهم على الموسيقى فإن أتباع الذروة قد اهتموا بالفنون الفراغية: الهندسة المعمارية والنحت والرسم. وعُبر عن الانجذاب للعالم ثلاثي الأبعاد بالانشغال بالمادة المجسمة واستخدامها بتفاصيلها الملونة والغريبة أحياناً لأغراض تصويرية بحتة. بمعنى أن "التغلب" على الرمزية لم يحدث في مجال الأفكار العامة بقدر ما حدث في مجال الأسلوب الشعري. وبهذا المعنى، فإن الذروة كانت مفاهيمية مثل الرمزية، وفي هذا الصدد لم تتعد عنها كثيراً.

المبادئ الأساسية للحركة الأدبية " الأكمية "

- مواجهة الضياع وهشاشة الأفكار الرمزية.
- الحاجة إلى تحول الفن نحو الواقع الاجتماعي، مؤكدين القيمة الجوهرية للظواهر المرتبطة بالعالمين الاجتماعي والطبيعي.
- خلافاً للرمزيين ومثلي الحركات الأدبية الأخرى في بداية القرن الماضي، يضع الأكميون الإبداع الإنساني في مركز الكون

كتعبير وحيد عن جوهر الوجود، كقيمة فريدة ومتميزة، وبتوفر
إمكانيات التحول الإبداعي للواقع. إن المفهوم الفلسفي
والأنثروبولوجي لدى الأكمية، في كثير من النواحي يعكس
المفهوم الفلسفي للكاتب الروسي العظيم ليف تولستوي، الذي
يعدُّ في أعماله، أن أي حالة للروح البشرية والجسم تكون دائماً
ملاى بمعنى ومضمون. ونرى أن الأبطال الغنائيين لدى
الأكميين يعيشون، تماماً مثل أبطال تولستوي، في وئام مع
الطبيعة، ومع الناس من حولهم، في وحدة وتواصل مستمر مع
كل ما يحيط بهم، ويدركون بوضوح الأهداف التي يسعون
إليها، ومكانهم في الحياة، ومعنى الحياة....

كان من ألمع أتباع هذا الاتجاه الأدبي نيكولاي غوميليوف،
وأوسيب مندلشتام، اللذان رأيا أنه من أهم المسائل التي يترتب
عليها حلها -إعادة تأهيل الحياة الحقيقية، والتي، في رأيها، قد
أهملها أسلافها المباشرون - رواد الرمزية....

كانت المهمة لدى أي معتنق لهذا المذهب هي إعادة تأهيل
الصيرورة الاجتماعية، وكذلك الرغبة في التعبير عن سلامة
ووحدة الإنسان العضوية مع البيئة الاجتماعية، وهي التي تحدد
اهتمام الأكميين بكل تفاصيل الحياة اليومية في أعمالهم الأدبية.

نتيجة لطبيعة الخيال والنظرة المتميزة إلى الوجود، تشكلت لدى الأكميين صورة جديدة للعالم الذي يسوده تكافؤ الوجود والحياة، حيث وجد تمثيله في عرض مجسم للواقع: صورة مفصلة للروائح والأصوات والألوان والأشكال الفراغية وهيكلية المواد. وهذا التفصيل، يصبح السمة المميزة للأكميين.



الهيئة العامة
السورية للكتاب



نيكولاي غوميليف

(١٨٨٦ - ١٩٢١)

نيكولاي غوميليف محارب شجاع، ورحالة جريء،
وكاتب ومترجم وشاعر. وليس مجرد شاعر، بل يعدُّ
واحدًا من أفضل شعراء العصر الفضي... قصائده هي
قصص كاملة. والقصص ليست من عصرنا العابر، وليست
من عالم لا يوجد فيه مكان للمعجزات، إذ لم يعد
الناس يعرفون كيف يحمون ويتعبون من السعي من أجل
المستحيل... أشعاره من عالم والترسكوت الواسع
والغامض من، ماين ريد، وجول فيرن حيث تعيش سيدات
ذوات جدائل طويلة وأبطال لا يعرفون الخوف، والخير دائماً
ينتصر على الشر.

ولد نيكولاي ستيبانوفيتش غوميليوف في الثالث من نيسان ١٨٨٦ في كرونشادات قرب سانت بطرسبورغ. نشأ وترعرع في أسرة نبيلة لطبيب عسكري اسمه ستيبان ياكوفليفيتش. بدأ نيكولاي كتابة الشعر في سن السادسة، مبدياً قدرات رائعة.

بعد أن انتقلت عائلة غوميليوف إلى تيفليس، التحق نيكولاي بإحدى مدارسها. وهناك في تيفليس نشر أول قصيدة في سيرته الذاتية بعنوان "هربت من المدن إلى الغابة".

في عام ١٩٠٣، عادت الأسرة إلى تسارسكوي سيلو (قرية القيصر)، إذ واصل غوميليوف دراسته في مدرستها الشهيرة. وهناك تعرف إلى آنا غورينكو (أخواتوفا) التي أصبحت زوجته.

كانت مجموعة قصائد "طريق الغزاة". هي أول كتاب صدر للشاعر وعلى الرغم من أنها لم تحقق النجاح المطلوب، إلا أن استقبال النقاد المجموعة استقبالاً إيجابياً. نشأت بعدها الصداقة بينه وبين "يريسوف". الشاعر الرمزي الشهير.

في عام ١٩٠٨، تم نشر المجموعة الثانية من أعمال ن
يكولاي غوميليف، بعنوان "أزهار رومانسية". وقد كانت أنا
أخمتوفا ملهمته في معظم الأعمال، و بدأت معها علاقة وثيقة
بينهما....

بعد أن قرأ يريوسوف قصائد غوميليف الجديدة، تنبأ له
بمستقبل عظيم ...

في العام نفسه ، قرر غوميليف العودة إلى وطنه. هناك يلتقي
الشعراء الروس، ويبدأ العمل كناقد في جريدة (ريتش)، وينشر
أعماله أيضاً. ★

في خريف عام ١٩٠٨، بدأ رحلة. تمكن خلالها من زيارة
تركيا واليونان ومصر. ولكن نقص المال اضطره للعودة إلى
روسيا....

تركت رحلته إلى "أرض الفراعنة" انطباعاً كبيراً، فقد أصبح
بعد ذلك أحد أكبر المستكشفين لأفريقيا، فقد قام بعدة بعثات
علمية إلى هذه القارة. وجلب مجموعة أثرية فريدة من نوعها
تعرض حتى يومنا هذا في أحد متاحف سانت بطرسبورغ....

في عام ١٩٠٩، التحق نيكولاي غوميليف بكلية الحقوق بجامعة سانت بطرسبرغ. جنباً إلى جنب مع أقرانه الذين يحملون فكراً مماثلاً، ويؤسس معهم مجلة " أبولو"، والتي يواصل فيها نشر الشعر...

في نهاية العام نفسه، يغادر الشاعر إلى الحبشة، حيث يقضي عدة أشهر، ويصف انطباعاته عن الرحلة في عمله " اللؤلؤة". نيكولاي جوميليف هو مؤسس مدرسة الذروة (الأكمية). هذه الحركة الأدبية تعارض الرمزية.

وقد أعلن ممثلو "الذروة" - تبني المادية ودقة الكلمة كأساس في حركتهم الجديدة وتجنبوا المفاهيم المجردة.

ونشر أول قصيدة بعد تأسيس مدرسته الأكمية " الابن الضال"، وراحت شعبيته تزداد يوماً بعد يوم، وبدأ يعتبر أحد أكثر الشعراء الموهوبين في روسيا.

في عام ١٩١٣، سافر غوميليف مرة أخرى إلى إفريقيا، حيث أمضى ستة أشهر. واضطر مع اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) للعودة إلى الوطن...

وكأي روسي غيور على وطنه، يتوجه نيكولاي غوميليوف إلى الخطوط الأمامية ومع ذلك، فإن الحرب لم تمنع الشاعر من الاستمرار في الكتابة.

في عام ١٩١٥، تم نشر "مذكرات الفرسان" ومجموعة "الجمعة".

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، عكف غوميليوف على ترجمة ملحمة جلجامش. وكذلك راح يترجم قصائد الشعراء الأوروبيين ...

المجموعة الأخيرة في سيرة غوميليوف هي "عمود النار". وقد اتفق الكثيرون على أن هذا الكتاب يمثل ذروة أعماله.

أولى غوميليوف في أعماله اهتماماً كبيراً للأحاسيس الإنسانية. في شعره تتشابك براعة موضوعات الحب والأساطير والتاريخ. بينما عالج في فترة لاحقة من سيرته الذاتية بشكل متزايد الموضوعات الفلسفية. فهو لا يتحدث إلى القارئ فحسب، بل يجعله يتأمل أيضاً في المشكلات الرئيسية للبشرية. كان غوميليوف أول من استخدم مصطلح (ايدولوجيا) - وتعريفها في فلسفة هوسرل المثالية: هي عقيدة

الجواهر النقية أو الأشكال المثالية لظواهر الوعي، مأخوذة دون النظر إلى الواقع الموضوعي وعلم النفس التجريبي؛ شكل من أشكال التجريد الميتافيزيقي غير العلمي.

كما يستخدم لوصف فئة الشعراء الذين يفسرون أو يشرحون الصور أو النماذج الحاضرة في أعمالهم الشعرية إيديولوجياً "كتركيب أنطولوجي لعلم الجمال وفلسفة "الأكمية". على الرغم من الأعمال العديدة المكرسة لدراسة الذروة، يظل مفهوم علم إيديولوجياً "بقعة بيضاء" في فهم فلسفة وعلم الجمال في حركة التيار الأدبي الفلسفي.

ومما لا ريب فيه أن غوميليوف باعتباره الأب الروحي في روسيا لهذا المصطلح كان يدرك تماماً تحت ذلك المفهوم طبيعة الصورة وكذلك الإحساس الذي غدا دافعاً لإنشاء القصيدة وإبداع جملتها العصبية.

وهكذا يمكننا النظر إلى أعماله على النحو التالي:
في الجانب "التشريحي" - يرتبط اليوم بنظرية الشعر؛ في الجانب "الفيزيولوجي" - يرتبط اليوم مع علم النفس الشعري، الذي قدر له توفير فرص للتداخل بين وعي المبدع ووعي القارئ.

ومن ثمّ، فإن إيديولوجيا تمثل علم التشريح والفيزيولوجيا في العمل الشعري، وهو أحد المكونات العضوية الأكثر أهمية في الكائن الشعري إلى جانب التكوين والأسلوب والإيقاع....

موت الشاعر

في الثالث من آب ١٩٢١، قُبِضَ على غوميليوف، ووجهت إليه تهمة التآمر ضد البلشفية. وعلى الرغم من أن العديد من الكتاب حاولوا إنقاذ الشاعر وطلب مكسيم غوركي شخصياً من لينين، إخلاء سبيل غوميليوف، لم تتراجع السلطة عن قرارها. وفي الرابع والعشرين من آب، صدر مرسوم إعدام الشاعر، وستة وخمسين من أصدقائه. وفي السادس والعشرين من آب ١٩٢١، أُعدم نيكولاي ستيبانوفيتش غوميليوف في سن الخامسة والثلاثين وهكذا، فقدت روسيا واحداً من أكثر الشعراء والعلماء الموهوبين في زمنه...

قبل الذهاب إلى الموت، كتب نيكولاي غوميليوف الأسطر الآتية على جدار الزنزانة:

"يارب، اغفر لي خطاياي، أنا ذاهب في رحلتي الأخيرة..."

الشك

أنا هنا، وحيد، في ساعات المساء الهادئة
سوف أفكر فقط بك، بك وحدك
سأجلس لمطالعة كتاب، ولكن حالما أقرأ: "هي"
أشعر مرة أخرى بأن الروح في سكرة وحيرة

سوف أرتمي على سريري بصريه الكئيب
الوسادة تلذع ... لا، لا يجدر بي أن أنام، عليّ الانتظار.

أقترب بحذر من النافذة ...

أنظر إلى المرج السديمي.

وإلى القمر ...

هناك، قرب أحواض الزهور، قلت لي نعم

أوه، هذه الـ "نعم" ستلازمني إلى الأبد.

وفجأة يستيقظ الوعي لدي ويجبني
بأن قلبك مغلق أمامي
وليس هناك أي أمل لي...

وأن "نعم" التي نقطتِ بها، هي مشاعرك المضطربة
أمام شجرة الصنوبر.

وأن قلبك -

مجرد هذيان الربيع والأحلام.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

حدائق الروح

حدائق روجي دائماً في حلة زاهية
الرياح فيها منعشة وناعمة
وفيهما رمال من الذهب ورخام أسود،
وحمامات عميقة وشفافة....

النباتات فيها، غير عادية، تماماً مثل الأحلام،
مثل الماء في الصباح،

تغدو الطيور بلون الورود

ومن ذا الذي سيفهم إشارة السر القديم؟

في حدائق الروح -

فتاة في إكليل كاهنة المعبد... الأولى.

عيونها مثل بريق الفولاذ الرمادي النقي

الجبين بهي، يفوق بياضه زنابق الشرق،
الشفاه التي لم تُقبَّلَ أحداً من قبل
ولم تتحدث إلى أحد....

والخدان -لؤلؤ الجنوب الوردي
كنز من الخيال لا يمكن تصوره...
والأيدي التي لم تلاطف في حياتها
سوى بعضها بعضاً...

تشابك في نشوة صلواتية....

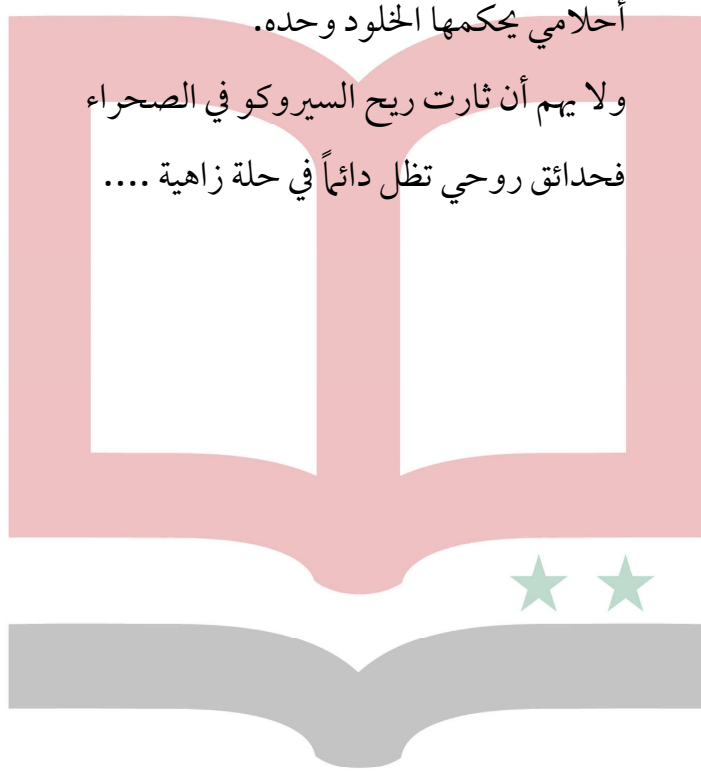
عند قدميها زوج من الفهود السوداء

تلمع فروتها كصفيح معدني...

وفي لازورديتها يسبح الفلامنغو

الذي طار من بين زهور كهف مسحور...

أنا لا أنظر إلى عالم الخطوط الهاربة،



أحلامي يحكمها الخلود وحده.
ولا يهم أن ثارت ريح السير وكو في الصحراء
فحدائق روعي تظل دائماً في حلة زاهية

الهيئة العامة
السورية للكتاب

حورية البحر

(مهداة إلى آز غورينكو^(١))

قلادة تتوهج على صدر حورية البحر
والياقوت، بحمرة الخطيئة،
غريبة هذه الأحلام الحزينة

إنها آثار صحوة السكر العالمي البائس

القلادة تتوهج على صدر حورية البحر
والياقوت، بحمرة الخطيئة.

لحورية البحر نظرة تتلأأ كالنجوم

كنظرة منتصف الليل المحتضرة

نظرتها تلمع طويلاً تارةً وتارةً خاطفةً

(١) كورينكو لقب أنا أحماتوفا الحقيقي.

عندما تصرخ الرياح البحرية.

حورية البحر لديها نظرة ساحرة

ومقلتان حزيتان....

أنا أحبها، عذراء الموج هذه...

التي يخفي سر ضيائها الليل

أهيم في ألق نظراتها

وياقوتها المتوهج لذة

لأنني أنا مثلها ولید تلك الأعماق،

أعماق البحار التي لا قرار لها....

الهيئة العامة
السورية للكتاب

وردتان

أمام بوابات عدن
وردتان تفتحتا ببهاء
لكن الوردة هي شعار الرغبة العمياء
والرغبة العمياء هي من بنات أفكار الأرض

إحداهما تغدو بنعومة زهرية اللون

كالعذراء عند لقاء حبيبها

والثانية، أرجوانية،

تكتوي بنار الحب فتزداد حمرة.

وكلتاها على عتبة المعرفة...

أهو مبدع الكون حكم بذلك

وأضاف سر الاحتراق بنار الرغبات

إلى سفر الأسرار الإلهية!؟

بين عدد لا يحصى من الكواكب

بين عدد لا يحصى من الكواكب
اخترت بحرية عالمنا الصارم
وفي هذا العالم -
عشقت الطرق الفرحة وحدها

في كل مرة يتسلل الحنين المفاجئ

إلى روحي سرّاً،
أحرق في السحب العابرة،
حتى تعود للروح بهجتها

الهيئة العامة
السنوية للكتاب
و حين يزورني في منامي
وطني الحبيب،
تأخذني الدهشة بحق

من أن القلب يبدأ بالخفقان ...

لقد كان كل هذا منذ زمن طويل
وفي مكان ما، خلف السماوات
إلى أين أبحر -
سيان عندي،
ولا يهم - تحت أي أشعة؟



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

الهجوم

تلك البلاد التي يمكن أن تكون الجنة
أصبحت أتون نار
لليوم الرابع يستمر هجومنا
ومنذ أربعة أيام
لم يدخل الطعام أفواهنا



ليس بنا حاجة للغذاء الأرضي

في هذه الساعة الرهيبة والمباركة

لأن كلمة الرب

تسكت جوعنا أكثر من الخبز...

والأسابيع الدامية

تمضي باهرة وخفيفة

القذائف تتفجر فوق
والحرايب تنطلق أسرع من الطيور

أنا أصرخ، وصوتي وحشي
انه النحاس يضرب النحاس
أنا من يحمل الفكر العظيم،
لا أستطيع، لا أستطيع الموت.



مثل المطارق الرعدية
أو أمواج البحار الغاضبة
يخفق في صدري بتناغم

قلب روسيا الذهبي...

كم هو رائع أن نزين النصر،
كما تزين الفتاة باللؤلؤ

ونحن نمر عبر دخان

العدو المتراجع ...

* * *

حول القصيدة

كتب الشاعر هذه القصيدة في عام ١٩١٤. حين كان شاباً،
يقاتل على جبهات الحرب العالمية الأولى. وهي الفترة التي كان
فيها الحماس الوطني في عموم روسيا قوياً.

والحقيقة، أن الشعور الوطني بالنسبة لكل من قاتل بصدق
في تلك الحرب وغوميليوف ينتمي إلى هؤلاء الناس، لازمهم
حتى نهاية الحرب وبداية الفتن والاضطرابات وانهيار
الإمبراطورية بصورة مأساوية ...

لقد ذهب الشاعر إلى الحرب طوعاً. فهو هنا في القصيدة
أيضاً بطل حالم. هو لا يمجد الحرب، ولا الطموحات
العسكرية، سواء الشخصية أم الحكومية في وطنه، بل المهمة
النبيلة -الدفاع عن الوطن. الأمر الذي كان مسلماً به للجميع
في التاريخ الروسي.

لا شك أن كل شيء يُرى من الخندق بطريقة مختلفة: ذلك البلد يمكن أن يكون جنة. ولكن إرهابات وأتون الحرب تحول أي حديقة مزهرة إلى "كتلة من نار". استمر الهجوم أربعة أيام، وهو عدد الأيام التي لم يكن لدى الجنود ندى الخشخاش الذي كان يساعدهم في تخفيف الألم الجسدي والمعنوي.

لا وقت للبحث عنه ولا حاجة إليه، هناك أمر، فقط، إلى الأمام.

في اثنتين من رباعياته، يشرح الشاعر في جملة المفردات الرائعة رؤيته الحاضرة: نحن لسنا بحاجة إلى الغذاء الأرضي. الإنسان في هذه الساعات الرهيبة، والمباركة في الوقت نفسه، يسمو عزيمة من خلال الغذاء اللامادي. تسيطر الروح على الجسد، وتعلو الفضيلة على الرذيلة، والتضحية على الأنانية.

هنا، بالطبع، اقتباس من الكتاب المقدس عن أولئك الذين "يرهنون حياتهم فداء لأصدقائهم". وجدير بالذكر أن الحماس لتطبيق تعاليم المسيحية في القطعات العسكرية الروسية بلغ أوجه مع اندلاع الحرب.

وشارك الجميع بسهولة في الصلوات والقداسات في المعابد،
وأحياناً في العراء، وأحياناً في الأيام الأخيرة في حياتهم.

(أسابيع غارقة بالدم، جرفت بطوفانها كل مألوف وغريب.
وجهاً لوجه التقت الحياة والموت، الحقيقة والباطل).

ويصف الشاعر اشتباكا بالحراب التي كانت (تنطلق أسرع
من الطيور). يسعى لتصوير سرعة الهجوم بواسطة القصيد
والإيقاع والمفردات.

"أنا أصرخ": لم يعد يتعرف صوته، هذا الصراخ البدائي
يخيفه. ويتابع: "لا أستطيع الموت": يكرر البطل صراخه، مثل
التعويذة.

هذا القلب، المملوء بالحب والشفقة والآمال العظيمة، لا،
لا يمكن أن يفنى بهذه البساطة بنيران العدو.

"قلب روسيا الذهبي": النجم الذي يهتدي به، ومنارة،
ومرسي هادئ في حياته الآن.

تأخذ المفردات بعداً كونياً: (المطارق الرعدية، مياه البحار
الغاضبة).

في الختام، ينتهي الهجوم بانتصار مجيد. وتراجع العدو.
"الغابة" هي عمل غريب، حتى باطني، يذكرنا بالحكايات
القديمة. في ذلك هو تقاطع العالم البشري والعالم الآخر. وفي
الوقت نفسه، يتعلق الأمر بحب الرجل الكبير، كما لو كان
ينحدر من صفحات رواية شهيم، إلى امرأة هشة جميلة



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الغابة

في تلك الغابة العذراء، الجذوع البيضاء
ظهرت فجأة من الضباب

جذر تلو الجذر خرجت من الأرض،
تماماً، كأنها أيدي ساكني القبور ...

تحت غطاء من أوراق الشجر النارية الزاهية
عما لقة عاشت، وأقزام وأسود،

وآثار اليد البشرية ذات الستة أصابع
التي رآها الصيادون على الرمال ...

هذه الطريق الترابية لم تأت بنبلاء فرنسا

وفرسان الطاولة المستديرة إلى هنا يوماً....

ولم يبن قاطع الطريق ملجأً بين الشجيرات
ولم يحفر الراهب كهفاً....

مرة واحدة في أمسية ماطرة
خرجت امرأة برأس قطة،

ولكن بتاج مسكوب من الفضة،

كانت تنهد وتئن حتى الصباح

وانتهت بموت هادئ عند الفجر

قبل أن يناولها كاهن الأبرشية القربان المقدس

كان هذا، كان في تلك السنوات
التي لم يبق لها أثر....

كان هذا، كان في ذلك البلد
الذي لا يمكنك أن تبلغه حتى في الحلم
خطرت لي هذا وأنا أتأمل جدائلك الملتفة
كشعبان من نار....
وأنا أتأمل عينيك الخضراوين
مثل الفيروز الفارسي



ربما تكون الغابة هذه - روحك
وربما هذه الغابة - حبي....

أوربما عندما نموت
سوف نتجه إلى تلك الغابة معاً....
* * *

قصيدة الغابة^(١) "تحليل"

تدخل القصيدة في المجموعة الشعرية "عمود النار" التي اقتبس غوميليف عنوانها من العهد القديم. ونلاحظ ارتباطاً بين العنوان ورموز دينية تتكرر في القصيدة كمساكن الرهبان وطلب الغفران وسكان العالم الآخر....

والحقيقة أن قصيدة الغابة، أصبحت رمزاً لحياة المؤلف، رؤيته للوجود. وكما هو معروف، يمكن مقارنة الغابة في علم النفس مع خط الحياة والغابة عند غوميليف هي الحب والخوف والرغبة في فهم المجهول ونقلها إلى الشخص الذي يذهب المؤلف معه إلى غابة مجهولة بعد الموت.

قصيدة "الغابة" مأساوية تماماً، مما يشير إلى أنه قد لا يكون هناك حب حقيقي في هذا العالم الحقيقي. لكن إذا نظرت من الجانب الآخر، فإن ولادة الحب ستصبح رمزاً للموت في القصيدة - هذه استعارة صعبة. في الواقع، مع ولادة شعور جديد، من الضروري فصل ما هو غير ضروري - المعاناة السابقة، وألم الفراق الأبدي والإرهاصات النفسية.

(١) "الغابة" - روح غوميليف - عمل متألق ورمزي وساحر.

هنا، اليد ذات الستة أصابع هي رمز للشيطان، والصيادون -صائدو النفوس البشرية. والمرأة برأس قط وهي التي خرجت ذات يوم من هذه الغابة في طقس عاصف -ترمز للطبيعة الإلهية في روح الشاعر (خلال بعثاته الاستكشافية إلى إفريقيا، زار الشاعر مصر، وتأثر برموز الحضارة الفرعونية، ومنها اعتبار القطعة تجسيداً للآلهة).

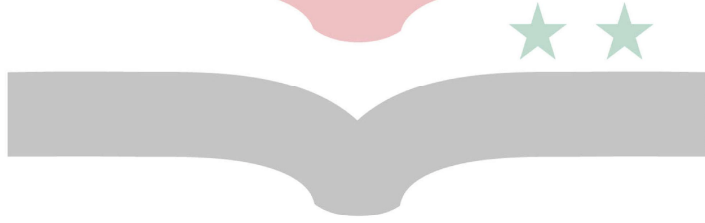
- لكنها تموت أيضاً مع أشعة الشمس الأولى إذ تفقد القوى الغيبية التي تتمتع بقدرة غير محدودة في الليل إمكاناتها في التأثير على فيما يجري في وضوح النهار.

حتى اللون في الأبيات يستخدم بمعنى محدد: النيران الساطعة، مثل اللهب في الجحيم، الفيروز الأخضر في عيون الحبيب -رمز الخنوع والرضا. والغابة نفسها في القصيدة هي بيضاء -غامضة ومخيفة وغير مفهومة وغير خاضعة لقوانين هذا العالم... إنه مختلف، إنه روح الشاعر الذي لا يمكن تصنيفه ووصفه.

إن التكرار المفرد للخطين التاسع عشر والحادي والعشرين يذكرنا بشكل غير ضروري بتلك الأيام التي ستبقى في الذاكرة إلى الأبد، ولكن، للأسف لن تتكرر مرة أخرى:

(كان هذا، كان في ذلك البلد الذي لا يمكنك أن تبلغه حتى
في الحلم).

هو زاوية منعزلة وروح من الروح البشرية، في اللحظة التي
يصبح فيها كل ما يحدث غير مهم، مجرد غبار إذا ما قورن
بالخلود والحب والموت وخلود الروح....



الهيئة العامة
السورية للكتاب

بحيرة تشاد

على بحيرة تشاد الغامضة
بين أشجار بوحباب المعمرة
تسعى مراكب الفلوكة بنقوشها
في فجر العرب المهيين
على طول شواطئها المشجرة

وفي الجبال، وعلى سفوحها الخضراء،

الكاهنات العذارى ذوات البشرة الأبنوسية
يتعبدن الآلهة الرهيبة.

كنت زوجة زعيم قوي الشكيمة
ابنة تشاد صاحبة السيادة والجلال.

أنا وحدي من تؤدي الطقوس
حين تمطر السماء في الشتاء.

قالوا - إِنَّهُ عَلَى مَسَافَةِ مِئَةِ مِيلٍ
لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَشْئٌ أَكْثَرَ بَيَاضاً مِنِّي
لَمْ يَحْصُلْ أَنْ خَلَعْتَ الْأَسَاوِرَ مِنْ يَدِي
وَالْكَهْرْمَانَ دَائِماً يَزِينُ عُنُقِي.

كان المحارب الأبيض ممشوق القامة
الشفتان حمراوان حمراء، والنظر هادئ،

لقد كان زعيماً حقيقياً؛

وفتحت بوابات قلبي على مصاريعها،
وعندما يهمس لنا القلب،
فإننا لا نقاوم، ولا ننتظر.

هو من قال لي إِنَّهُ:
حتى في فرنسا لا يوجد من يهائلني اغراء،
وبمجرد أن تميل الشمس إلى المغيب
سوف يسرج

الحصان البربري الذي سيحملنا بعيداً.

طاردنا زوجي بقوسه التي لا تخيب،

ركض عبر الأدغال

اجتاز الوديان

عبر خلال البحيرات القائمة

إلى أن نالت منه الآلام القاتلة

وحده النهار اللاهب شهد

جثة المتشرد الهائج

جثة مغلفة بالعار....

وعلى جمل سريع وقوي،

غارقة في كومة ناعمة من جلود الوحوش

وأقمشة الحرير

توجهت مثل طائر إلى الشمال.

حطمت مروحة اليد الفريدة من
شدة فرحي السابق لأوانه.

وفي الوقت الذي كنت أنصب فيه
خيمتي الملونة
ضاحكة،

رحت أتأمل الشمس المتراقصة

في عيون الأوروبي الزرقاء

وأنا الآن، تماماً، مثل شجرة التين الميتة،
التي هجرت أغصانها الأوراق،

أحسست أنني عشيقة مملة لا أحد يهتم بها
كأي سلعة مهملة، ألفيت نفسي في مرسلينا.

ولسد جوعي بفضلات الطعام
لأواصل العيش، اضطرت

أن أرقص أمام البحارة المخمورين
الذين كانوا يغتصبونني ضاحكين.

عقلي الخجول مرهق بالمشاكل،
الضوء في عيني يخبو شيئاً فشيئاً....
أليس الخير أن أموت؟ ولكن هناك،
في سهول مترامية مجهولة،

زوجي، إنه ينتظرنني

ولن يغفر لي فعلتي.

* * *

قصيدة غوميلوف "بحيرة تشاد" مكتوبة بأسلوب السوناتة المشوقة، وتروي قصة المصير المأساوي لحسناء إفريقية. أغلب الظن أن القصيدة كتبت في عام ١٩٠٧، خلال رحلة الشاعر إلى إفريقيا. التي خلفت لديه انطباعات يصعب تصوره، وأكثر من ذلك نسيانه، وأيقظت بركان خياله.

القصيدة ترفع النقاب عن أسرار عالم الشرق الغامض ذلك.
الشخصية الرئيسية التي تتجلى في القصيدة بدور الراوية -هي
سمراء من قبيلة إفريقية. تقول عن نفسها: "كنت زوجة زعيم
جبار، ابنة تشاد العظيم". فهي تنتمي إلى أعلى الطبقات في المجتمع،
وتلعب دور الكاهنة، ويكن لها الجميع كل تكريم واحترام.
ولكن يحدث أمر لا سابقة له - إذ تقع امرأة إفريقية في حب
شاب أوروبي. "كم هو ممشوق القامة ذلك المحارب الأبيض،
الشفاه الحمراء، ونظرته الهادئة " - لقد صدمها بجماله وفي
فورة الهيام وثورة المشاعر تقرر الهرب معه إلى فرنسا....
يحاول زوجها إعادتها، ويقوم بمطاردة الأوروبي، لكنه يلقي
مصرعه - "كان زوجي يطارد بقوسه التي لا تحيب، ويطوف
الأدغال".

الحسنة لا تعاني عذاب الضمير عندما بلغها موت زوجها.
"لقد راقبت الشمس وهي تقفز في عيون الأوروبي الزرقاء "
إنها تحلم بحياة هائلة في فرنسا مع عشيقها:
"لقد كسرت مروحتي الفريدة من الدهشة، قبل الأوان".

إنها لا تهتم لزوجها الذي مات مكفناً بالعار، لأنه لم يتمكن
من إعادتها إلى القبيلة.

لكن، بعد وصولها إلى البلد الغريب، اكتشفت المرأة أنَّ
الأوروبي الغادر خدعها. كانت بالنسبة إليه ملهاة غريبة لفترة
قصيرة. المرأة الإفريقية مجبرة على العيش في فقر، وتعيش نمط
حياة غير أخلاقي: "أرقص أمام البحارة المخمورين، وهم
يضحكون ويملكونني". أحلامها ليس مقدرًا لها أن تتحقق، فهي
تقارن نفسها بـ "شجرة التين الميتة". "يتلاشى نظري كل ساعة
... وتفكر بإنهاء الحياة ولكن يغمرها الندم متأخراً. حين تتذكر
زوجها الذي مات لأجلها، الذي يرقد في مكان مجهول... ينتظر
عودتها " تعترف المرأة المهجورة...

* * *
الهيئة العامة
السورية للكتاب

أنا وأنت

نعم، أعرف أني لست زوجا مناسباً لك...
نعم، أنا أعرف، أنني لست أهلاً لأكون زوجك،
لقد جئت من بلد آخر،
وأنا لا أحب سماع الجيتار
بل لحن المزمارة الوحشي



ليس في القاعات أو الصالونات،

ولا للفساتين والسترات الداكنة -

أقرأ أنا قصائدي، بل للعظاءات،

وللشالات وللسحب ...

أنا أحب كما العربي في الصحراء

يرتمي على الينبوع ليشرب ماءه،

لا كما فارس في لوحة فنية
يتأمل النجوم وينتظر.

ولن أموت أنا في سريري،
وبقربي كاتب عدل وطبيب،
بل في ممر موحش في الأدغال غارق باللبلاب

لا أريد دخول الفردوس البروتستاني المثالي
بل أود التوجه إلى هناك،

حيث السارق وجامع الضرائب
والخاطئة يصرخون: انهض!

تحليل القصيدة

البطل في قصيدة "أنا وأنت" لا يشبه أي شخص آخر. لديه مبادئ حياة مختلفة تماماً، وهو لا ينتمي لهذا المجتمع. في الوقت نفسه، ينظر إلى العالم على نطاق أوسع، ويرى أكثر بكثير من

الآخرين. يسير البطل في طريقه الخاص، الذي لا يقدر على المضي فيه سوى الأشخاص ذوي الشخصية القوية. إنه يفهم أنه على الأرجح لن ينتظر المعاملة بالمثل من جانب الأنثى من ذلك المجتمع، ولهذا يقول "أنا أعرف أنني لست الزوج الذي تنشدين".

يصف المؤلف بدقة بالغة اتهامات المجتمع في ذلك الوقت. كل هذا كان غريباً على البطل، وهو لا يرغب بقراءة قصائده "لا في القاعات ولا الصالونات" ولا للنساء بالفساتين الزاهية والجاكيتات الأنيقة. بل هو أكثر اهتماماً بالطبيعة والعالم الخارجي (للزواحف وللشلالات وللشعب).

كان شخصاً متعلماً له مبادئ أخلاقية ثابتة. يصف غوميليوف وفاة رجل في ذلك الوقت "مع كاتب عدل وطبيب". هذا يدل على المكون المادي للحياة. فرحيل الشخص كمصدر للميراث. والرجل المحتضر يكون أكثر قلقاً على ثروته ومن سيرثها بعد موته.

لا تذهل مادية المجتمع بطل القصيدة فحسب، بل تؤثر أيضاً في القارئ. ويسخر الشاعر من الآراء الدينية في ذلك

الوقت، وأهميتها للمجتمع المتمدن، وتأكيد على "الجنة البروتستانتية، النموذجية".

هو، يشعر بالانسجام في حضن الطبيعة. ولا يرغب حتى بالموت في إطار منزل، فهو مستعد للموت في كهف أو غابة. ويتحدث عن الخلود من خلال صرخات فئة من الناس لا تنتمي إلى ذلك المجتمع - قاطع الطريق ومحصل الضرائب والخابئة يدعونه: "انهض" وهنا يقصد خلود أعماله في ذاكرة الشعب وليس طبقة معينة.

إنه يعبر عن فكره وخياله عبر بطل قصيدته وهو يشعر كبطل قصيدته بأنه بطل عصره...

الهيئة العامة السورية للكتاب



آنا أخماتوفا

(١٨٨٩ - ١٩٦٦)

- آنا أخماتوفا شاعرة روسية تنتمي إلى العصر الفضي في

الأدب الروسي.

ولدت آنا أخماتوفا بالقرب من أوديسا في عائلة نبيلة، والدها أندريه غورينكو وهو مهندس بحري متقاعد. كان الأب خائفاً من أن هوايات ابنته الشعرية قد تسيء لسمعة العائلة لذلك في سن مبكرة، نشرت الشاعرة أغلب أعمالها تحت اسم مستعار -أخماتوفا. كتبت آنا أخماتوفا عن نفسها أنها ولدت في العام نفسه الذي ظهر فيه تشارلي شابلن، وبرج إيفل وكتاب "تولستوي" "سوناتا كريترز". لقد شهدت انقلابات العصور وعاشت حريين عالميتين، والثورة وحصار لينينغراد. كتبت أخماتوفا قصيدتها الأولى عندما

كانت في الحادية عشرة من عمرها - ومنذ ذلك الحين حتى نهاية حياتها استمرت في ممارسة كتابة الشعر. وقد عبرت عن ذلك بسطور: أنا لم أتوقف عن كتابة الشعر لأن فيه تواصل مع الزمن والحياة الجديدة لشعبي، وتضيف: عندما كتبت قصائدي كان قلبي يخفق بنفس نبضات تاريخ وطني البطولي.

" أنا سعيدة لأنني عشت ذلك الزمن، وشهدت أحداثاً لا مثيل لها.... "

يعدُّ الإبداع الشعري لدى أختاتوفا مثلاً حياً على تجسيد مبادئ الأكمية، " الذروة "، ونتيجةً لذلك، نرى في أعمالها أن كل شاردة وواردة من إرهاصات الحياة اليومية لها معنى خاصٌ ومتميزٌ، وهو في الوقت نفسه يؤدي عدداً من الوظائف.

وبلجوتها إلى التفاصيل الفنية، تعرض أختاتوفا التجارب النفسية الأكثر تعقيداً لأبطالها... تقول في إحدى قصائدها:

في هذا الثوب الرمادي
على الكعب البالي....

تتيح لك الصورة اليومية للبطل الغنائي خلق تأثير حيوية
والأصالة العاطفية، وتحويل القصيدة إلى اعتراف بالسيرة
الذاتية، وكتابة التفاصيل اليومية في حياة البطلة الشعرية ...

وفي مكان آخر:

في المغسلة العتيقة

تحول النحاس إلى اللون الأخضر

لكن أشعة الشمس تتراقص عليه،

فيبدو مفرحاً للنظر.

مرة أخرى، من خلال الإشارة إلى التفاصيل اليومية، المغسلة
القديمة التي فقدت مظهرها السابق وبريقها، تعكس الحالة
العاطفية لبطلة القصيدة:

والحقيقة أن المغسلة نفسها لا تزداد ألقا بسبب أشعة
الشمس، ولكن بتأثير حالة الفرح التي تغمر البطلة
تكتسب المواقف والصور اليومية تنوعاً نفسياً بسبب
ارتباطها بنوايا البطلة الغنائية.

وبالاستناد إلى التحليل الذي نعرضه للأبيات تلك، يمكن أن نصل إلى حقيقة مهمة - أن أساس الأكمية - الذروة، كنزعة أدبية هو التصور الفلسفي والأنثروبولوجي للشخص باعتباره قيمة عالمية وفريدة من نوعها، مدرجة عضويًا في الوجود والحياة اليومية على حد سواء.

* * *

رشحت أنا أخماتوفا لنيل جائزة نوبل للآداب في الستينيات من القرن الماضي، وحازت جائزة (اتنا - تاورمينا) في إيطاليا. ومنحتها جامعة أوكسفورد شهادة الدكتوراه الفخرية في الأدب.

صدرت آخر أعمالها (سباق الزمن) عام ١٩٦٥، وبعد وفاتها كتب البروفيسور ستروفي أستاذ اللغات السلافية:

" لم يخبث الصوت الفريد الذي حمل للعالم قوة الانسجام الخفية، بل أنهت الثقافة الروسية دورة إبداعها، التي عاشت منذ أول أناشيد بوشكين حتى آخر أناشيد أخماتوفا".

من أشهر أعمالها: " السرب الأبيض " و " في صيف الرب " والمجموعة الشعرية " موسيقا قداس الأموات "، وهي ملخص لسيرتها الذاتية.

صلاة

أعطني السنوات المريرة من المرض
الاختناق، والأرق، والحمى،
لكل من الطفل والصديق،
وموهبة إنشاد غامض،
هكذا أصلي من أجل قداسك

بعد الكثير من الأيام المتعبة.

لأجل أن تتحول الغيوم المتجهمة فوق روسيا المظلمة
إلى سحابة في بحر الضياء....

* * *

"الصلاة" هي نداء أخماتوفا الشجاع لله ترجوه إنهاء حرب لم يسبق لها مثيل، ويمكن الحكم على أهمية وقوة هذا الطلب من خلال استعداد الشاعر للتضحية بأغلى ما عندها: "اسلبني الطفل والصديق"، حتى "وموهبة الإنشاد القدسي" التي لا تقدر بثمن....

ولو افترضنا أن أخماتوفا اعترفت بوجود مبالغة شعرية،
فمثل هذه الكلمات لا ينطق بها الإنسان جزافاً. فالحرب العالمية
الأولى كانت كارثة للبشرية في بداية القرن العشرين.
أحست الشاعرة أولاً أن الوطنية ليست كلمة فارغة بالنسبة
إليها. وفيما بعد، أثبتت ذلك مراراً وتكراراً. على عكس النداء
العام بإنهاء الحرب بأي ثمن، تمت أخماتوفا لوطنها روسيا
النصر وحسب. وعلاوة على ذلك، ولأول مرة بعد غزو
نابليون، كانت البلاد في خطر فقدان الاستقلال الوطني.

وتقارن الشاعرة هذا الخطر الهائل بـ "الغيوم" التي تلوح
في الأفق.
فإن أخماتوفا مستعدة للتضحية بأعلى ما لديها من أجل أن
تتحول إلى "سحابة من ضياء" ...

الهيئة العامة
السورية للكتاب

إلى ربة الإلهام

نظرت ربة الإلهام إلى وجه شقيقتها
كانت نظرة صريحة ومشرقة.
وانتزعت منها الخاتم الذهبي
الذي كان أول هدايا الربيع

يا ربة الإلهام! أترين مدى سعادة الجميع

الفتيات والنساء والأرامل؟

أنا أفضل الموت على الدولار

من العيش في هذه القيود

أعرف أن قدرتي أن أقطف

زهرة الأقحوان

لكي أجرب على هذه الأرض

عذاب الحب

أشعل شمعة قبيل الفجر على النافذة
وأنا ليس بي شوق لأحد
لكنني لا أريد، لا أريد،
لا أريد أن أعرف -
كيف يقبلون امرأة غيري ...



غدا سوف تخبرني المرأيا، ضاحكة:

"نظرتك خالية من الصفاء والألق

سأجيب بهدوء: " لقد انتزعت مني

هدية الله " ...

الهيئة العامة
السورية للكتاب

ما أكثر طلبات الحبيبة ...

ليس لدى تلك التي هجرها حبيبها أيّ طلبات
كم أنا سعيدة لأن الماء الآن
يتجمد تحت الجليد الشفاف

وسوف أطلب العون من - المسيح

في عيد الغطاء القدسي، البهيج والهش،

وأنت احفظ رسائلي،

لكي يحكم علينا الأحفاد بعدل

لكي تبدو في نظرهم حكيماً وشجاعاً

بصورة أكثر وضوحاً وبهاء

ليت شعري، هل هناك بقع بيضاء

في سيرتك المجيدة؟ !!!

كم هو عذب شراب الحياة
وكم هي متراصة شبكات الحب
سوف يأتي اليوم الذي
يقراً الأطفال في الكتاب المدرسي، اسمي

وحينما يسمعون الخبر المحزن
دعهم يتسمون كما يحلو لهم

وحيث إنك لم تمنحني الحب والفرح

قدمني أضحية كمجد مرير

لو أنك عرفت كم صليت

لأجل أن تطفئ ظمئي للغناء

ولكن يخيل لي أن لا أمل لمخلوق أرضي على هذه الأرض

ولن ينال الحرية التي يحلم بها

مثل الدخان المتصاعد من الأضحية

الذي لم يتسنَّ له الوصول

إلى عرش القوة والمجد

فاستلقى عند القدمين وحسب

مقبلا العشب بخشوع....

كذلك أنا يا إلهي، غارقة في سجودي

هل تلمس النار السماوية

رموشي المطبقة

وخدر روعي البديع؟

الهيئة العامة السورية للكتاب

قداس جنازي

الجمال تنحني أمام هذا الحزن
النهر العظيم توقف عن جريانه
لكن أقفال السجن قوية
وخلفها جحور الأشغال الشاقة
والشوق القاتل

بالنسبة للبعض، تهب الرياح المنعشة

والبعض يتمتع البصر بغروب الشمس اللطيف

لا نعرف، نحن متشابهون في كل مكان

نسمع فقط صرير المفاتيح المقيت،

وخط الجنود الثقيلة.

صعدنا في وقت مبكر،

ساروا عبر العاصمة الموحشة،

وهناك كان لقاءهم.

الشمس قريبة من الأفق ونهر النيفا اختفى في الضباب
والأمل يغني من بعيد.

صدر الحكم... وعلى الفور انهمرت الدموع،
وشعرت بفراغ قاتل
كما لو أنهم انتزعوا الحياة
من القلب، مع الألم،
ويطرحوها بقسوة بعيدا...

لكنها قادمة، تتأرجح في مشيتها... وحيدة.

أين هم الآن -

أصدقاء سني عمري الطائشة؟

ماذا يترأى لهم في عاصفة ثلجية سيبرية؟

ما الذي يتجلى لهم في قرص القمر؟

وأنا أرسل لهم تحيات الوداع.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

محاكاة فرانتز كافكا

هناك من يسرق الحبيب من عاشقيه
أنا لا أنظر في أثرهم بحسد.
وحدي في قفص الاتهام،
أنا أجلس منذ نصف قرن

حول المشاحنات والتدافع

ورائحة الحبر التي تماثل رائحة السكر.
هذا ما ابتدعه كافكا،

ورسمه تشارلي

وهناك في الاجتماعات المهمة،

كما لو كانت في أحضان النوم العميق.

ثلاثة أجيال من المحلفين تعاقبت،

وجميعهم أقرّوا بأنها مذنبّة.

تتغير وجوه الحرس
والمدعي العام السادس أصيب بنوبة قلبية
وفي مكان ما،
يظلم الفضاء السماوي اللانهائي من الحر الشديد

الصيف المملوء بالمسرات،

يسير على الضفة المقابلة ... حتى إنني

لا أستطيع تخيل مثل هذا النعيم في مكان آخر.

أكاد أصاب بالصمم من اللعنات المدوية

لقد لبست السترة المبطنّة حتى اهترأت

هل حقاً أنا مذنبّة أكثر من أي مخلوق

على هذا الكوكب؟ ...

أغنية

مع شروق الشمس
أنا أغني عن الحب
وأعشب الكينوا في حديقتي
جاثية على ركبتي

أقتلعها من التربة وأرميها بعيداً

ليسمحني الرب.

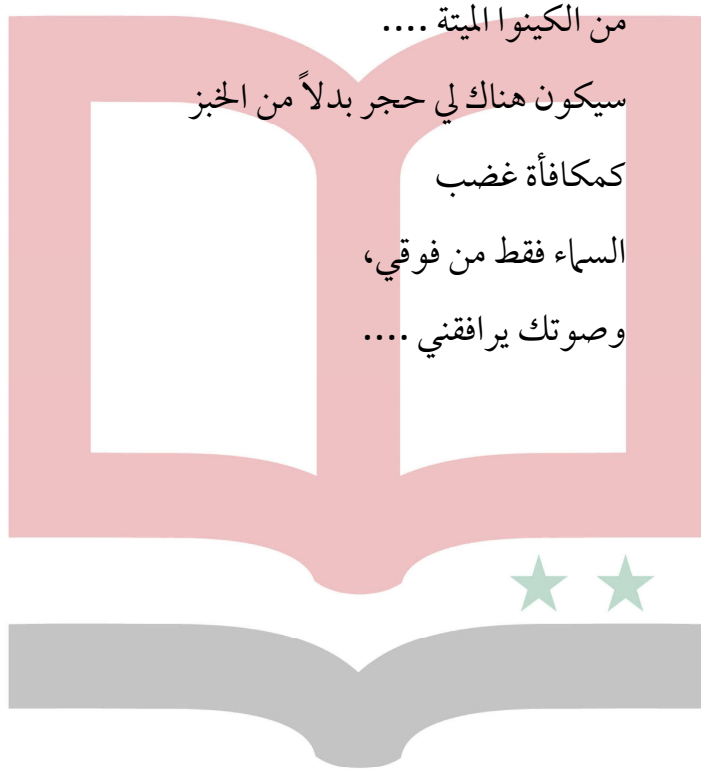
أرى فتاة حافية القدمين

تبكي خلف السياج

ينتابني الخوف لسماع صرخات رنانة

لصوت المأساة

بينما تنشر رائحة دافئة



من الكينوا الميتة

سيكون هناك لي حجر بدلاً من الخبز

كمكافأة غضب

السماء فقط من فوقني،

وصوتك يرافقني

الهيئة العامة
السورية للكتاب

اليوم لم يحضروا لي رسالة

نسي أن يكتب لي، أو أنه رحل
الربيع يشبه حفنة من الضحك الفضي
السفن تتمايل في الخليج....
اليوم لم يحضروا لي رسالة

لقد كان في صحبتي منذ زمن قصير

عاشقاً، حنوناً، كان بعضاً مني

لكن ذلك كان في الشتاء الأبيض

والوقت الآن ربيع وحزن الربيع سام.

لقد كان معي منذ أمد قصير....

اسمع حركة قوس كمان خفيفة ومؤثرة

تحاكي ألم الموت، يخفق، يخفق

وأنا خائفة من أن قلبي سيتمزق

قبل أن أخط هذه السطور الرقيقة ...

الشاعر

تقول إن هذا أيضاً عمل
أن تعيش ببساطة وعفوية:
تتنصت إلى الموسيقى وتكتشف شيئاً ما
وتعلن مازحاً أمام الملائكة من إبداعك
وربما يكون شيرز مفرح لموسيقى ما
قد خط نوطته في سطور معينة

أقسم إن هذا القلب المسكين

يتأوه وسط الحقول الذهبية

وبعد ذلك التنصت إلى الغابة،

إلى أشجار الصنوبر، التي توحى بالصمت

في غمرة الضباب الذي يلف المكان ...

أريد أن أنال من الحياة الخادعة شيئاً ما،

ودون أي شعر بالذنب

لكنني أرغب بالحصول على كل شيء

من سكون الليل

القصيدة الأخيرة

إحداها، مثل الرعد المضطرب
اقتحم المنزل مع تنفس الحياة
يضحك، ويتردد في الحلق
ويدور ويصفق

قصيدة أخرى، قد تلد في صمت الليل،

أنا لا أعرف من أين تتسلل إلى جلسة
هي تحلق بي من المرأة الفارغة
وتتمتم غاضبة.....

وهناك البعض: في وضوح النهار،

وكأنها لا تراني
تنساب على الورقة البيضاء

مثل ينبوع صاف في واد.

وهناك منها من يحوم حولي بخفاء
لا صوت ولا لون ولا لون ولا صوت
تقترب، تتحول، تدور
ولكنها ترفض الاستسلام لي.

أما هذه! فقد شربت دمي قطرة قطرة

مثل فتاة صغيرة عاشقة
ودون أن تقول لي كلمة واحدة
عادت إلى صمتها ثانية

لم أعرف مصائب أكثر شدة.
رحلت، مخلّفة آثاراً ترامت نحو منطقة نائية
لا يمكنني العيش بدونها ...

ليلة بيضاء

آه، أنا لم أغلق الباب،
ولم أضئ الشموع
أنت لا تعرف كيف رغم أنني منهكة من التعب
لم أجرؤ على الاستلقاء
أراقب حزم الشفق تخبو أنواره

في ظلمة الغروب

لقد سكرت من إيقاع صوت
مماثل لصوتك

ورغم أنني كنت أعرف أن كل شيء ضاع
وأن الحياة هي الجحيم بعينه
آه، كنت متأكدة

من أنك سوف تعود...

* * *



مارينا تسفيتايفا

(١٨٩٢ - ١٩٤١)

مارينا تسفيتايفا: شاعرة روسية ولدت وعاشت طفولتها في روسيا القيصرية، وأمضت سني شبابها وإبداعها الأدبي في المهجر تعدُّ من الشواعر الروسيات اللواتي تركن إرثاً مميزاً في الأدب الروسي (شعره ونثره).

ولدت في موسكو في أسرة مثقفة مهتمة بالفنون. كان والد مارينا تسفيتايفا بروفيسوراً في جامعة موسكو وهو مؤسس متحف الفنون الجميلة، أما والدتها "ماريا أليكساندروفنا ماين" من أصول بولندية-ألمانية فكانت عازفة بيانو درست على يد المؤلف الموسيقي وقائد الاوركسترا الشهير روبنشتاين.

أولعت مارينا بالشعر منذ طفولتها، وبدأت بالنشر في وقت مبكر إذ ظهرت مجموعتها الأولى (الكراسة المسائية) وهي لم تبلغ الثامنة عشرة بعد من عمرها، فلفتت أنظار كبار الشعراء واحتفت بها الأوساط الأدبية. ومن أبرز نتاجاتها "قصائد عن موسكو"، و"الأرق"، وكانت تتخذ من الشعر جسراً لتوصيل رسائلها الإبداعية محملة إياها ملامح عالمها الوجداني، كما في قصائدها لكبار شعراء عصرها مثل أنا أخاتوفا - ألكساندر بلوك - فلاديمير ماياكوفسكي - بوريس باسترناك ...

اعتمدت تسفيتايفا في جل أعمالها على فن القصيدة، وتجلت موهبتها وطريقتها الخاصة في قصائدها "الفتاة القيصرة"، "وقصيدة "الجبل" وقصيدة "النهاية". ولتسفيتايفا مساهمات واسعة في مجال النثر ولاسيما في ذكرياتها عن معاصريها، وفي الترجمة الشعرية إذ ترجمت كثيراً من القصائد لشعراء أوروبيين، وعلى رأسهم غارسيا لوركا، وكذلك ترجمت قصائد الشعراء الروس إلى الفرنسية.

في عام ١٩٢٢ غادرت مارينا تسفيتايفا روسيا في إثر زوجها الذي كان يدرس في براغ ثم انتقلت للعيش في باريس حيث

ساهمت بتأسيس مجلة (فيورستي)، ونشرت فيها بعضاً من مجموعاتها الشعرية.

اصطدمت بواقع المجتمع هناك وعلاقات المهاجرين فيما بينهم في تلك الظروف الاستثنائية القاسية. ولم تصبح صديقة لمؤلفي الموضة الأدبية في المهجر، إذ إنهم كانوا ينظرون إليها كأنها تفتقر إلى ما يكفي من الانتماء إلى البيض أو بالأحرى لم تتصف بالعداء الكافي للحمر (البلاشفة). وعاشت ضنك العيش. حتى إنها لم تكن تجد أحياناً ثوباً يمكن أن ترتديه لحضور أمسية شعرية. ثم عادت تسفيتايفا إلى روسيا التي كانت تحملها في قلبها لا لأنها كانت تعاني ألم الغربة، بل من حالة اليأس والفقر الذي كانت العائلة تعانيه ...

توالت الأحداث الكارثية في حياة تسفيتايفا، إذ اعتقلت السلطات الأمنية زوجها وابنتها، وأعقب ذلك منع نشر أشعارها وتحلي أصدقائها عنها من شعراء وكتاب. وبلغت حالتها حدّاً من الإحباط والمعاناة النفسية جعلها في ٣١ آب - أوغسطس، تنهي حياتها....

ميراثها الأدبي

خمس عشرة مجموعة شعرية أهمها:

- الكراسة المسائية.
- المصباح السحري.
- أشعار فتية.
- أشعار إلى بلوك.
- الفتاة - القيصر.

- نهاية كازانوف.

- قوام البجعة.

- الفراق.

- ما بعد روسيا.

وثلاث عشرة قصيدة طويلة أهمها.

- صانع المعجزات.

- على الحصان الأحمر.

- قصيدة الجبل.

-قصيدة النهاية.

-صائد الجرذان.

-من البحر.

-قصيدة الدرج.

-قصيدة الأثير.

-الثور الأحمر.

-سيبيريا.

* * *

الأعمال الدرامية

(١٩١٨) عاصفة ثلجية.

١٩١٨ الحظ.

(١٩١٨-١٩١٩) مغامرة.

مسرحية عن ماري (١٩١٩، لم تكتمل).

(١٩١٩) ملاك من حجر.

(١٩٢٤) أريادنا.

(١٩٢٧) فيدرا.

النثریات

الروح الأسيرة.

"بوشكين" شاعري.

"بوشكين وبوجاتشوف".

"الفن في ضوء الضمير".

"الشاعر والزمن".

"ملحمة ورومانسية روسيا الحديثة".

ذكریات عن أندريه بيلي وفاليري يريوسوف وماكسيميليان.

فولوشين وبوريس باسترناك وغيرهم.

"الأم والموسيقا" مذكرات و "حكاية الأم".

و "حكاية سونيتشكا".

الهيئة العامة
السورية للكتاب

سوف أستعيدك من كل الأراضي، من كل السماوات

لأن الغابة هي مهدي، وهي القبر كذلك،
لأنني أقف على الأرض بقدم واحدة فقط
لأنني سوف أغني عنك كما لا يستطيع أحد ...

سوف أستعيدك من جميع الأزمان ومن كل الليالي

من كل الرايات الذهبية، وكل السيوف

سأرمي المفاتيح وأطرد الكلاب من أمام الباب -

لأنني في الليلة الأرضية أنا أكثر وفاء منها.

سوف أستعيدك من الآخرين

أنت لن تكون عريسا لأحد، وأنا لن أكون زوجة أحد

وفي الصراع الأخير سأخذك - لا تعارض -

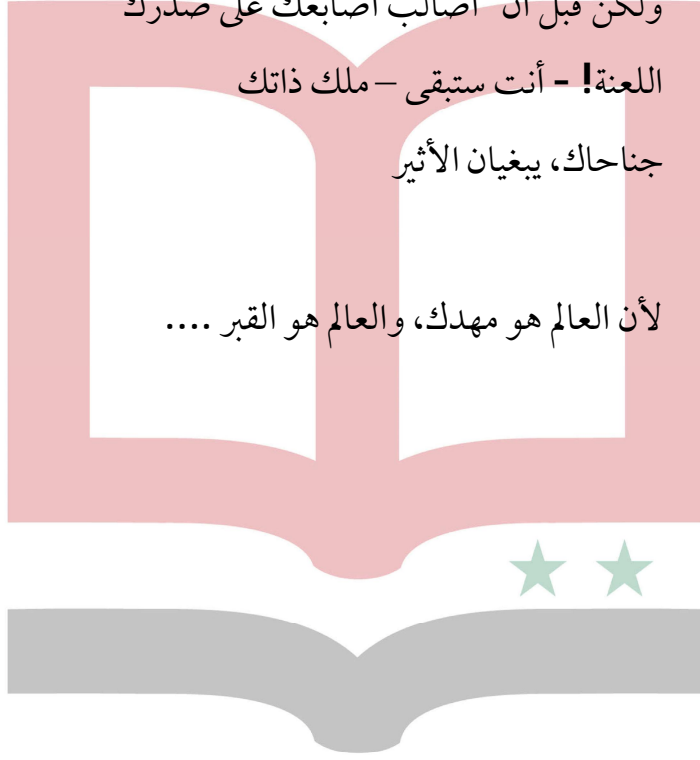
سأخذك من الشخص الذي كان يعقوب يقف معه في الليالي

ولكن قبل أن أصالب أصابعك على صدرك

اللعنة! - أنت ستبقى - ملك ذاتك

جناحك، يبغيان الأثير

لأن العالم هو مهديك، والعالم هو القبر....



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

إسمك - طائر في اليد

إسمك ; بعض جليد على اللسان.

حركة شفاه واحدة لا أكثر.

إسمك ; هو خمسة أحرف.

كرة، التَّقَطَّتْ في الهواء،

جرس فضي في الفم.



حجر، ألقى في بركة ساكنة،

لسوف ينشج، تماماً كما يتردد اسمك.

في وقع خافت لحوافر الليل

إسمك العظيم على كل لسان.

وسترده لنا في صدغنا

نقرة رنانة على الزناد.

إسمك - آه، ذلك اللحن البديع! -

اسمك هو قبلة في العيون،

في صقيع الأجنان الساكنة.

اسمك هو قبلة على الثلج.

رشفة من ينبوع - جليدية، زرقاء....

مع اسمك - حلم عميق... عميق.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

أود أن أعيش معك

في بلدة صغيرة
حيث الشفق الدائم
والأجراس الأبدية
وفي فندق قرية صغير
رنين ناعم

لساعات قديمة - مثل قطرات الوقت

وأحياناً، في الأماسي يتناهى من عليّة بعيدة
صوت فلوت،

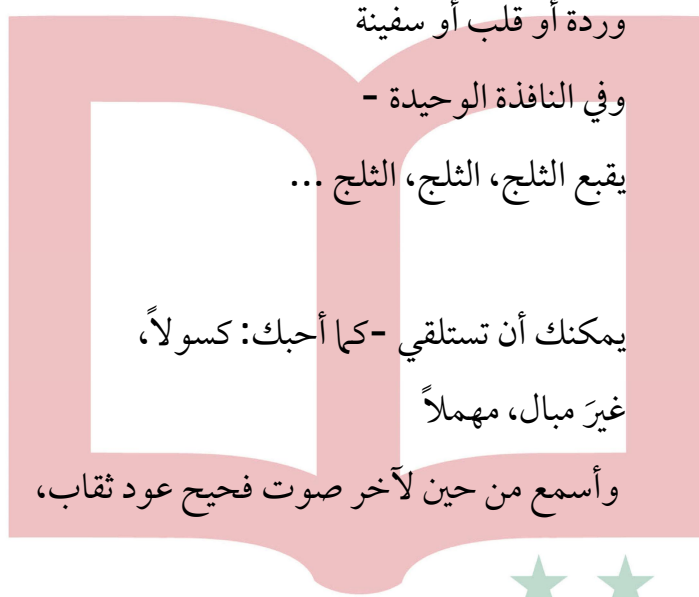
وقد يظهر العازف نفسه في النافذة

وعلى النوافذ تشرئبُ أعناق الزنبق ...

وربما أنت لك تكن حتى تحبني

يوجد في منتصف الغرفة مدفأة ضخمة من البلاط،

على كل بلاطة - لوحة،



وردة أو قلب أو سفينة

وفي النافذة الوحيدة -

يقبع الثلج، الثلج، الثلج ...

يمكنك أن تستلقي - كما أحبك: كسولاً،

غير مبالي، مهملاً

وأسمع من حين لآخر صوت فحيح عود ثقاب،



السيجارة تتوهج وتخبث،

وصفوتها ترتعش لفترة طويلة، على حافتها،

عموداً قصيراً مادياً

وأنت ليس لديك همّة في التخلص منه

فتؤول السيجارة إلى نار.

.....

١٠ - ١٢ - ١٩١٦

إلى أمي

(في فالس شتراوس القديم لأول مرة)

لأول مرة في فالس شتراوس القديم،
سمعنا نداءك الخافت.

منذ ذلك الحين، أضحت كل الكائنات الحية غريبة علينا
وتثلج الصدر دقات الساعة العجولة.



نحن، مثلك، نعشق غروب الشمس

الذي يوحى بقرب النهاية

كل ما لدينا من ثروة في أفضل أمسية

هو أنك استوطنت قلوبنا

عندما أحن بلا كلل لأحلام الطفولة،

(في غيابك يتسلل الهلال إليهم)

كنت تجنبين أطفالك

هواجس ومشاعل الحياة المرة

منذ سن مبكرة نميل لكل بائس
الضحك ممل والبيت موحش
يبدو أن سفيتنا لم تبخر في لحظة مناسبة
وهي لذلك تجري بإرادة شتى الرياح

كم هي شاحبة - جزيرة الطفولة اللازوردية

ونحن وحدنا على سطح السفينة.

يبدو أنك قد أورثت بناتك الحزن

يا أمي...!

الهيئة العامة
السورية للكتاب

عالم صغير

الأطفال -هم نظرات عيون خائفة
ووقع أقدام شقية على الأرض الخشبية
الأطفال هم الشمس برغبات غائمة
عالم كامل من فرضيات العلوم البهيجة

الفوضى الأبدية في الحلقات الذهبية

والهمس بكلمات حنونة عند النعاس،

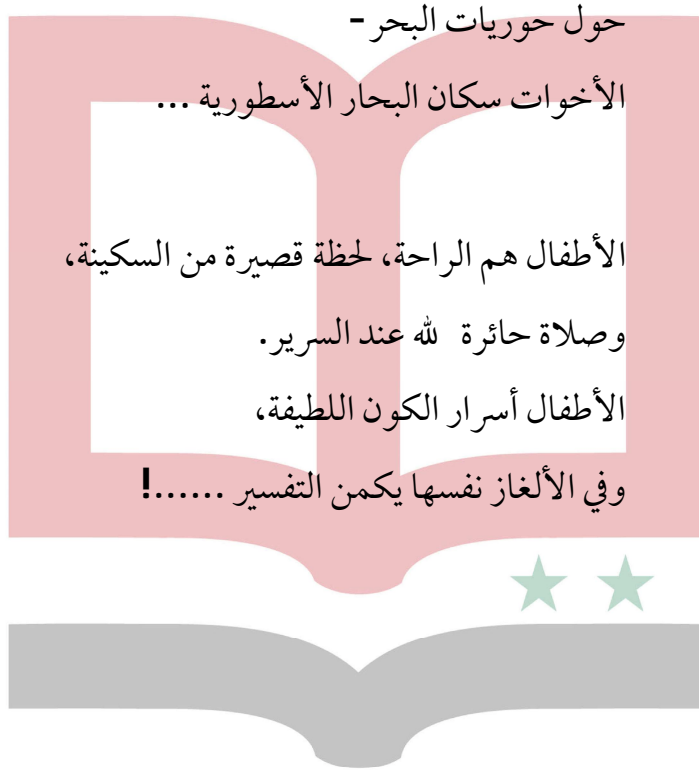
وصور بريئة للطيور والحملان،

تغفو على الحائط في حجرة الأطفال

الأطفال في الأماسي هو أمسيات على الأريكة،

يلوح في الضباب ألق المصابيح، من خلال النافذة،

ويتناهى صوت يروي حكاية القيصر سلطان



حول حوريات البحر -

الأخوات سكان البحار الأسطورية ...

الأطفال هم الراحة، لحظة قصيرة من السكينة،

وصلاة حائرة لله عند السرير.

الأطفال أسرار الكون اللطيفة،

وفي الألغاز نفسها يكمن التفسير!.....!

الهيئة العامة
السورية للكتاب

في الكرمين

حيث الملايين من قناديل الأيقونات التي تشع كالنجوم
تضيء أمام وجوه العصور القديمة
حيث رنين المساء الذي يجلو للقلب،
حيث الأبراج تعانق السماء بعشق
هناك في ظل طيات الأثير

تجول أحلام بيضاء شفافة

الآن فهمت معنى الألبان السالفة

فأنا قد صرت ممثلاً للقمر

في حالة هذيان، ونفس متقطع
أردت أن أعرف كل شيء حتى النهاية
لماذا كتب للمليكة السماء
تلك المعاناة الغامضة

ولماذا تبارك وحدها بحنان تلك الأبنية التي زاد عمرها عن المئة
وحدها مدى الزمان،

الحق أقول، أن ما يسمونه على الأرض المآثورات
قد أخبرني كل شيء عنه القمر....

في الستائر المطرزة بالحرير
أمام نوافذ القصور القائمة
ألفيت الملكات متعبات

قد جمد في عيونهن نداء خافت

رأيت كما في الحكايات القديمة

السيوف، التاج والشعار القديم،

وفي عيون بعض الأطفال، عيون الأطفال

ذلك الضوء الذي يسكبه الهلال السحري

أه، كم من العيون تابعتته من تلك النوافذ

وما أكثر من سار في إثره... إلى هناك

حيث الفرح والسكينة...

لقد رأيت الراهبات الشاحبات ،
بنيات الأرض البائسات
وفي صلواتهن القدسية، تستعر نار الرغبات
لقد قرأت في نظراتهن التائهاث:
" أريد أن أعيش ، ما حاجتي إلى الرب ؟"
وفي طيات ثياب الحداد
تنهدات يائسة
تنشد القمر



قل لي يا قمر لماذا عانت حبيسات معابدهن؟
لماذا كان عليهن مغادرة هذا العالم لمرافقة
أرواح الملكات

التي انطلقت
من المضاجع الخرساء إلى الحقول الخضراء؟
- وكان جواب القمر حزيناً
بين جدران الكرملين المتجهم

باكورات أشعاري التي كتبتها

ولم أكن أدري أنني شاعر
الأشعار التي هوت كرهاذ النوافير.
كالشرر المتطير من فوهات الصواريخ...
أشعاري التي أشبه ما تكون بالشياطين الصغيرة
التي اقتحمت المعبد

حيث لا شيء سوى الحلم والبخور.

أشعاري عن الصبا والموت
أشعاري التي لم تقرأ بعد...

أشعاري المرمية في دور الكتب يعلوها الغبار
التي لم يتصفحها أحد ولا يرغب أحد في قراءتها
أشعاري تلك مثلها كالنيذ المعتق الفاخر
سيأتي دوره ذات يوم.....

أنا سعيدة لأنك لست مولعاً بي

أنا سعيدة لأنك لست مولعاً بي
وسعيدة لأنني لست مولعة بك
وأن الكرة الأرضية الثقيلة
لن تبهر بعيداً تحت أقدامنا
كم يجلولي أن أكون مضحكة -

لعوبة ولا أجهد نفسي باختيار الكلمات المناسبة

ولا أحمر بموجة خانقة خجلاً

حين تلامسك أكمامي

أنا لا يهمني أنك في حضرتي

تضم ببساطة امرأة أخرى

ويجلولي أيضاً، أنك لا ترسلني إلى الجحيم،

لأنني أقبل أحداً غيرك ...

وأنت يا مخلوق اللطيف
لا تذكر اسمي، في ضياء النهار ولا في عتمة الليل.
هذا أبدا وأنهم في غمرة الصمت الكنسي
لن يغنوا فوق رأسينا: هلولويا! ...
يشكرك قلبي وتصافحك يدي
لأنك تحبني - دون أن تدرك ذلك!
أشكرك ليلتي الآمنة،

لندرة اللقاء في ساعات الغروب،
لنزهاتنا التي لم نقم بها في حضرة القمر
للشمس، التي تضيء لغيرنا،
شكرا لأنك - واأسفني! - لست مولعا بي
ولأنني أنا - واأسفني! - لست مولعة بك!

سر هذه القصيدة

يمكننا القول إن هذه القصيدة الغريبة نوعاً في طبيعتها التي تبدو للوهلة الأولى حواراً خيالياً مع شخصية وهمية حول حب تبين أنه نفسه وهمي، وليس له أي أمل بمستقبل لكون النفي متبادلاً من الطرفين

ولكن حين نعرف الحقيقة يتضح لنا كم كنا قساة وغير عادلين في الحكم على سذاجة الحدث:

تقول الرواية إن الشخصية التي تخاطبها الشاعرة هو (م. مينيس) شاب وسيم تعرف شقيقتها الصغرى، وفي فورة أحاسيس آنية غمرت الشاب عرض عليها الزواج فقبلت، وحُدِّدَ موعد الزواج، وحين تعرف الشاب مارينا (الشاعرة) باعتبارها شقيقة الخطيبة، انتابه شعور بأنه، ارتكب خطأ في الاختيار، ولأنه كان نبيلاً بطبعه فلم يتراجع عن قراره، وتزوج من شقيقة الشاعرة، ولكنه استمر في إظهار الاهتمام والاحترام الزائدين لمارينا الأمر الذي أثار شكوك البعض حول علاقة حب ثالوثي تربط الشاب بالشقيقتين معاً.

وإنَّ الشاعرة كتبت هذه القصيدة لتدحض تلك
الإشاعات، حرصاً منها على سعادة شقيقتها.

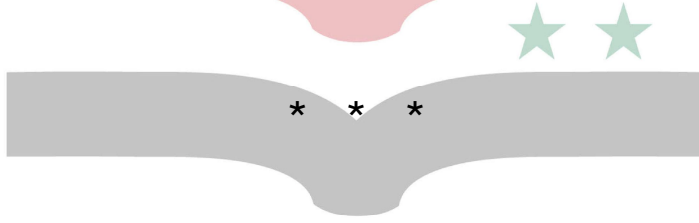
فلاحظ كيف تحاول الشاعرة التملص من تهمة تعلقها
بالشباب وتعلقه بها بصور تحمل في ثناياها أملاً دفيناً وأمنيات
يتعذر على النفي الظاهر الصريح لوجود حب، أن يحجب
حقيقة تلك الأمنيات ومن ثمَّ حقيقة الحب الذي تستعير نيرانه
في قلبيهما، - فهي تدعي السعادة لكونها لا تكن له الحب وتؤكد
على أنه هو أيضاً ليس مولعاً بها... وهنا تبدأ الشكوك في صحة
هذا الافتراض.

ثم تبدي ارتياحها لأمر يجلم بها العاشقون وحسب
كالزهوة في ليلة مقمرة، وأن تسمع التهليل الذي يدوي في
الكنيسة في أعقاب مباركة الكاهن للعروس والعريس ...

وأخيراً تحية الشكر التي توجهها له (لأنه يجبهها، دون أن
يدرك ذلك)، وإذا خيل لنا في أبياتها الأولى أنها سعيدة بأن
القدر قضى بما قضى (ليس لصالحها)، فإن السطور الأخيرة
(أشكرك لأنك، وأأسفاه، لست مولعاً بي) تفضح في أعماقها
رغبة عظيمة في أن يكون مسار القدر مختلفاً ...

كان بودها لو أنها سارا معا عاشقين في ضوء القمر
ولفحتها الشمس بحرارتها....

كان بودها أن يبحرا معاً وبلا حدود مكانية أو زمانية، وأن
تخاطبه بعفوية ودون الحاجة إلى المجاملة، وأن يتردد اسمها على
لسانه ليل نهار، وأن تبارك الكنيسة جبهما، فيقطع السكينة في
المحراب صوت الكاهن:
هللويا هللويا....



الهيئة العامة
السورية للكتاب

شعر الحرب الوطنية العظمى

يقولون إنه حينما تهدر المدافع، فإن ربة الوحي الشعري تصمت. غير أن هذا الأمر كان مختلفاً في روسيا، فمنذ اليوم الأول حتى آخر يوم من الحرب لم يهدأ صوت الشعراء. ولم يتمكن المدفع من إسكاته. بل لم يستمع الناس قطُّ إلى أصوات الشعراء بحماس وانفعال كما فعلوا في زمن الحرب. وقد شهد الصحفي الإنجليزي الشهير ألكساندر ويرث، الذي قضى سني الحرب في الاتحاد السوفييتي، في كتابه "روسيا في حرب ١٩٤١-١٩٤٥": "ربما تكون روسيا هي الدولة الوحيدة التي يقرأ الشعر فيها ملايين الأشخاص، وأما قصائد الشعراء سيمونون. وسوركوف، فقد فرأها الجميع دون استثناء...."

يقولون إن الضحية الأولى في الحرب هي الحقيقة. حتى وإن كانت مرة، فالتحاربون كانوا يتوقون إلى الحقيقة لأنه كان من الضروري أولاً وقبل كل شيء إدراك الحجم الحقيقي للخطر الذي يلوح على البلاد لمواجهة لتقدير وحشد الإمكانيات اللازمة لمواجهة ذلك الخطر من قدرات مادية وبشرية، وهنا لا بد من التنويه إلى الحالة النفسية للمجتمع وضرورة الحفاظ على

توازنها واستقرارها لما لها من تأثير في نتائج الحرب لا تقل أهمية عن القوة العسكرية، ومن أهم العوامل المساعدة للمجتمع على الصمود والتحمل الأدب والفن والموسيقا منفردة ومجموعة على السواء....

ومما لا ريب فيه أن الشعر الغنائي، هو المقياس الأكثر حساسية لحالة المجتمع النفسية، والشعر الصادق هو الذي يمكنه نقل الحقيقة على اختلاف أشكالها إلى الشعب -المفرحة منها والمأساوية، التي من غيرها يكون الشعور بالمسؤولية مستحيلاً. ومن ثمّ يساعد الشعر على الصمود واستنهاض الهمم وجمع الطاقات في قبضة واحدة تساهم في تحقيق النصر.

لم تختلف حياة الشعراء المحاربين في خطوط المواجهة كثيراً عن حياة الجنود والضباط؛ فقد تقاسموا معهم جميع مصاعب وإرهاصات الحرب. ليس فقط كمراسلين، ولكن القصائد ولدت عملياً "على أرض المعركة". كما كتب ألكسندر تفارودوفسكي، في ختام كتابه "فاسيلي تيوركين":

في غمرة الحرب تحت سقف هش
وفي الطرق، حيث حللنا دون أن نفارق العربات

في المطر، أحتمي بمعطف - خيمة،
أو أخلع القفاز بأسناني،
في مهب الريح، في الصقيع الشديد،
لأدون في دفثري
سطوراً عاشت مبعثرة....

لا يمكن التقليل من شأن العمل الشعري اليومي، بما في ذلك الأعمال الروتينية في الصحف التي صدرت في الفترة الأولى من الحرب، على الرغم من أن كثيراً منها لم يصلنا، وبقي في أرشيف قديم للصحف. بادئ ذي بدء، لقد كان ضخماً في نطاقه، وكان يتم كل يوم وكل ساعة من قبل الآلاف من الكتاب على جميع جبهات الحرب الوطنية العظمى، لقد فعلوا ذلك بشجاعة وتفان في أصعب الظروف في كفاح شاق، لقد اجتازوا عبر أجواء الحرب الساخنة بأكملها بكلماتهم بنثرهم وشعرهم والحملات الدعائية؛ فكانت الجهود الجماعية للشعراء من جهة، كما أن كلا منهم قام بمهمته الفردية في موقعه، التي شكلت معاً للأجيال التالية سجلاً لوقائع حقبة بطولية مجيدة.

وإذا كان في تلك الأشعار التي كتبت في أتون المعارك على
عجل، أو أباتها منقوصة لم تكتمل، فإن ذلك يكسبها في أيامنا،
تأثيراً وثائقياً إضافياً-

فالبنية الخشنة المتفحمة للقصيدة تشهد على أهوال الحرب،
وتحكي أكثر من مئات الأعمال التي كتبت عن بعد في أوقات
الفراغ والراحة.

كما عبر عن ذلك الشاعر سيرغي أرلوف في قصيدته التي
خطها عام ١٩٤٥ في أيام الحرب الأخيرة:

★ بالأيدي التي تشققت واخشوشنت من الفولاذ

أكتب الشعر، وأنا أضغط قلم رصاص

الجنود ينامون - لقد تعبوا خلال يومهم،

الشخير يعلو من المخبأ الذي تملؤه رائحة التبغ

وأسفل السقف، خمد لهب المصباح الزيتي،

والحطب الرطب يسمع فحيحه في الموقد.

يوماً ما سوف يقرأ الحفيد

كلمات خشنة وعوجاء، ولكنها حارة كجحيم المعركة،

وسيخنتق من الدخان الكثيف،
من الهواء الذي أتنفسه،
من غضب الرياح التي لا يباثلها شيء.
وهو الذي لم يعرف الحزن والأسى،
ولم تصقله النيران، كالحداد
إنه لا يكاد يغار من أجداده،
بمجرد سماعه، لغناء الرصاص في القصيدة،

كيف تنبعث من الأبيات رائحة الدخان،

ومدى رغبتني بالحياة قبل الهجوم....

وسوف يغفر لي خطيئة القافية....

.....

لا يسعه إلا أن يغفر.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

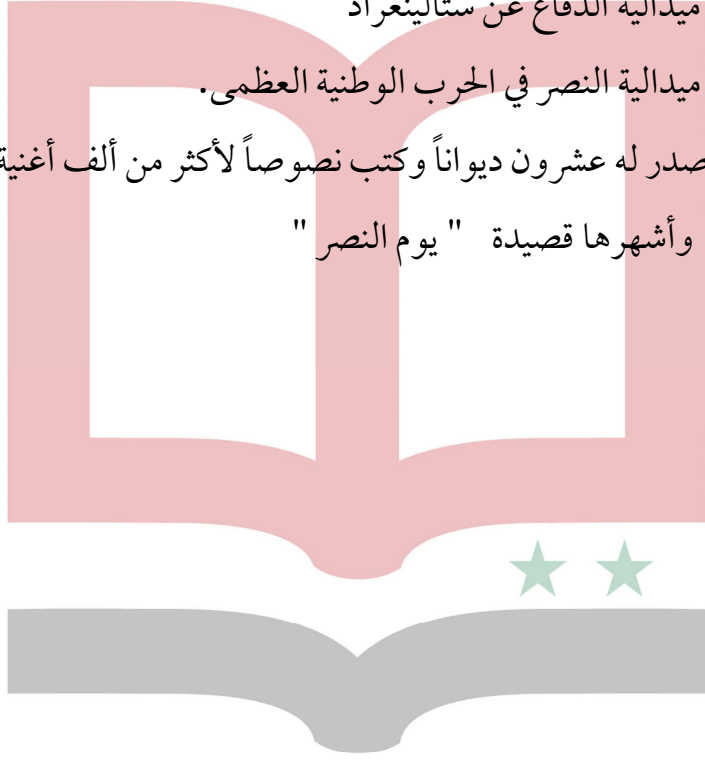


فلاديمير خاريتونوف

(١٩٢٠ - ١٩٨١)

- ولد فلاديمير خاريتونوف في ٢٤ حزيران عام ١٩٢٠ في موسكو.
- درس في معهد العلاقات الدولية في ١٩٤٦-١٩٤٨.
- في عام ١٩٦٠ تخرج من دورتين للمعهد الأدبي. مكسيم غوركي.
- خلال الحرب العالمية الثانية حارب في وحدات المشاة.
- الأوسمة التي حازها لمساهمته في الدفاع عن وطنه وتحرير أراضيه والانتصار على النازية:
- وسام الحرب الوطنية العظمى من الدرجة الأولى
ميدالية الشجاعة

ميدالية الدفاع عن ستالينغراد
ميدالية النصر في الحرب الوطنية العظمى.
- صدر له عشرون ديواناً وكتب نصوصاً لأكثر من ألف أغنية
وأشهرها قصيدة "يوم النصر"



الهيئة العامة
السورية للكتاب

يوم النصر

كم كان بعيداً عنا... يوم النصر
ومثلما تتلاشى الأغصان اليابسة حطباءً في النار
كانت فراسخ الحرب مطمورة في الغبار...
.....

لقد بذلنا كل ما في وسعنا لكي يحل هذا اليوم

يوم النصر، الذي تفوح منه رائحة البارود

هذا العيد الذي نلقاه

بشعرٍ شابٍ من أهوال الحرب

بفرحة اختلطت بالدموع...

يوم النصر

يوم النصر

يوم النصر

أذكر أفران الفولاذ - التي كانت تفح ليل نهار...

دون أن يغمض للوطن جفن.

لقد عمل الجميع ليل نهار

لأجل أن يقترب هذا اليوم

يوم النصر هذا

مرحباً يا أماه.

هانحن قد عدنا من الحرب ...

وما أكثر أولئك الذين لم يكتب لهم العودة.

أه كم بودي أن أركض على العشب الندي

بأقدامي الخافية،

أقدامي التي عبرت نصف أوروبا ...

نصف الكرة الأرضية ...

لأجل أن يقترب هذا اليوم

الذي يدعو

يوم النصر....

* * *

الحب هو مثل أغنية

ينشأ في القلب
فقط هذه الأغنية
لأجلنا نحن
إذا وقعت في الحب
سوف تصدح الأغنية

إذن، لم تولد الكلمات عبثاً

وسنعرث على الموسيقى المناسبة لها

والحب هو مثل أغنية

طيف جمال

وعندليب يشدو

وأمطار من الذهب

قد يعيش لسنوات

وقد يعيش للحظة
كل هذا يتوقف
فقط علينا أنت وأنا
إذا وقعت في الحب
سوف تصدح الأغنية
إذا، لم تولد الكلمات عبثاً
وسنعر على الموسيقى المناسبة لها



الحب هو مثل أغنية
سوف يقول وداعاً لنا
إذا اكتشف أن الأوتار تعزف نشازاً

وعندها تكتئب الطيور
وتكف عن الغناء
وتصفى الأوراق
وتغادر أغصانها

وعندها قد يزورنا حلم حزين
ينبتنا بأنه ليس هنا أغنيات مفضلة للفتيات

إذا وقعت في الحب
سوف تصدح الأغنية
إذا، لم تولد الكلمات عبثا
وسنعثر على الموسيقى المناسبة لها

☆ ☆
الحب هو مثل أغنية

يدرك كل المخاوف

وبكلمات الاعتراف الصادق

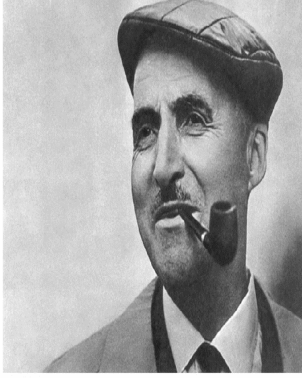
يدخل إلى قلوبنا
ولماذا يحطم الفراق أجنحة الأغنية؟

لا أريد للأغنية أن تنتهي ...

لا أريد للأغنية أن تنتهي



الهيئة العامة
السنورية للكتاب



كونستانتين سيمونوف

(١٩١٥ - ١٩٧٩)

كونستانتين ميخائيلوفيتش سيمونوف
(كيريل ميخائيلوفيتش سيمونوف)

كاتب **سوفيتي** شهير، شخصية اجتماعية مرموقة، مراسل
حربي، حائز جوائز لينين وستالين، بطل العمل الاشتراكي.

كونستانتين سيمونوف واحد من الشخصيات المهمة في
الأدب الروسي. شاعر، كاتب، كاتب مسرحي، ومحرر في أكثر
من صحيفة ...

ولد قسطنطين في ١٥ تشرين الثاني (٢٨)، ١٩١٥ في
بتروغراد. عاش في السنوات الأولى من حياته في مدينة
ساراتوف وفي رязان،

ترعرع في كنف زوج والدته، الذي كان مختصاً عسكرياً ومدرسا في المعاهد العسكرية.

انتقل عام ١٩٣١ إلى موسكو، وكان يعمل في مصنع حتى عام ١٩٣٥ في تلك الفترة تقريباً، كتب سيمونوف قصائده الأولى، ونشرت أعماله لأول مرة في عام (١٩٣٨). بعد تخرجه من معهد غوركي للآداب عام ١٩٣٦ (ونيله شهادات الدراسات العليا، توجه إلى منغوليا.

الإبداع والمهنية العسكرية

في عام ١٩٤٠، كتب سيمونوف مسرحيته الأولى، "قصة حب"، وفي عام ١٩٤١، ظهرت المسرحية الثانية "شاب من مدينتنا".

اجتاز كونستانين سيمونوف بكفاءة دورات لمراسلي الحرب، ثم، مع اندلاع الحرب العالمية، كتب لصحيفتي الراية القتالية "بويوفوي زناميا" "والنجم الأحمر" - كراسنايا زفيزدا.

حصل قسطنطين ميخائيلوفيتش سيمونوف على عدد من الرتب العسكرية، وكان أعلاها رتبة عقيد، مُنح للكاتب في نهاية الحرب

ويرجع الفضل لجنرال الأدب (كما كانوا يلقبون سيمونوف) في نشر الكثير من الكتب المحظورة في العهد الستاليني كروايات إيلف وبتروف وبولغاكوف، وكذلك نشر ترجمات لأهم أعمال إرنست همنغواي، وآرثر ميلر، ويوجين أونيل.... أشهر أعماله:

ابن المدفعي - رفاق السلاح دخان الوطن الام - لن نلتقي ... العقيد سابوروف - أحياء وأموات - الصيف الأخير - أيام وليالٍ - الصغيرة.

* * *

ظلت الحرب وحتى نهاية حياته، الموضوع الرئيسي لسيمونوف - الشاعر والقاص والكاتب المسرحي. وابتداءً من عام ١٩٥٩، صدرت أجزاء من روايته الملحمية "أحياء وأموات" (في عام ١٩٦٤، أنتج الفيلم الذي يحمل الاسم نفسه) - وهو عبارة عن لوحة جدارية رائعة عن أشخاص خاضوا غمار الحرب. لكن الأفلام والعروض الأولى من المواضيع العسكرية التي استوحيت من أعمال سيمونوف

ظهرت مباشرة خلال سنوات الحرب الوطنية العظمى - ووفقاً للكثيرين، شكلت هذه الأعمال دعماً معنوياً كبيراً للجنود ولأولئك الذين ينتظرون عودة الجنود...

هذه القصيدة للأديب الروسي قسطنطين سيمونوف انتظريني " -المكرسة لحبيبتة، الممثلة فالتينا سيروفا، أصبحت ترنيمه لجميع أصدقاء وزوجات المقاتلين السوفييت. نسخها باليد وحفظها من قبل المقاتلين في جيوب البزات العسكرية قرب قلوبهم.

ترجمتها عام ١٩٨٠ ونشرتها جريدة العروبة في ملحقها الثقافي آنذاك، وهي تعرض رسالة من جندي طالت غيبته عن أسرته بينما كان في الخطوط الأمامية يواجه ورفاقه الجيش النازي الذي هاجم بلده وأراد إبادة شعبه.

الهيئة العامة السورية للكتاب

انتظريني وأنا سأعود

انتظريني وسأعود

حسبك أن تنتظري!

انتظري حين تحمل الأمطار الصفراء الحزن

انتظري حين تعصف الثلوج

وحين يشتد الحر

انتظريني حينما يتوقف الآخرون عن الانتظار

متناسين يوم أمس

انتظري حين لا تأتيك من التخوم البعيدة رسائل

انتظري حين يمل الجميع الانتظار

انتظريني وسأعود

ولا تأمني ممن يرى

أن الوقت قد حان للنسيان

ولا بأس أن تحسبني أمي شهيداً!

وكذلك ولدي

ولا بأس إن تعب الأصحاب من الانتظار

وراحوا يحتسون، أمام الموقد، النبيذ لأجلي ...

حزنا وذكرى

أما أنت فلا تتعجلي مجاراتهم الكأس

وانتظريني ...

فسأعود رغم أنف الموت ...!

وسيقول الذين لم ينتظروا إني نجوت بأعجوبة

ولن يفهموا أنك بانتظارك قد أنقذتني

ولن يعرف سوانا، أنت وأنا كيف نجوت

كل ما في الأمر أنك انتظرت

كما لم يستطع أحد من قبل

الوحيية العامة
السورية للكتاب



يوليا درونينا (١٩٩١ - ١٩٢٤)

ولدت يوليا درونينا في موسكو في العاشر من أيار ١٩٢٤. كان والد الفتاة يعمل مدرساً للتاريخ، وكانت والدتها أمينة مكتبة.

ظهرت موهبة الفتاة الإبداعية في الطفولة: فقد كتبت يوليا الصغيرة قصائد عن الحب والطبيعة، تخيلت نفسها برفقة أمير وسيم يرحلان في الخيال إلى بلاد بعيدة لم ترها قط. وأمت يوليا أيضاً حلقات أدبية، وشاركت مراراً في مسابقات الشعراء.

لسوء الحظ، لم يكن المستقبل بهيجاً كما في القصائد، فقد اندلعت الحرب عام ١٩٤١ ومعها حدثت تغييرات مهمة في

حياة يوليا درونينا. فبعد تخرجها من المدرسة، تطوعت الفتاة في الفريق الطبي، ولم تكن قد بلغت سن الرشد.

أُرسلت الفتاة للعمل كمرضة في مستشفى العيون. فرضت الظروف القاسية قواعدها الخاصة: بالإضافة إلى المهام المباشرة، ساعد الطاقم الطبي ومعهم يوليا فصائل المتطوعين في بناء منشآت دفاعية.

بعد أشهر من العمل في الخطوط الأمامية، أصيبت يوليا درونينا بشظايا كادت تودي بحياتها....

بعد الشفاء، التحقت الفتاة بمدرسة الطيران الحربي. وبعد التخرج، سافرت إلى الشرق الأقصى، والتحقت بكتيبة طائرات مقاتلة. حاولت الذهاب إلى الجبهة بكل الوسائل. في هذه الفترة بلغها خبر وفاة والدها فغادرت لحضور الجنازة، لكنها لم تعد ثانية إلى الفوج، بل توجهت إلى موسكو، إلى مركز القوات الجوية. من هنا، ركبت أول قطار متجه التحقت إلى الجبهة الغربية فقد عيّنت في فرقة المشاة ٢١٨. ومرة أخرى أصيبت ولكن بعد الشفاء، حاولت الانتساب إلى المعهد الأدبي، لكنها لم تفلح في المرة الأولى. فانضمت على جبهة البيلاروسية إلى فرقة

المشاة وللمرة الثالثة تصاب يوليا، وبعد شفائها عادت إلى الجبهة، وقاتلت في بيلاروسيا، ثم في دول البلطيق. كدمة، وفي نوفمبر ١٩٤٤ بعد إصابة بليغة في رقبتها أعفيت من العمل في القطاع العسكري، وعادت إلى موسكو.

تركت الحرب ندبات لا تمحى على روح جوليا -الخوف والحزن الذي تعجز الكلمات عن وصفه والحرمان المستمر، وهو ما سوف تعبر عنه في قصائد عديدة عن الحرب.

ستكتب فيما بعد عنوانا لمجموعتها الشعرية تلخص حياتها

حتى ذلك الوقت:

" أنا لم آت من الطفولة، بل من الحرب ".....

في العاصمة، بدأت الفتاة في الاستماع لمحاضرات في المعهد الأدبي.

ورغم أنها لم تجتز امتحانات القبول، فقد سمح للشاعرة الشابة أن تظل مستمعاً حرّاً. وفي مطلع عام ١٩٤٥، ظهرت في مجلة الراية أول قصائد ناضجة ليوليا درونينا، وبعد ثلاث سنوات، في عام ١٩٤٨، تم نشر أول كتاب، بعنوان "في معطف الجندي".

في عام ١٩٤٧، قُبلت يوليا درونينا رسمياً في اتحاد الكتاب. أصبح ذلك الأمر ليس مجرد اعتراف بموهبة الشاعر، بل ودعماً مالياً لها...

وفي عام ١٩٥٥. صدرت لها مجموعة شعرية "حوار مع القلب". أعقبها ثلاثة مؤلفات (رياح من الجبهة) و(المعاصرون) و(القلق).

وقد نالت القصائد شهرة على نطاق واسع فور نشرها، ربما لأنها كانت صادقة ومؤثرة، قريبة وعزيزة على كل شخص عاش آلام الحرب وأهوالها.

"نجمة الخنادق" في سبعينيات القرن الماضي، تم نشر مجموعات "لقد جئت من الطفولة". والصيف الهندي (أو كما يعني باللغة الروسية - صيف الأثنى)، وأخذت تظهر صور وقصائد الشاعرة على صفحات الصحف والمجلات. كذلك كتبت درونينا رواية نثرية أسمتها "أليسكا" - وهو عمل مؤثر يدور حول ثعلب صغير أحضرته الشاعرة إلى المنزل، وأحاطته بالرعاية كأبي حيوان أليف.

وفي عام ١٩٧٩ نشرت كتاباً بعنوان " من تلك القمم " يجسد سيرتها الذاتية.

انتخبت يوليا نائبة في المجلس الأعلى عام ١٩٩٠ وقد صممت على الدفاع عن حقوق الأشخاص الذين شاركوا وضحووا في الحرب الوطنية العظمى، وكذلك الحرب في أفغانستان. ولكن، سرعان ما أدركت الشاعرة، باعترافها الخاص، أن منصب النائب كان في الواقع عديم الفائدة، ولن يتيح لها تنفيذ ما كانت تبني من آمال. فغادرت يوليا درونينا المجلس.

بالنسبة لحياتها الشخصية أحببت لأول مرة قائد الفرقة التي عملت فيها خلال الحرب، وكرست له عدداً من قصائدها، وأغلب الظن أنه قد قضى نحيبه على الجبهة إثر انفجار لغم أرضي... تزوجت فيما بعد من الشاعر نيكولاي ستارشينوف وأنجبت منه طفلة أسمتها هيلينا. كان الألكسي السينهائي ألكسي كابلر حبها الأخير الذي توفي عام ١٩٧٩، والذي كان موته صدمة قاسية، وفارقت الحياة بصورة مأساوية عام ١٩٩١.

* * *

زينكا^(١)

« ١ »

نحن هجعنا عند شجرة التنوب المكسورة
في انتظار الفجر
كنا نشعر بدفء أكثر تحت معطف واحد
على الأرض الرطبة الباردة

أتعرفين يا جوليا، أنا ضد الحزن،

ولكن اليوم لا يهم

في منزل في منطقة نائية حيث بساتين التفاح

تعيش، أمي ...

أنتِ لديك أصدقاء وحبيب

أما أنا فلدي هي وحدها فقط

(١) زينكا تصغير اسم زينا.

الكوخ تنبعث منه رائحة المخلات والدخان
والربيع ينتظر خلف العتبة

يخيل لعجوزتي: أن كل شجيرة
تنتظر ابنتها الشقية
تعرفين يا جوليا، أنا ضد الحزن،
ولكن اليوم لا يهم.



لم نكد نحس بالدفء،
عندما دوى النداء فجأة: "إلى الأمام".
مرة أخرى، في المعطف الرطب،
جندي بجديلة شقراء يسير إلى جانبي.

« ٢ »

كل يوم تزداد الحال مرارة،
مشينا بدون تجمعات ورايات ...

وعلى مشارف أورشا^(١)،
حوصرت كتيبتنا المنكوبة.

زيننا " قادتنا في الهجوم "
لقد شققنا طريقنا عبر الجودار المحترق،
عبر الفوهات التي خلفتها القنابل وعبر الخنادق،
عبر تخوم الموت.



لم ننتظر... مجد ما بعد الموت
أردنا أن نعيش... مع المجد

لماذا أرى الجندي ذا الجديلة الشقراء مستلقيا
ورأسه معصب بالضادات؟

(١) مدينة في روسيا البيضاء.

غطيت أنا جسدها بمعطفي

وأنا أشد على أسناني

بينما غنت الرياح البيلاروسية

لحدائق مدينة ريزان النائبة

« ٣ »

أتعرفين يا زينكا، أنا ضد الحزن،

ولكن اليوم لا يهم ...

في مكان ما في المناطق النائبة التي تعجب بالتحفاح

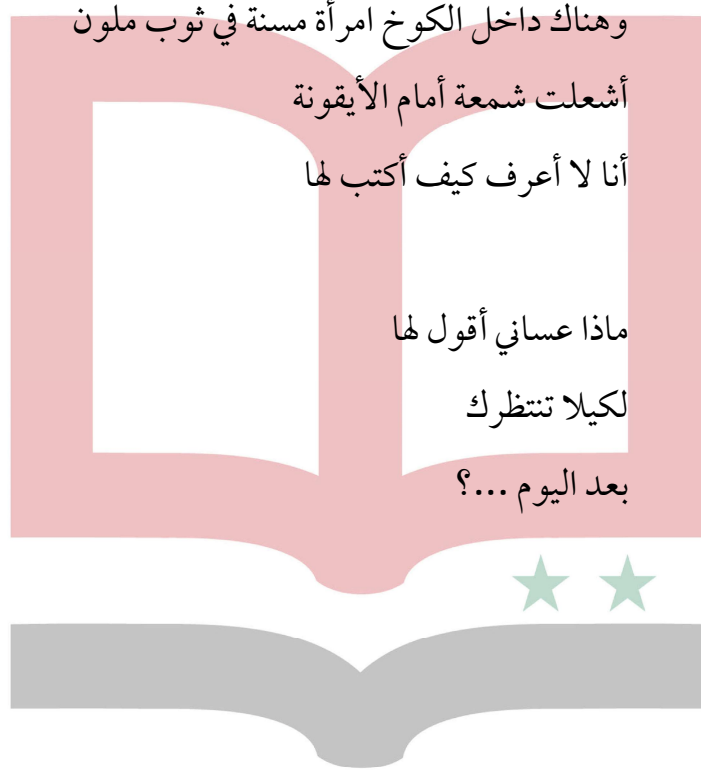
هناك ... تعيش والدتك

أنا لذي أصدقاء وحييب

ولكن لم يكن لديها أحد سواك.

الكوخ تنبعث منه رائحة المخللات والدخان

والربيع ينتظر خلف العتبة



وهناك داخل الكوخ امرأة مسنة في ثوب ملون

أشعلت شمعة أمام الأيقونة

أنا لا أعرف كيف أكتب لها

ماذا عساني أقول لها

لكيلا تنتظرك

بعد اليوم...؟

الهيئة العامة
السورية للكتاب

والدي

لا، لم يمت أبي في الحرب
لم تسمح شيخوخته أن يكون جندياً،
في سبيرييا التي تم أُجلوا إليها
كان يدرّس الفيزياء للأطفال

عاش مثل أي شخص آخر. مثل الجميع،

كان يعاني نقص الغذاء

مثل الجميع، كان يتنهد بحسرة عندما يقرأ

(النشرة المحزنة عن الضحايا).

وكما الجميع كان يغدق حزنه بالفودكا

التي يحصل عليها لقاء حصته من الخبز

كان ينتظر الأخبار من الجبهات - رسائل مني،

... وسعاة البريد كانوا يمرون جانباً

بعيداً عن الدخان والنار

لم تكن تشفى حروق الحرب في جسده ...

في الواقع، كان يبدو رجلاً مسناً قوياً

ممشوقاً، يضح حيوية، بلون الشباب

ويقولون إنه دون أن يُعلم زوجته

سعى كثيراً للذهاب إلى الجبهة

في سيبيريا، كان يتحمل بسهولة

مصاعب الحياة، قلة النوم، الجوع

لكنه لم يكن يحتمل

سقوط مدينة بيد العدو

أظلم الكون في عينيه وفي القلب تمزق خيط
من تلك التي تربطه بالحياة
نحن في ساعة المحنة فقط
ندرك حبنا للوطن الأم
خيط في إثر خيط. كل شيء كان يشير إلى تمزق القلب
(الآن يسمونه نوبة قلبية...)
في هذا الوقت زحف صيف عسكري آخر
إلى القرية السييرية....

حاولوا إخفاء بيانات الحرب عن الرجل الشيخ،
لقد حاولوا -ونادراً ما نجحوا بذلك
سطر تحذير من مكتب الإعلام
أصاب القلب بدقة....

كان يخبث بالدخان والنار

رغم أنه عاش في سييريا - في منطقة آمنة
لا، لم يمت أبي في الحرب،
ولكن الحرب هي من قتله

آه، لو أنه كان يعرف في ذلك الحين
في تلك القرية النائبة، في ساعة التراجع المريرة،
أن ابنته ستقحم مدناً غريبة بعيداً عن وطنها

على متن الدبابة (ت - ٣٤)!

الهيئة العامة
السورية للكتاب

أمسيتان

كنا نقف على ضفاف نهر موسكو،
الرياح الدافئة تداعب فستاني ...
فجأة رماني بنظرة محيرة
خيل إليّ أنها تشبه
النظرات إلى الغرباء

حدقت بي وابتسمت قائلة:

"لا يمكن أن أتخيلك جندياً؟"

كيف كنت، بحق السماء، في الحرب؟
هل كنت تنامين على الثلج،

وتضعين البندقية تحت رأسك؟

أنفهمين، أنا لا أستطيع أن أتصورك

وأنت تتعلين الجزمة العسكرية ...!

.....

آه، لقد تذكرت أمسية أخرى

مدافع الهاون كانت تقصف، والثلج يتساقط

قال لي انسان عزيز (يشبهك كثيراً) بهدوء:

ها نحن نفترش الثلج، ونتجمد من البرد

وكأننا لم نعش في المدن....

أتعرفين، لا أستطيع أن أتخيلك

تلبسين حذاءً بكعبٍ عالٍ!.....



الهيئة العامة
السورية للكتاب

في سن السابعة عشرة

في سن السابعة عشرة كنا بالغين تماماً.
فنحن، كانت لدينا فرصة للنمو في الحرب
والآن تالنا جيل من الفتيات طويلات القامة
وذوات الخصلات المنفوشة المشعثة
من الشعر اللامع

الشياطين الجميلة! لقد كنا من طينة مختلفة

نحن أطفال زمن الحرب الجائع
لكن الشبان من أصدقائنا
كانوا ينظرون إلينا على أننا حسان

كان الأحباء يقبلونا في الخندق
ويقسمون على الإخلاص
ونحن النحيلات المتسخات، كنا أجمل
ونعتقد أن هذا المدى الحياة

أوه، فقط للبقاء على قيد الحياة! عاد قليل.
وهل من الممكن إلقاء اللوم على الأحياء
الذين تعجبهم الفتيات ذوات السيقان الطويلات
اللواتي ولدن للتو في الحرب؟
وكيف لا يمكن أن يعجبهم الربيع
وتفتح الأزهار، واحتذاء الكعوب العالية للمرة الأولى
وخصلات الشعر المنفوش المحترق بالصبغة
عندما تكون عشيقاتهم في السابعة عشرة من العمر.

والسنوات، مثل أوراق الخريف، دوامة

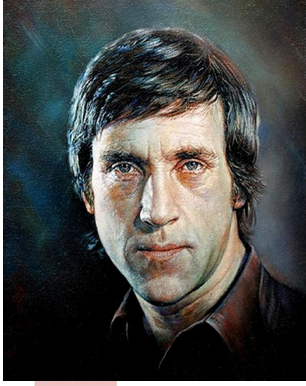
ويبدو لي في كثير من الأحيان، يا أترابي

أننا في النضال من أجل الحب،

يليق بنا أن نتحلى بالشجاعة

لا تقل عن الشجاعة في زمن الحرب

* * *



فلاديمير فيسوتسكي
(١٩٣٨ - ١٩٨٠)

وُلد فلاديمير فيسوتسكي في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٨ في موسكو. ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية، ذهب الأب إلى جبهات القتال، وانتقلت الأم والابن إلى منطقة أورينبورغ. عاشا فيها لمدة عامين وعادا في عام ١٩٤٣ إلى موسكو. هنا، ذهب فلاديمير البالغ من العمر سبع سنوات إلى الصف الأول، ولكن بعد انفصال الوالدين عام ١٩٤٦ عاش الصبي فلاديمير في كنف أبيه وبعد عام غادر إلى ألمانيا برفقة والده الذي أرسله إلى هناك بمهمة من وزارة الدفاع.

وفي عام ١٩٤٩ عاد إلى روسيا، واستقر به المقام في مدينة موسكو حيث أتم تعليمه في مدارسها. وفي المدرسة، أظهر فلاديمير فيسوتسكي ميولا للأدب: فكتب في سن الرابعة

عشرة، مع زميله فلاديمير أكيروف قصة من الخيال العلمي مستوحاة من رواية الكاتب الروسي الشهير ألكسي تولستوي " هير بولويد المهندس غارين " .

وفي عام ١٩٥٣، أَلَّفَ فيسوتسكي قصيدته الأولى التي كرسها للزعيم السوفياتي جوزيف ستالين.

في عام ١٩٦٠، حصل فيسوتسكي على دبلوم "ممثل الدراما والسينما" في مدرسة موسكو للفنون المسرحية. عُيِّنَ الخريج في مسرح ألكسندر بوشكين في موسكو. لكن الصوت الفظ وملامح فيسوتسكي دفعت المخرجين لعدم استثمار موهبته ومنحه أدوارا في المسرح.

ولأجل كسب قوت يومه راح فيسوتسكي يظهر موهبته كشاعر، فكانت قصائده " الوشم " و " زقاق كاريتني الكبير " و " حصار لينينغراد .

وقد ابتدع أسلوبه المتميز في إيصال كلماته وأفكاره، وذلك بأن صار يقرأ أشعاره وهو يعزف على الغيتار. وقد حاز هذا الاتجاه إعجاب الكثيرين، وانتشرت قصائده بين الناس انتشار النار في الهشيم.

وفي عام ١٩٦٤ بدأ عمله كممثل في مسرح موسكو للدراما والكوميديا، وشارك في عمل مبني على رواية " بطل زماننا" للشاعر الروسي ميخايل ليرمونتوف، وأعمال أخرى لكتاب معروفين مثل "عشرة أيام هزت العالم" لجون ريد ومثل في مسرحيات بيرتولد بريخت "الرجل الطيب من سيزوانا و"حياة غاليلي" وفي أعمال درامية للشعراء الروس ماياكوفسكي ويسنين كما شارك في عشرات الأعمال الإذاعية مستوحاة من مؤلفات جاك لندن ولويس كارول وألكساندر بوشكين.

وكان يكتب قصائد غنائية لتأديتها في مسارح أخرى في

روسيا.

وقد ساعدت موهبته في المسرح على غزو عالم السينما فقد تسابق المخرجون السينمائيون في استثمار شخصيته وقدراته ومواهبه المتعددة في أعمالهم التي شهدت نجاحاً وشهرة واسعة مثل فيلم (فيريكال) الذي ضم خمس قصائد غنائية من بينهم قصيدة " أغنية عن الصديق " وقصيدة " القمة " وفيلم " لقاءات قصيرة " و" المبارزة " و"مكان اللقاء لا يمكن تغييره " و"عصر الرحمة ".

تميزت أعمال فيسوتسكي بتنوع مواضيع الأغاني. خلال الفترة المبكرة، كان الاعتماد على تقاليد الرومانسية الحضرية. بعد ذلك، أدرج مواضيع الحرب في ذخيرته ("كتائب العقوبة"، "أغنية عن النجوم"، "الجميع غادروا إلى الجبهة"، "المقابر الجماعية"، "إنه لم يعد من المعركة"، "الرسالة"، إلخ). ثم القصائد الغنائية ("بيت من الكريستال"، "الفالس الأبيض"، "الشموع تضيء لأجلي كل ليلة ..."، "هنا تهتز أذرع أشجار التنوب في الهواء ..."، "أنشودة عن الحب" وغيرها). وتشكيلات شعرية فلسفية مثل ("الخيول الجريئة"، "أنشودة عن الزمن" و"سباق الخيول النبيلة" و"وقدران" و"حكمة عن الحقيقة والزيغ").

يتألف التراث الأدبي لفيسوتسكي من أكثر من ٢٠٠ قصيدة، بالإضافة إلى أكثر من ٦٠٠ أغنية وقصة شعرية واحدة للأطفال ...

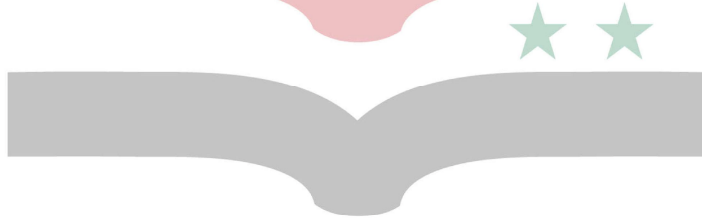
في عام ١٩٨٥ اكتشف علماء الفلك في مرصد شبه جزيرة القمر كويكبا حديثا بين مداري المريخ والمشتري - وأطلقوا عليه اسم (فلاديفيسوتسكي). هناك في الفضاء الكوني، بين

عدد كبير من الكواكب، تسعى نقطة مضيئة صغيرة، وهذا الجسم السماوي الذي سيعيش ملايين السنين يحمل اسم الشاعر والمغني والممثل الشهير -فلاديمير فيسوتسكي. فمن هو الممثل أو الشاعر أو المنشد؟ في مقابلة معه، أجاب هو نفسه على هذا السؤال بهذه الطريقة: "أعتقد أن الجمع بين تلك الأنواع وعناصر الفن التي أقوم بها ربما تكون نوعاً جديداً عن الفن. ربما سيدمج كل هذا في المستقبل بكلمة واحدة، ولكن حتى الآن هذه الكلمة ليست موجودة.

كل حضور شعري أو مسرحي كان يغني فيه أشعاره كما لو أنه اليوم الأخير في حياته. خلال أدائه قد يكون صاحباً جداً كالبحر، أو عاصفاً جداً كإعصار إلى درجة أن الناس الذين يجلسون في القاعة يغلقون أعينهم أو ينكمشون على أنفسهم، كما لو أن ريحاً عاتية هبت عليهم. لحظات، وسينهار السقف، أو ستفجر مكبرات الصوت، ستقطع الأوتار، غير قادرة على تحمل الضربات، وسيسقط فيسوتسكي نفسه، سيختنق، ويموت على المسرح... رب قائل: من الصعوبة بمكان الغناء بتحرير هذا الكم الهائل من الطاقة الروحية والعصبية والأداء

الذي يجبس الأنفاس! لكن فيسوتسكي فعل ذلك وغنى. كما لم يفعل أحد من قبل.

وقد تكون أغنيته التالية هادئة بشكل مثير للدهشة. ومن هنا تتسلل ببساطة إلى أعماق النفس الإنسانية. فيسوتسكي، الذي بدا وكأنه بركان ثائر، فجأة يتحول إلى كائن يجسد الهدوء الأسر، الكائن الذي يحيط بكل أسرار الوجود.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

بيت من الكريستال

إذا كنت غنياً كملك البحار،
قل لي فقط بصوت جهور: "أمسك بالطعم" -
العالم ما تحت الماء وما فوق الماء ليس غريباً لي
وسألفضه، دون تردد.

منزل من الكريستال على الجبل - لأجلها،

أما أنا، فلا يهم إن كبرت ككلب مقيد بسلسلة،

يا ينايعي الفضية

ويا نثرات الذهب!

إذا كنت فقيراً، مثل كلب - وحيداً،

وليس في منزلي شيء،

فأنت ستساعدني لا شك أيها الرب

ولن تسمح بإنهاء حياتي بهذه السرعة ...

منزل من الكريستال على الجبل - لأجلها،
أما أنا، فلا يهم إن كبرت ككلب مقيد بسلسلة
يا ينايبيعي الفضية،
ويا نثرات الذهب

أنا لن أساويك بأحد في الكون

أفعل ما شئت بي، أطلقني علي النار.

انظري، كيف أتملى من حسنك

مثلما أتملى من عذراء رافائيل

منزل من الكريستال على الجبل - لأجلها،
أما أنا، فلا يهم إن كبرت ككلب مقيد بسلسلة
يا ينايبيعي الفضية،
يا نثرات الذهب!

أنشودة عن الحب

عندما عادت مياه الطوفان العظيم

عندما عادت مياه الطوفان العظيم

مرة أخرى إلى الشواطئ،

خرج الحب بهدوء إلى اليابسة،

من رغبة الأمواج الراحلة

وذاب في الهواء قبل أوانه

وموعده قد يطول

لا يزال هناك غريبو الأطوار

يتنفسون ملء رئتهم هذا المزيج

ولا يطمعون بمكافأة، ولا يخشون عقاباً،

ولأنهم يؤمنون بأنه يتنفسون هكذا ببساطة

يسقطون فجأة في الإيقاع المناسب

لنفس مماثل غير منتظم.

شعور يلفني فقط كما السفينة
التي همها أن تبقى طافية على السطح ما استطاعت،
قبل أن تدرك أنني " أحب "
"تماما كما أتنفس " أو كما " أعيش "
وسيكون هناك الكثير من التجوال والأسفار:
بلاد الحب - بلاد عظيمة!

سوف تمتحن فرسانها

يوما بعد يوم

لمعرفة قدراتهم:

ستطلب الفراق والبعد،

وتحرمهم السكون والراحة والنوم....

ولكن لا يمكن إقناع المجانين بالعدول

فهم قد وافقوا على الدفع:

مهما كان الثمن - ومستعدون للمخاطرة بحياتهم
للحفاظ على ذاك الخيط السحري الخفي
الذي مدته الأقدار بينهما.

الريح المنعشة أسكرت القديسين
أطاحت بالكائنات، وأحيت الموتى،
لأنك إذا لم تعشق،

فأنت لم تعش ولم تتنفس

هناك الكثيرون ممن اختنقوا بالحب
والصراخ لن يصل لأحد مهما حاولت،

وأيام هؤلاء محكومة بالشائعات والثرثرة الفارغة،
وحكايتهم مروية بالدم

وسوف نضع الشموع قرب رؤوس
أولئك الذين سقطوا صرعى حب لا مثيل له ...

أصواتهم تندمج دائماً مع الإيقاع
ومكتوب لأرواحهم التجوال بين الزهور،
وأن يتنفسوا الخلود معاً في آنٍ واحدٍ
وأن يتلاقوا وآهات على الشفاه
على المعابر الهشة والجسور
وعند مفارق الكون الضيقة.

سوف أفرش الحقل سريراً للعاشقين

دعهم يغنوا في المنام وفي اليقظة

أنا أنفَس، هذا يعني أنني أحب

أنا أحب، وهذا يعني -أنني أعيش

الهيئة العامة
السورية للكتاب

يوماً بعد يوم أنا معك، وفي إثرك ...

يوماً بعد يوم أنا معك، وفي إثرك،

كما لو أنك همي الوحيد،

يبدو الأمر كما لو أنني أتعب شيئاً حاسماً

ذلك الذي سوف يزيل الحنين بلمسة

يا للحماقة - بعد كل هذا، من أكون أنا؟

ما حاجتك لانتظاري،

أنت بحاجة لرجل آخر وحياة هادئة

ومعي - لا تعرفين الهدوء، ولا طعم النوم.

كم سنة مضت عبثاً - ما هو السر؟

ربما أنا غير محظوظ؟ لا أعرف

أجول في أيار أشبه بمتشرد

ربما قدرني ليس في نبوءات العرافة

ربما كان هذا عقاب السماء؟

ففي كل خطوة أتعثر:

لعمري، كل خطوة يقابلها مصيبة.

وحالما أعرف السبب - سوف أطلب الغفران.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الوشم

لم نتقاسمك ولم نلاطفك،
أما أنا عشقناك - فهذا أمر في جعبة الماضي.
أحمل في روحي صورتك المشرقة، يا فاليا،
وأما أليوشا فقد نقش صورتك على صدره.

وفي اليوم الذي تودعنا فيه في المحطة،

وعدتك أن أتذكرك حتى القبر،

"قلت جهاراً: "لن أنسى ما حييت فاليا

"وأنا - بصورة خاصة!" - أجاب ليوشا

والآن قرري أي واحد منا أسوأ حالا

ومن يعاني أكثر - جربي معرفة ذلك

لديه رسم وجهك المحفور على صدره من الخارج،

وأما أنا فروحي مלאى بالجروح، من الداخل. !!!

وعندما أكون مريضاً جداً، لدرجة أنني أشتهي المقصلة
(أرجو ألا تؤذيك كلماتي)
أطلب من ليوشا أن يخلع قميصه،
لأتملى، أتملى ساعات النظر اليك ...

لكن في الآونة الأخيرة،

أراحني صديق طيب بفنه، من الشوق القاتل،
بنسخ صورتك عن صدر صديقي اليوشا
وحفرها على صدري.

أعلم أنه من العيب ذم الأصدقاء،

ولكنك أنت أقرب وأحب لي
لأن وشمي (أو بالأحرى - وشمك)

أفضل بكثير وأكثر جمالاً من الوشم على صدر ليوشا

لكن وشمي (أو بالأحرى - وشمك)
أفضل بكثير وأجمل من الوشم
على صدر صديقي ليوشا!

* * *



الهيئة العامة
السورية للكتاب

(أشعار عن الحرب)

رسالة

قبل نصف ساعة من بدء الهجوم،
قريبا سنكون تحت الدبابات مرة أخرى
وسنستمع ثانيةً إلى موسيقا الانفجارات.
وهناك مقاتل شاب وصله من بيته

مغلف مثلث صغير أزرق.

وكأنك لست هنا

إذا كانت السطور خطتها يد العروس

أو والدك كتب لك أو والدتك،

ولكن حدث شيء آخر

يبدو أنهم عبثا

سارعوا بتسليم الرسالة إلى الجندي قبل المعركة.

بدأت الرسالة بهذه العبارة:

اعذرني لصمتي الذي طال

" لن أنتظر أكثر "

وهذا كل ما احتوته الرسالة

وعلى حاشية الورقة:

سأسافر إلى جهة غير قريبة،

فقاتل كما يحلو لك



"سامحني إذا كنت قد أخطأت بحقك".

ومع أول انفجار

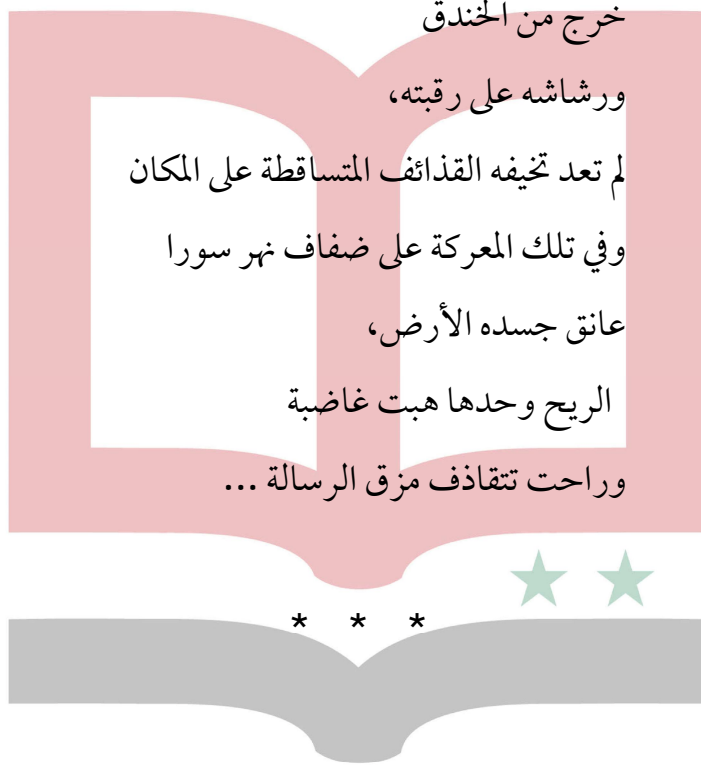
صرخ الشاب بأسى

يا ساعي البريد، ماذا أحضرت لي؟

قبل الموت بدقيقة واحدة

في مظروف مثلث

رصاصه اخترقت صدري!



الهيئة العامة
السورية للكتاب

أغنية برودسكي

(مهداة للشاعر الروسي
يوسف برودسكي في مهجره...)

نحن لا نختلف عن الآخرين قد نكون فرحين
وقد نكون مكتئبين،

ولكن إذا كان علينا أن نختار، والاختيار صعب -

نختار بزات خشبية،

أيها الناس!! أيها الناس

سيطلب منا بالحاح ألا نفوت الفرصة

أه، سيقولون: ما هذا الكلام أنتم لم تعيشوا بعد!

وعلينا فقط أن نبدأ

وبعدها سوف يُخبروننا: إما - أو.

إما الشواطئ، أو المعارض، أو حتى
القوارب البخارية، أقيمتها الملائمى بالمؤونة،
أو العربات، وسباق الخيول، والدروب، والأسفار،
أو مجرد بزات خشبية.

وسواء كانوا سعداء أم غاضبين
أم يظهرون على هيئة مهرجين شريرين

أم قضاة صالحين

ولكن سيعرضون علينا بزات خشبية
أيها الناس! أيها الناس!

يمكنهم حتى أن يعرضوا علينا أن ندخن:
آه، وسيتذكرون أننا لم ندخن منذ فترة طويلة
أجل وأننا لم نبدأ العيش بعد
وبعد كل ذلك، يخبروننا: إما - أو.

دخان السجائر يحرك شيئاً ما في داخلك

نفثة واحدة – وتضحو الأفكار أكثر بهجة

كم هي عارمة الرغبة بالتدخين!

أي شهوة للتدخين!

ولكن علينا أن نختار البزات الخشبية ..

وسوف يكونون مهذبين ولطيفين لدرجة

وسوف يعدوننا بحياة سعيدة على طبق من فضة.

لكننا سنرفض كل عروضهم -

وسيضربوننا هم بلا رحمة،

أيها الناس! أيها الناس ...

الهيئة العامة
السورية للكتاب

الأبناء يذهبون للقتال

اليوم لا تسمع دقات القلوب
إنها اليوم للحدائق وخلواتها.
أنا أقع، وصدري يتلقى رصاصة،
وعلى أثرها سنحت لي فرصة للتفكير:

"هذه المرة لن أعود،

سأرحل عن هذا العالم - وسيأتي آخر".

لم يكن لدينا نحن الوقت، لم يكن لدينا وقت،

لم يكن لدينا وقت للنظر إلى الوراء -

وأما الأبناء، أما الأبناء فها هم يتوجهون للقتال

رب قائل: "ليكن من بعدنا - الطوفان".

حين خطأ من الخندق إلى الهاوية

ولهذا أنا غادرت خندقي،
حتى لا يكون هناك طوفان.

الآن سوف أغمض عيني
وأعانق بحرارة الأرض.
لم يكن لدينا وقت، ولم يكن لدينا وقت،
ولم يكن لدينا وقت للالتفات إلى الخلف -
وها هم الأبناء يذهبون ها هم يذهبون للقتال



من سيحل مكاني، من سيواصل الهجوم؟

من الذي سيبلغ الجسر المنشود؟

كم كان بودي أن افعل ذلك -

لا بأس فليحقق الأمل ذلك الشاب

الذي يرتدي ثيابا لا تناسب قامته.

لا يزال لدي بعض الوقت للابتسام،

فقد رأيت من يجر قدميه للوصول إليّ،
لم يكن لدينا وقت، ولم يكن لدينا وقت،
لم يكن لدينا وقت للنظر إلى الخلف
ويذهب الأبناء، الأبناء إلى الحرب
دويُّ الانفجارات يطغى على دقات القلوب
لكن قلبي راح يخفق بقوة صارخاً،
معلتا أن نهايتي لا تعني النهاية:
لأن النهاية هي بداية لشاب آخر....

الآن سوف أغمض عيني،

وأعانق الأرض بحرارة.

لم يكن لدينا وقت، لم يكن لدينا وقت، لم يكن لدينا وقت

للاتفات إلى الخلف -

أما الأبناء، أما الأبناء، فها هم يذهبون للقتال

* * *

لم يعد من المعركة

لماذا يبدو كل شيء غريباً؟

علماً أن كل شيء في الكون على حاله:

السماء بزرققتها

نفس الغابة، نفس الهواء، ونفس الماء....

شيء واحد حدث - إنه لم يعد من المعركة.



أنا في حيرة الآن، لست أدري من منا كان على صواب

في نزاعاتنا التي لم نكن نعرف فيها الراحة ولا النوم.

لأول مرة أشعر بحاجة ماسة إليه -

حين لم يعد من المعركة.

كان صمته غريباً، ولم يملك حسّاً موسيقياً،

وكان يتحدث دائماً عن أشياء لا تهمني،

كان يحرمني النوم،
وكان ينهض مع شروق الشمس،
ولكنه البارحة لم يعد من المعركة.

أشعر الآن بفراغ لا يوصف،
ولكنني لست في صدد هذا:
فجأة اكتشفت - بأننا كنا اثنين

بالنسبة إليّ ما حصل - كما لو أن ريجاً عاتية،
أطفأت النار التي تمنحني الدفء والأمان،
عندما لم يعد من المعركة

اليوم انطلقت من حنجرتي نداء،
أشبه بالربيع الذي تحرر من الأسر
هتفت له:
يا صديقي، تعال ندخن!" وكان الجواب - الصمت الأخرس:

إنه لم يعد البارحة من المعركة.

أنا أعرف، أن موتانا لن يتخلوا عنا في محتتنا.
شهادوا مثل حرس الحدود ...
وعادت السماء تنعكس في الغابة، كما هو حالها في الماء،
والأشجار تتصب زرقاء

كان لدينا مساحة كافية في الملجأ،

وكان عقارب الزمن تجري -لنا معاً، لي وله

وأما الآن فكل ما يجري ...

يخص شخصاً واحداً.

غير أنه يخيل إليّ -

أنني أنا لم أعد من المعركة

الهيئة العامة
السورية للكتاب

أغنية عن الحرب

وميض الغروب مثل بريق الخربة.
الموت عاين فريسته.
ستكون المعركة غداً، ولكن الآن
الفصيل تواري في السحب
ومضى عبر الممر الجبلي

كفوا عن الحديث

إلى الأمام وإلى أعلى، وهناك....

أليست هذه هي جبالنا

سوف تكون عوناً لنا!

ستكون عوناً لنا!

أذكر الشاب الألماني

الذي تسلق قبل الحرب هذا المنحدر بصحبتك،

وقد سقط آنذاك ولكننا أنقذناه من الموت،

والآن، ربما هو

يجهز بندقيته لقتالنا.

كفوا عن الكلام

وتقدموا إلى الأمام وإلى أعلى، وهناك

أليست تلك جبالنا

إنها ستكون عوناً لنا

ستكون عوناً لنا

أنت هنا ثانية، ومستعد للقتال تماماً

تنتظر الإشارة المنشودة

وذاك الشاب الذي أنقذناه ذات يوم - أيضاً هنا،

بين الرماة من " إديلويس"^(١).

يجب إزاحتهم من المعبر

(١) الفرقة الجبلية الأولى في الجيش الألماني التي شاركت في غزو روسيا في

الحرب العالمية الثانية (المؤلف).

كفوا عن الحديث!

وانطلقوا إلى الأمام وإلى أعلى، وهناك....

أليست هذه جبالنا -

إنها ستكون عوناً لنا

ستكون عوناً لنا

الفصيحة تتسلق الجبل،

وهناك عند النهر

الشخص الذي رافقته في هذه الجبال من قبل

نحن في انتظار الهجوم نتحرق شوقاً،

غير أن الرماة من جبال الألب

اليوم، ليست لديهم المهمة للقتال ...

كفوا عن الكلام وتقدموا

إلى الأمام وإلى أعلى، وهناك....

جبالنا -

التي ستقاتل معنا!

ستقاتل معنا



روبرت روجديستفينسكي

١٩٩٤-١٩٣٢

ولد روبرت في غربيّ سييريا لأب بولندي الأصل وأم روسية، وخلال أعوام الحرب العالمية الثانية عاش الصبي في كنف جدته ثم خالته؛ لأن والدته التي درست في معهد طبي استدعيت للعمل في الخدمات الطبية على الجبهات، واستشهد والده في إحدى المعارك ضد النازيين.

بدأ روبرت كتابة الشعر منذ نعومة أظفاره، ورغم سني الحرب القاسية تابع الكتابة، ونشرت له الصحف أشعاره.

درس روبرت في معهد موسكو للآداب، وتخرج عام ١٩٥٦. ونظراً لموهبته المتميزة والمبكرة قُبل عضواً في اتحاد الكتاب السوفييت، وهو في السادسة والعشرين من عمره (كان ما يزال طالباً في معهد مكسيم غوركي). وذلك يعني اعتراف الأوساط الأدبية بنضج شاعرية روبرت روجديستفينسكي.

تعرف زوجته آلا كيريفا خلال الدراسة، ورزقا بطفلتين
عاشا معا بسعادة حتى وفاته.

عرف عنه الهدوء ودمائة الأخلاق والطيبة إضافة إلى موهبة
فريدة، فقد تميز من شعراء جيله (يفتوشينكو وأحمدولينا)
بشعره الأقرب إلى الواقع وإلى هموم ومشاعر الناس، وهذا ما
جعله الشاعر الغنائي المتميز، إذ غنيت مئات القصائد التي
كتبها روبرت والتي أحبها الملايين.

صدرت أول مجموعة له (رايات الربيع) عام ١٩٥٥،
(حبي) عام ١٩٥٦، (تجربة) عام ١٩٥٦، (الجادة المبحرة)
١٩٥٩، (جزر غير مأهولة) ١٩٦٢.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

صدى الحب

السماء تغرق في غبار النجوم
والأغصان تنحني بحرية
سوف أسمعك على بعد ألف ميل
نحن -الصدى وحسب
نحن -الصدى

نحن الصدى الأبدي كل للآخر

وبالنسبة إليّ، أينما كنت

من السهل أن أصل إليك بقلبي

مرة أخرى يدعونا الحب إليه.

نحن -الحنان

نحن -الحنان.

نحن -الحنان الأبدي كل للآخر.

وحتى في أرجاء الظلام الزاحف

خلف تخوم دائرة الموت

أعلم أننا أنت وأنا لن نفرق

لأننا نحن - الذاكرة

نحن - الذاكرة

نحن ذاكرة النجوم...

كل منا للآخر....



الهيئة العامة
السورية للكتاب

تذكروا

- مقتطف من قصيدة -قداس

تذكروا !!

عبر القرون، عبر السنين

تذكروا!

أولئك ...

الذين لن يعودوا أبداً

تذكروا!

لا تبكوا!

احبسوا الأنين في حناجركم

الأنين المر

ولتكونوا جديرين بذكرى الذين سقطوا

جديرين بذكراهم على مدى العصور

فلتعزوا بهم ولتكونوا جديرين بذكراهم

بالخبز والأغنية
بالحلم والشعر
بالحياة بكل مساحتها
كل ثانية
مع كل نفس
كونوا جديرين بذكراهم
أيها البشر!

ما دامت القلوب تخفق في الصدور

تذكروا!

الثمن الذي دُفع
لكي نعيش نحن بسعادة
أرجوكم، تذكروا!

عندما تنشُدون الأغاني بفرح
وتملؤونها بالحياة
تذكروا!
أولئك الذين لن تكون لهم فرصة الغناء ثانية

تذكروا!

احكوا لأطفالكم عنهم،

لكي يتذكروا!

احكوا لأحفادكم عنهم

لكي يتذكروا، هم أيضاً

على امتداد أزمنة، على الأرض الخالدة

تذكروا!

وحين تقودون السفن إلى النجوم المتلائة

تذكروا الشهداء!

استقبلوا الربيع الواجف

يا سكان الأرض

اقتلوا الحرب،

والعنوا الحرب

يا سكان الأرض

احملوا حلمكم عبر السنين

ولتكن حافل بالحياة

ولكن لا تنسوا أولئك الذي رحلوا ولن يعودوا أبداً

أناشدكم بحق السماء أن تتذكروا!

وطني

نحن
أنا، أنت، هو، هي،
معا، البلاد بأكملها
معا - عائلة متحابّة،

في كلمة "نحن" - مئة ألف "أنا"

عيون كبيرة، زرقاء، سوداء، عسليّة، ولون الكتان

حزينة وضاحكة

في المدن والقرى

الشمس تضيء سماءك
وطني
أنت أجمل ما في الكون
وطني

أنا أحب حقولك وجبالك
بحيراتك الناعسة وبحارك المائية
فوق مروجك يحني ظهره
قوس قزح
مائة طريق ستفتح لنا
والتايغا الزرقاء تبسط أمامنا مئة درب
كي نستكشف أسرارها

ويحين موعد الثمار الناضجة
ومرة أخرى سوف تكسو الأرض

ثلوج بيضاء ضخمة بديعة
كما لو أننا في احتفال مهيب

سوف تنظر إليك النجوم بدهشة

وسيشتعل الشفق المقدس مضيئاً نصف سماءك.
في الفضاء الرحب الأزرق سوف تغني الطيور بفرح
وسوف تتردد الأغنية في السحب
في لغاتك المجنحة!
الشمس تضيء فضاءك،
تسكب خيوطها الذهبية من أفلاكها شلالاً.

ليس هناك في العالم عقبة يمكن أن تعيق مسيرتنا،
نحو الغد المشرق،
نستطيع أنت وأنا معا، صنع المعجزات ...

سأعانق، أيتها الأرض المقدسة،
أشجار البتولا التي تزين ساحاتك وغاباتك،
سأنظر في عيون العواصف الرعدية البهيجة

وسوف أرتمي بين أزهارك
ضاحكا من السعادة....

ما أبدع الربيع وهو يحضن
سهولك ورباك المترامية.
ما أعرفه هو أن مصيرك إلى المجد، إلى النور
ليس لربوعك نهاية ولا بداية.

وتجري أنهارك العظيمة وضياء مهيب،

مثل أغنية ساحرة، عنك مثل احتفال مهيب...

الهيئة العامة السورية للكتاب

الطبيعة الروسية

آه يا وطني، أنت وقفت قرب مهدي، طفلاً،
وكنت أغفو على أغانيك،
أذكر كيف أهديتني السنونو في نيسان،
وابتسمت الشمس لي من خلال المطر.

كانت تخونني قواي أحياناً

وتحرق القلب مرارة الدموع،

كنت تتحدثين معي مثل الأخت

عبر حفيف أشجار البتولا، حين داعبها النسيم.

ألست أنت من علمني (أتذكر تلك السنين)؟

أنه عندما تعصف الشدائد

يجب أن أنغرس في أرض الوطن الحبيب، كأشجار الصنوبر،

أن أظل واقفاً ولا أنحني أبداً؟

فيك عظمة شعبي

حقول روحه المترامية بلا حدود،

أيتها الطبيعة الروسية الساهمة

حسنائي التي لا مثيل لها!

أنظر إلى وجهك - فيطالعني الماضي كله،

والمستقبل كله يتجلى أمام ناظري

وفي غمرة العاصفة المفاجئة

وفي لحظات السكينة

أناديك مثل قلب الأم.

أنا أعرف - أن في ربوعك الشاسعة المملأى بالسنابل

في أحضان الغابات وفيضانات أنهارك

مصدر القوة وكل ما سيحققه في هذا العالم

جيلي الملهم هذا الزمن

ليلة بيضاء

(جبهة فو خوف)

بين الغيوم، فوق بحيرة لادوجا المترامية،
مثل دخان المستنقعات
مثل حلم قديم من الحديد مزين بالنقوش
إنها تستيقظ مرة أخرى

تولد من جديد محاطة بالأسرار

يتسلل إليها الفجر،

من الغيوم، من الدخان القاتل

إنها مدينتي

الشوارع والحدائق هي نفسها لم تتغير

وصف من الأعمدة

لكن الضوء انتشر بينها ضعيفاً

لا في اليقظة ولا في حلم

وجيها لفحته نار الحصار الجافة
وعليه يرتسم
وهج تلك الأيام، حين انفجرت فيها القذائف
كل شيء سيعود: برودة الجزر،
الأعمدة والأسود،
رايات المواكب، وحرير العرض في أيار

وزرقة نهر النيفا

وسوف نمر في نفس المساء اللطيف
بمحاذاة تلك الأسوار

فتحلق أنظارنا مع سارية الأدميرية

ودانتيل سور الحديقة الصيفية،
ومرة أخرى، سيرمي الفجر وهجه القرمزي،
على الجرانيت الرمادي، في القنوات البيضاء،
في الظلمة الشفافة.

آه يا مدينتي! من خلال كل أهوال المعركة

من خلال حرارة الحلم

تزوريني في المنام

على هيئة تمثال برونزي بوجه بطل!

أنا سعيد لأنني خلال السنوات العاصفة

كنت معك،

وأنني استطعت أن اقدم لفجر حريتك صوتي كله

أنا سعيد لأنني وسط اللهب المستعر

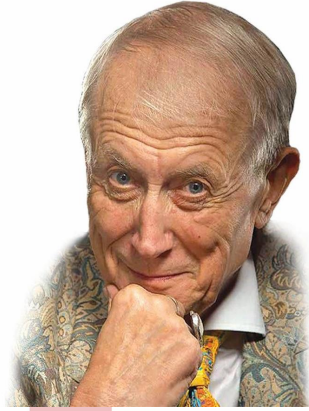
ودخان الحصار

دافعت بنفسني

بالرصاصة وبالكلمة عنك يا مدينتي

يا لينينغراد....

الهيئة العامة
السورية للكتاب



يفغيني يفتوشينكو

(١٩٣٢ - ٢٠١٧)

يفغيني يفتوشينكو ولد في سييريا من أب ألماني، هو الجيولوجي **ألكسندر رودولفوفيتش غانغوس**. والأم الروسية زينايدا يرمولايفنا إفتوشينكو، شاعرة وعالمة جيولوجيا، حازت لقب شخصية عاملة في الثقافة في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية. وقد حمل ايفتوشينكو كنية والدته.

نشأ يفغيني يفتوشينكو في وسط ثقافي: فوالده كان ينظم الشعر، وكانت والدته ممثلة، وكانا يقرأن بصوت عال، ويسردان القصص المسلية من التاريخ، وجهدا في تعليم الطفل القراءة في السادسة، غرس والداه فيه في سن مبكرة الحب للكتب وقراءة أعمال مشاهير الكتاب أمثال سرفانتس، دوماس وفلوير

وبوكاتشو. وويلز. كتب عن طفولته: " كان والذي يقضي ساعات معي، يقرأ لي، عن سقوط بابل، وعن محاكم التفتيش الإسبانية، وعن حرب الوردتين الحمراء والبيضاء، وعن ويليام الأوراني (حاكم هولندا وحاكم إنكلترا وإسكتلندا عام ١٦٨٩.

يفغيني ألكساندروفيتش يفتوشينكو -شاعر وكاتب نشري ومخرج وكاتب سينمائي وشخصية اجتماعية وقد رشح لجائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٦٣.

كان أول كتاب صدر ليفغيني يفتوشينكو "عيون المستقبل"، وفي العام نفسه نشر قصائده: "عربة قطار" و "قبل اللقاء". كان ذلك بداية عمله الإبداعي المقبل.

في عام ١٩٥٢ أصبح أصغر عضو في اتحاد كتاب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.

عن تأثره بشعراء العصر الفضي كتب يفتوشينكو: كشاعر، كنت أرغب دائماً في الجمع بين شيء من ماياكوفسكي ومن يسنين. وتعلمت الكثير من باسترناك. لقد تعلمت منه الأخلاق التاريخية.

الجدير بالذكر أن المجموعات الشعرية "الثلج الثالث"، "طريق الطامحين"، "الوعد"، "قصائد سنوات عدة"، "التفاحة" هي من جلب للشاعر الشهرة الحقيقية. فراح بعدها يشارك في الأماسي الأدبية، التي كانت تقام في متحف البوليتكنيك. ونشأت صداقة بين يفتوشينكو وشعراء معروفين: مثل روبرت روجديستفينسكي، بيلا أحمدولينا، بولات أكودجافا.

كتب أشعاراً في الحب والعلاقات الحميمة، كما في قصيدة "اعتادت أن ينام الكلب عند قدميها"، وخاض في موضوعات سياسية في قصائده: "تحت جلد تمثال الحرية"، "مصارعة الثيران"، "السلسلة الإيطالية"، "حمامة في سانتياغو"، "أمي وقنبلة النيوترون" وغيرها...

عمل يفتوشينكو كمخرج وكاتب سيناريو الدراما العسكرية "روضة الأطفال" والميلودراما "جنازة ستالين"، وهناك أيضاً أعمال موسيقية كتب نصوصها الشعرية يفتوشينكو مثل: روك - أوبرا "شلالات الثلج البيضاء..."، و"إعدام ستيان رازين".

وغنيت قصائد يفتوشينكو، فكانت منها الأغاني الجميلة:
"وتساقط الثلوج"، "الوطن الأم"، "هذا ما يحدث لي"،
"عندما تدق الأجراس"، "تحت الصفصاف الباكي، عَيْنُ
لاحقاً يفتوشينكو سكرتيراً لاتحاد الكتاب الروس وسكرتيراً
لرابطة اتحادات الكتاب في منظومة الدول المستقلة
(الجمهوريات السوفياتية سابقاً).

في عام ١٩٩١ مارس تدريس الأدب الروسي في إحدى
الجامعات الأمريكية

حاز "شارة الشرف"، "وسام الراية الحمراء"، "وسام
الصدافة بين الشعوب"، وميدالية "الدفاع عن روسيا الحرة"،
عضو فخري في الأكاديمية الروسية للفنون "...

في الأول من نيسان عام ٢٠١٧ توقف قلب الشاعر، دفن
حسب وصيته في مقبرة قرية الكتاب "بيريديلكينو" بجانب
ضريح الشاعر الشهير بوريس باسترناك.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

امراة خرجت من الماء

خرجت امراة من الماء
وفي عينيها دهشة محيرة
خرجت بحرية واحتفالية
تضح بالقوة والشباب ...

نظرت إلى خطوط الماء المتطايرة،

في مكان قريب كان الرجال يلعبون بالورق بصوت عال،

لكن زنبقة بيضاء ثقيلة

فجأة برزت من شعرها الأسود

علت الضحكات والهرج والمرج من الدهشة

"انظر، زنبقة بديعة - في شعرها - عجائب" -

وعلى ملابس البحر الزرقاء

ارتسمت الأشرطة الحمراء

مشت السمراء كاشفة عن أسنان بيضاء
على الشاطئ الأصفر بدلع
قطرات غامضة فقط انسابت
من الجسم الذي لوحته الشمس - وغاصت في الرمال.

سيكون في الحياة جميلها وقبيحها

سوف تشطر السنين إلى لحظات

ولكنني ربما أعرف الآن

ما الذي سأراه في ساعة موتي ...

سيكون هناك كثير من الأشياء المقدسة والغيبية

كثير من الفرح والمآسي

لكنني حتماً سأرى هذه المرأة

الخارجة من الماء ...

نضج الحب

هكذا إذاً، "نضج الحب"؟
ما هذا؟
هذا أنا أنكمش على نفسي
أنا انتظر
أنت تمشين

التقت النظرتان

يجب أن يحدث شيء ما
لكن السكون يعم المكان
وكالصدمة التي تسبق التنهدات

عند التقاء الأصابع

يجب أن يكون هناك انفجار

لكن السكون يهيمن على المكان

أنا أركض، أكاد أعوي

إذاً هذا كل شيء

بالنسبة لك ولي؟

هل يعني هذا أن الرماد

هو نضج النار؟

إذاً هل يعني أن نضج الحب

في القرابة فقط

هذا في أفضل الحالات؟

من هو ذلك الشرير الذي يخدعنا

مستهزئاً بضحكة ساخرة؟

من الذي تجرأ على ابتداء

مصطلح كاذب

بمهارة باردة؟

الحب لا ينضج

الحب - ولادة وموت وحسب...!

نامي

"نامي، حبيبي ..."

رذاذ مالح يلمع على السياج

البوابة مغلقة

والبحر -

بدخان وهيجان لاطماً السدود

ابتلع الشمس المألحة ...

نامي، حبيبي ...

لا تعذبي روعي

ها هي الجبال تغفو والسهوب استغرقت في نومها

وكلبنا الأعرج الأشعث

استلقى على الأرض، وراح يلحق السلسلة المألحة.

والبحر - مع كل هديره

والأغصان في اهتزازها

ومع كل تجربتي

الكلب المقيد بسلسلة

وأنا أتمم بهمس

ثم بنصف همس،

ثم - في صمت:

حبيبي "نامي".

"نامي حبيبي"

دعينا ننسى شقاقتنا

دعينا نتخيل

استيقظنا ونحن بكامل النشاط والنضارة

أنا نضارة في كل شيء

نحن نفترش السنابل

والنعاس يغلبنا

ورائحة الزبادي تتسلل من القبو

إلى الحلم

أوه كيف يمكنني أن أجعلك

تتخيلين كل شيء... لست واثقاً من ذلك؟

حبيبي "نامي".

ابتسمي في نومك
كفي عن البكاء
اجمعي الزهور
وفكري أين ستضعينها
واشترى كثيراً من الفساتين الجميلة.
أهي تغمغم في نومها؟
ربما تعبت من التقلب في الفراش؟

لفي جسدك بالحلم
وغطي في النوم

في المنام، يمكنك أن تفعلي كل شيء

ترغبين به

كل شيء نغمغم به في يقظتنا.

ألا ننام -تهور

يعتبر جنحة وحتى

لأن كل شيء نخفيه
يصرخ في الأعماق
من الصعب على عينيك
لأنهما تزدحمان بالناس ...
تحت أجفانك في المنام.
سوف تترتاحان أكثر
"نامي حبيبتى"



ما الذي يسبب الأرق؟

هدير البحر؟

تضرع الأشجار

الإحساس بقرب حدوث سوء؟

أم بسبب صفاقة سيء ما؟

أوربما ليس شخصا ما

بل أنا بالذات؟

نامي حبيتي

لا يمكنك فعل أي شيء

لكن عليك أن تعرفي

أنني بريء من هذا الذنب.

سامحيني - هل تسمعيني؟

أحبيني - هل تسمعيني؟

ولو في المنام ... ولو في المنام ...

"نامي حبيتي"،

نحن على الكرة الأرضية

التي تطير بعنف

مهددة بالانفجار

وعلىنا أن نتعاق

حتى لا تسقط

وإذا سقطنا

... نسقط معاً

حبيتي نامي

لا تخزني في داخلك الأحزان

دعي عرائس النوم تسكن عينيك بهدوء

كم هو صعب أن نغفو على الكرة الأرضية

ومع ذلك

هل تسمعينني حبيتي؟

نامي

والبحر - بهديره

والأغصان بتمايلها،

ومع كل ما أملك من تجارب في حياتي

ككلب مقيد بسلسلة

وأنا أقول بهمس لك

ثم بنصف الهمس،

ثم، في صمت:

"نامي حبيتي ..."

طوبى للأرض الروسية

طوبى للأرض الروسية،
المبتهجة لاحتضان البذار الطيب
مباركة أيدي الفلاحين
المسوحة بخرقه مزينة

مبارك صباح الإنسان

في كوستاناى وتشيليكين^(١)

الذي خرج من بيته مع الفجر

وتعجب

من الأرض المحروثة

في هذه الليلة بيديه

(١) كوستاناى : مدينة في كازاخستان، وتشيليكين : شبه جزيرة في تركيا على

بحر قزوين .

لكنه أدرك الآن فقط

عظمة ما أنجزه....

لقد حرثها طوال الليل.

كانت النجوم يغلبها نعاس

وكان الجرار يسير معكراً السكون بضجيجه

وغاصت السكك الفضية في التربة

ولكن، يقلب التربة بالفولاذ الأزرق

في السهوب المظلمة الخرساء،

كان بوده أن يرى الأرض بعينه،

لكن الأمر مستحيل دون ضوء الشمس

نظر فلمح بصعوبة أشعة الشمس في خطوط الحراثة

وهي تميل لتغيب خلف الأفق

وها هي الشمس من هناك تشرق متناقلة وعظيمة

والرعد ينذر بهديره خلف التلال.

الشمس ترتفع

هي ترتفع

ومع ارتفاعها تنكشف أسرار الليلة الفاتنة

وكل شيء أضائه كان يستقبلها بفرح

السهوب تبدو بسواد مخملي

إنها سعيدة الآن وأبدأ

والبخار يتصاعد من التربة الطازجة

ممتزجاً بضباب لطيف

ورائحة الحرث المسكرة تملأ الجو.

ورجل يهمس شيئاً ما للأرض المحروثة ...

الهيئة العامة
السورية للكتاب

المصادر

- Живов В. М. Язык и культура в России в XVIII веке. — М. - Языки русской культуры, 1996. — 591 с. — (Язык. Семиотика. Культура). — ISBN 5-88766-049-X
- Коровин В. Л. Василий Андреевич Жуковский (1783—1852): Очерк жизни и творчества
- Купреянова Е. Н. История русской литературы. В четырёх томах / Институт русской литературы
- Лермонтов в фундаментальной электронной библиотеке «Русская литература и фольклор
- Афанасьев В. Лермонтов. М. Молодая гвардия, 1991. — 560 с. ил. — (Жизнь замечательных людей, вып. № 719) — ISBN 5-235-01518-5
- Аксаков И. С. Федор Иванович Тютчев: (Биогр. очерк). — Москва:
- Жданов В. В. Н. А. Некрасов // Расцвет реализма: История русской литературы. — Л.: АН СССР, 1982. — Т. 3. — С. 333—381.
- Жданов В. В. Некрасов Николай Алексеевич // Большая советская энциклопедия. — 3-е изд. — М.: Советская энциклопедия, 1974. — Т. 17.
- Поэзия Московского университета. www.poesis.ru
- Краткая литературная энциклопедия

- Куприяновский П. В. Бальмонт // Православная энциклопедия. — М. Церковно-научный центр «Православная энциклопедия», 2002. — Т. IV. — С. 293-295. — 752 с. — 39 000 экз. — ISBN 5-89572-009-9.
- Лавров А. В. Русские символисты: этюды и разыскания. — Москва: Прогресс-Плеяда, 2007. — 629, [2] с. — ISBN 978-5-93006-053-9
- Молодяков В. Э. Валерий Брюсов: Биография. — СПб.: Вита Нова, 2010. — 672 с. — ISBN 978-5-93898-309-0.
- Бухштаб Б. Я. А. А. Фет. Очерк жизни и творчества. — Изд. 2-е — Л.: Наука, 1990. — ISBN 5-02-028014-3
- Бекетова М. А. Александр Блок : биографический очерк .
- Корецкая И. В. Блок // История всемирной литературы - М.: Наука, 1994.
- Гончаров Б. П. Поэтика Маяковского: Лирический герой послеоктябрьской поэзии и пути его художественного утверждения. — М.: Наука, 198
- Альфонсов В. Н. Поэзия Бориса Пастернака. — Л.: Союз писателей, 1990. — ISBN 5-265-01492-6
- Вильям-Вильмонт Н. Н. Воспоминания о Борисе Пастернаке // Воспоминания и мысли. — М., 1989
- Базанов В. Г. Сергей Есенин и крестьянская Россия. — Ленинград: Советский писатель, Ленинградское отделение, 1982

- Лекманов О., Свердлов М. Сергей Есенин: Биография. — М.: Астрель, Corpus, 2011. — 608 с. 5000 экз. ISBN 978-5-271-34953-9
- Павловский, А. Анна Ахматова. Очерк творчества. — Л., 1966
- Добин, Е. С. Поэзия Анны Ахматовой. — Л., 1968.
- Давидсон А. Б. Мир Николая Гумилёва, поэта, путешественника, воина. — М.: Русское слово, 2008.
- Зобнин Ю. Николай Гумилёв — поэт Православия. — СПб, 1999.
- Твардовский, А. Т. Марина Цветаева. Избранное // - Твардовский, А. Т. О литературе. — М. 1973.
- Цветаева, А. И. Воспоминания. — М, 1971; (2-е изд. — М.: Сов. писатель, 1983. — 767 с.)
- Русские писатели и поэты. Краткий биографический словарь. — М. 2000.
- Старшинов Н. К. Планета «Юлия Друнина» // Русский Дом.
- Золотоносов М. Шестидесятники: Евгений Евтушенко: Больше, чем поэт // Дело. 2006. 9 октября
- Симонов Константин Михайлович // Большая советская энциклопедия: [в 30 т.] / под ред. А. М. Прохорова — 3-е изд. — М.: Советская энциклопедия, 1969.
- Wikipedia
- РусСтих -www.rustih.ru

فهرس

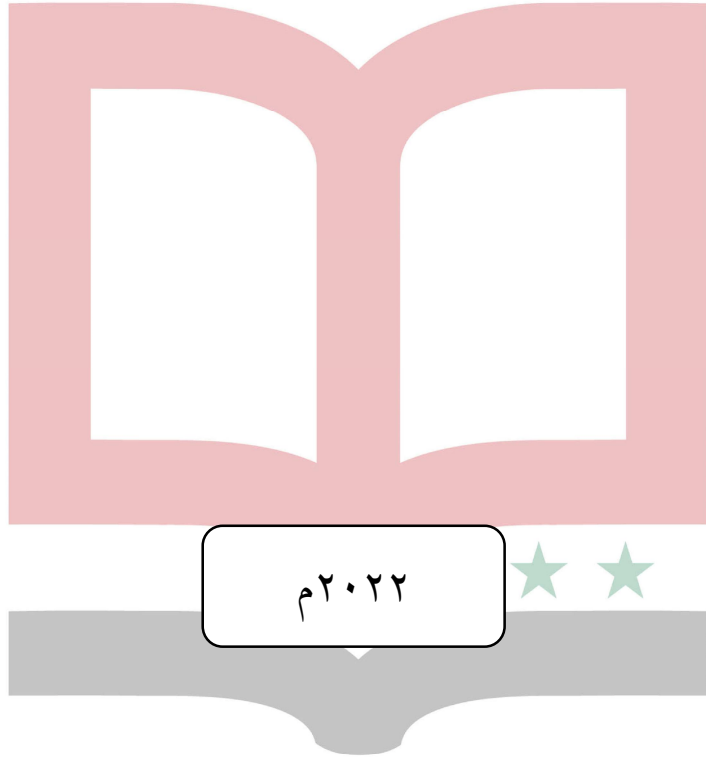
الصفحة	
٧	المقدمة
١١	أجزاء الأول
١١	العصر الذهبي
٢١	فاسيلي جوكوفسكي
٥٥	ألكساندر بوشكين
٧٩	ميخائيل ليرمونتوف
٩٧	نيكولاي نكراسوف
١٢٧	فيودور تيوتشيف
١٥١	أفاناسي فيت
١٧٧	أجزاء الثاني
١٧٧	العصر الفضي
١٨١	الرمزية الروسية
١٨٧	فاليري يريوسوف
٢٠٩	كونستانتين بالمونت

الصفحة

٢٣٩ ألكساندر بلوك
٢٦٤ الحركة المستقبلية (فوتوريزم)
٢٦٩ فلاديمير ماياكوفسكي
٢٩٧ بوريس ليونيدوفيتش باسترناك
٣٢٠ الإيماجينيزم
٣٢٧ سيرغي يسينين
٣٧٥ تيار الأكمية
٣٨١ نيكولاي غوميلوف
٤٢١ أنا أخماتوفا
٤٤٣ مارينا تسفيتايفا
٤٦٨ شعر الحرب الوطنية العظمى
٤٧٣ فلاديمير خاريتونوف
٤٨١ كونستانتين سيمونوف
٤٨٧ يوليا درونينا
٥٠٥ فلاديمير فيسوتسكي
٥٣٧ روبرت روجديستفينسكي
٥٥٥ يفغيني يفتوشينكو
٥٧٠ المصادر

د. نزار كنعان

- مترجم سوري ورسام وشاعر ودارس في الفلك والتصوير الفلكي؛
- حاصل على درجة الماجستير في هندسة الميكانيك والدكتوراه في العلوم من روسيا الاتحادية؛
- عمل مهندساً في القطاع الصناعي السوري؛
- هاجر إلى روسيا وعمل في مجالات صناعية مختلفة؛
- من أعماله المترجمة:
 - باللغة الروسية: "نجمة الشرق" شعر عالمي
 - باللغة العربية: "أناشيد الشراع المهاجر" شعر؛
 - سلسلة "آفاق الفلك المعاصر"؛
 - "الأشعة القرمزية" رواية .



الهيئة العامة السورية للكتاب